



جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

قسم الدراسات القرآنية والفقہ

مفهوم الانفراج في القرآن الكريم - دراسة موضوعية -

رسالة مقدمة إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية / جامعة كربلاء

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في الشريعة والعلوم الإسلامية

كتبت من قبل الطالب

حمزة سمير محمد عبدالله

إشراف

م.د. مسلم جواد خضير

اذار / ٢٠٢٥ م

رمضان / ١٤٤٦ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

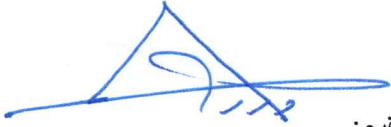
﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ

أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة آل عمران: ١٧١]

صدق الله العلي العظيم

ترشيح الرسالة للطبع

نظراً لإنجاز رسالة الماجستير (فصولها ومباحثها) الموسومة بـ (مفهوم الانفراج في القرآن الكريم دراسة موضوعية) لطالب الماجستير (حمزه سمير محمد عبد الله) فأني أرشحها للطبع .



التوقيع:

المشرف: د. سلم جواد خضير

مكان العمل: كلية العلوم الإسلامية

التاريخ: ٨ / ١٢ / ٢٠٢٤

إقرار المشرف

أشهد أنّ رسالة الماجستير الموسومة بـ (مفهوم الانفراج في القرآن الكريم دراسة موضوعية) التي
قدّمت من قبل الطالب/ة (حمزه سمير محمد عبد الله) وقد تم إعدادها بإشرافي في جامعة كربلاء /
كلية العلوم الإسلامية وهي من متطلبات نيل شهادة الماجستير؛ في الشريعة والعلوم الإسلامية .


التوقيع:

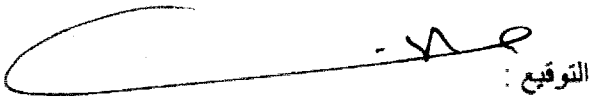
المرتبة العلمية: مدرس دكتور

الاسم: سالم جواد فضير

مكان العمل: كلية العلوم الإسلامية

التاريخ: ١٥ / ١٢ / ٢٠٢٤

بناءً على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الرسالة للمناقشة.


التوقيع:

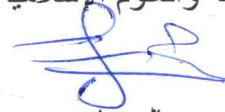
الاسم: أ.م.د. عمار محمد حسن الأنصاري

التاريخ: ١٩ / ١ / ٢٠٢٥

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن رئيس لجنة المناقشة وأعضاؤها أننا أطلعنا على هذه رسالة الماجستير الموسومة ب (مفهوم الانفراج في القرآن الكريم - دراسة موضوعية) وناقشنا الطالب/ة (حمزة سمير محمد عبدالله) في محتواها وفيما له علاقة بها ونعتقد أنها جديرة بالقبول بتقدير (**صيرمة أكال**) لنيل شهادة الماجستير؛

في الشريعة والعلوم الإسلامية .



أ.م.د. سالم جاري هدي

جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

عضواً



أ.م.د. قيصر كاظم عاجل

جامعة الكوفة / كلية التربية الأساسية

رئيساً



م.د. مسلم جواد خضير

جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

عضواً ومشرفاً



أ.م.د. أسماء قاسم محمد

جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

عضواً

صُدِّقَتْ في جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

التوقيع :

الاسم : أ.د. محمد حسين عبود الطائي

العميد

التاريخ : ١٨ / ٥ / ٢٠١٨

الإهداء

- إلى النبيّ الأعظم (صلى الله عليه وآله) إيماناً بما جاء به
- إلى سيدتي ومولاتي أم البنين (عليها السلام) باب الحوائج تقرباً
واستجابةً
- إلى السيد المرجع الأعلى آية الله السيد علي الحسيني السيستاني
(أدام الله ظلّه الوارف)
- إلى والدي العزيز (رحمه الله تعالى) برأً واعتزازاً
- إلى والدتي الحبيبة الغالية (أطال الله بعمرها) وعاءً وسلامة
- إلى زوجتي سندي وشريكة حياتي التي تحمّلت المشاق خلال
كتابتي لهذه الرسالة، وكذلك لما حملت عنيّ بعض مسؤوليات الحياة حباً
وكرامة
- إلى أولادي فلذات كبدي حباً وامتداداً
- إلى من سكنوا قلبي إخوتي وأخواتي وأقاربي وزملائي جميعاً
- إلى كلّ من دعا لي بظهر الغيب واهتمّ بأمرى إليهم جميعاً أهدي
ثمرة جهدي .

- الباحث -

شكر و عرفان

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين
أبي الزهراء محمد وآله الطيبين الطاهرين، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ
لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾^(١).

ويروى عن الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي عليه السلام، قوله: (القوا
النَّعْمَ بِحُسْنِ مُجَاوَرَتِهَا؛ وَالتَّمَسُّوا الزِّيَادَةَ فِيهَا بِالشُّكْرِ عَلَيْهَا)^(٢)، لذا لا يسعني إلا أن
أقدم خالص الشكر والعرفان بالجميل والتقدير الجزيل إلى كل من خصني بالنصح
والإرشاد وتفضل عليّ بقبول الإشراف الدكتور (مسلم جواد خضير) على ما قدّمه
من إرشادٍ وتوجيه، وجاد عليّ بوقته الثمين مع تواضعه، فجزاه الله خير جزاء
المحسنين، وأتقدمُ بخالص الشكر والامتنان إلى أ. د. د. حكمت عبيد الخفاجي، تقديراً
لفضله في منحي عنوان الرسالة، واعترافاً بعبائه الكريم وتوجيهاته السديدة، التي
كان لها أبلغ الأثر في مسيرتي البحثية، جزاه الله خير الجزاء، وجعل ذلك في ميزان
حسناته، وأقدم خالص الشكر والامتنان إلى كلية العلوم الإسلامية التي شملتني
برعايتها متمثلةً بعمادتها ومعاونيها الإداري والعلمي، وأقدم وافر الشكر والامتنان
إلى قسم الدراسات القرآنية والفقہ برئيسه وأساتذته، وأشكر أيضاً الأساتذ الذين
نهلتُ من علومهم وفضلهم، والشكر موصول للخبيرين: اللغوي والعلمي على ما
بذلاه من جهودٍ قيّمةٍ في تقويم الرسالة وتعديل ما بها من هنات، والشكر موصولٌ
أيضاً إلى أعضاء لجنة المناقشة الأكارم، فلهم منّي عظيم الشكر والتقدير على قبولهم
مناقشة هذه الرسالة ولما بذلوه من جهدٍ في سبيل تقييمها، ولما سيجودون به عليّ
من ملاحظ قيّمة ترفع من قيمة الرسالة وتجعلها في المستوى المقبول.

وختاماً لا أدعي الكمال لما كتبت في هذه الرسالة ولكن حسبي أنّي بذلت جهدي
وفوق كلّ ذي علمٍ عليم .

(١) سورة إبراهيم: آية ٧ .

(٢) بحار الأنوار: (٧٥ / ٣٧٠) .

إن البحث في الانفراج على المستوى المفهومي والدلالي يعد خطوة في معرفة العلاقات والثنائيات للمبادئ التصورية والمبادئ التطبيقية للألفاظ القرآنية ومداليلها؛ لغرض الكشف عن الجانب الانفراجي الملحوظ من قبل المولى تعالى بقدر الطاقة البشرية، والملاحظ في تضاعيف الرسالة أن الانفراج تتعدد استعمالاته من حيث المورد والتطبيق وتتحدد غاياته، والتي منها المستوى الأخلاقي عبر صقل شخصية الإنسان بالابتلاءات للوصول إلى الفرج، أو المستوى الفقهي المنعكس على أفعال المكلف للتقرب للمولى تعالى كما ينبغي، أو المستوى الكلامي لغرض الوقوف على سلامة الجانب الاعتقادي وغير ذلك، والانفراج في جوهره هو الانتقال من الضيق إلى السعة، ومن العسر إلى اليسر، وهو سنة إلهية تتجلى في حياة الأفراد والمجتمعات، حيث يكون الابتلاء مقدمة للتمكين، والضيق سبيلاً للكشف عن الطاقات الكامنة، مما يجعل منه عاملاً أساسياً في بناء الإنسان وفق المنهج الإلهي القويم، وإن دراسة مفهوم الانفراج في القرآن الكريم دراسة موضوعية تكشف عن سنن الله سبحانه وتعالى في التغيير والتيسير، وتعزز الفهم العميق للعلاقة بين الابتلاء والفرج، مما يسهم في ترسيخ معاني الصبر والتوكل والعمل في النفوس ويؤكد على أن الهداية والفرج مقصد قرآني عظيم، والملاحظ أن كل هذه المستويات التي تناولها البحث يتحد مصبها الأخير الأسمى وهو الوصول للهداية التي هي محور القرآن الكريم، فما البحث والتأمل في مفهوم الانفراج واستعمالاته وموارده وتطبيقاته إلا وسيلة وآلة للوصول إلى ذلك الهدف الأسمى والأشرف .

فمن هنا كانت هذه الرسالة محاولة متواضعة في سبر مفهوم الانفراج عبر ملاحظة كل مايتعلق به من العلاقات والثنائيات من باب أن الأشياء تعرف بأضدادها، والله تعالى من وراء القصد، ونسأل الله تعالى التوفيق والسداد .

قائمة المحتويات

الصفحة	الموضوع
١	الآية الشريفة
ب	الإهداء
ت	شكر و عرفان
ث	الخلاصة
ج	قائمة المحتويات
١	المقدمة
٦	تمهيد : البيان النظري لمفردات الدراسة
٧	المبحث الأول: مفهوم الانفراج في اللغة والاصطلاح والقرآن الكريم
٧	المطلب الأول : تعريف المفهوم لغة واصطلاحاً
٨	المطلب الثاني : الانفراج في اللغة والاصطلاح
٩	المطلب الثالث : القرآن لغة واصطلاحاً
١٠	المطلب الرابع : الدراسة لغة واصطلاحاً
١١	المطلب الخامس : الموضوع لغة واصطلاحاً
١٢	المبحث الثاني : المفاهيم ذات الصلة بمفهوم الانفراج
١٨	المبحث الثالث : الدلالة السياقية
٢٢	الفصل الأول : العلاقات الثنائية في القرآن الكريم
٢٣	المبحث الأول : العلاقات بين الثنائيات في القرآن الكريم
٢٣	المطلب الأول : علاقة التماثل
٢٩	المطلب الثاني : علاقة التخالف
٣٣	المطلب الثالث : علاقة التقابل
٤٣	المبحث الثاني : علاقة الثنائيات بالانفراج في القرآن الكريم
٤٤	المطلب الأول : الثنائيات القرآنية وآثارها
٤٩	المطلب الثاني : التوسع المفهومي للانفراج في القرآن الكريم
٥٦	الفصل الثاني : العوامل الانفراجية في القرآن الكريم
٥٧	المبحث الأول : العوامل الظاهرية للانفراج في القرآن الكريم
٥٧	المطلب الأول : التفاؤل ونظام التسبيب
٦٦	المطلب الثاني : المسارعة في الخيرات
٧٣	المطلب الثالث : الاستغفار والتوبة

قائمة المحتويات

٨١	المبحث الثاني : العوامل الباطنية للانفراج في القرآن الكريم
٨١	المطلب الأول : الخوف والرجاء
٨٥	المطلب الثاني : الصبر والإيمان
٩٥	المطلب الثالث : الصدق والكذب
١٠٣	الفصل الثالث : مستويات الانفراج في القرآن الكريم
١٠٤	المبحث الأول : المستوى الكلامي للانفراج في القرآن الكريم
١٠٤	المطلب الأول : الخير والشر
١٢١	المطلب الثاني : الجبر والتفويض
١٢٩	المبحث الثاني : المستوى الأخلاقي للانفراج في القرآن الكريم
١٢٩	المطلب الأول : التواضع والتفاخر
١٣٩	المطلب الثاني : القسوة والرحمة
١٥٥	المبحث الثالث : المستوى الفقهي للانفراج في القرآن الكريم
١٥٥	المطلب الأول : التفسيح اختياراً
١٦٦	المطلب الثاني : النشوز اختياراً
١٧٨	الخاتمة
١٧٩	أهم النتائج
١٨٢	التوصيات
١٨٣	المصادر
A	Abstract

المُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي دلَّ بذاته على ذاته، وتنزَّه عن مماثلة خلقه، وجلَّ عن إدراك كَيْفِيَّاتِهِ، فتعالى في جلاله، وتفرَّد في كماله، وتجلَّى في جماله، وأحاط بكلِّ شيءٍ علماً وحكمةً، والصلاة والسلام على خير خلقه، المبعوث رحمةً للعالمين، سيدنا محمد، وعلى آله الأطهار، مصابيح الدجى وخير البرية المصطفين .

أما بعد

فإنَّ الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن الكريم على نبيِّه المصطفى، وجعله نوراً وهدياً وموعظةً وشفاءً لما في الصدور، فكان المصدر الأوَّل للعلم والمعرفة، والمرجع الشامل لمختلف جوانب الحياة، من عقيدةٍ وفكرٍ وأخلاقٍ وتربيةٍ وتشريع، ولهذا حظي القرآن الكريم بعنايةٍ فائقةٍ من العلماء والمفسِّرين، فتدارسوه وتدبَّروا آياته في الماضي والحاضر، لاستنباط كنوزه ومعانيه العميقة، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤]، وانطلاقاً من هذه الدعوة الإلهية إلى التدبُّر، وانسجاماً مع أهمية استجلاء مفاهيم القرآن الكريم، رأيتُ أن أبحث في أحد مضامينه العميقة، وهو: (مفهوم الانفراج في القرآن الكريم – دراسة موضوعية)، سعياً لتسليط الضوء على معاني الانفراج في ضوء النصوص القرآنية، وبيان دلالاته المتنوعة في مختلف السياقات، بما يسهم في تعزيز الفهم العميق لهذا المفهوم في الحياة الفردية والمجتمعية.

أما أهمية الموضوع :

من المعلوم أن أي موضوع قرآني، يراد بحثه ودراسته، تنبثق أهميته مما يحمله من معطيات للباحث والقارئ، وما يحيط به وينتج عنه، من ثمرة وفائدة للفرد والمجتمع، ما يكتنفه من تجديد وطرافة أيضاً

وتنبع أهمية هذا الموضوع ما يأتي :

- ١- إنه بحثٌ في رحاب القرآن الكريم، والاشتغال في القرآن الكريم قراءة أو تدبراً أو حفظاً أو فهماً أو استنباطاً، من أفضل الأعمال وأكثرها معطى وجدوى .
- ٢- إن هذا الموضوع يزيد في الإيمان، ويورث الخشية في القلب والأنس بالرب.
- ٣- فيه كثير من المعجزات وخوارق العادات، في تفريغ بعض الكروب والملمات، وقبول التوبة واستجابة الدعوات، مما يزيد في يقين المؤمن ويقوي إيمانه ويزيده خشية في سريره وورعاً في قلبه ونفسه.

٤- تتجلى أهمية هذا الموضوع في الأثر الناتج عن عبادة المرء وطاعته وانعكاسها على راحته وسعادته، فيصيبه الفرح والسرور في حياته .

٥- إنَّ الحاجة ماسة والضرورة ملحة، لطرق هذا الموضوع ودراسته، لأنه ما من إنسان في هذه الحياة إلا وهو معرَّض للوقوع في شدة أو شقاء أو مشقة وعناء، فكان لا بدَّ من تهيئة بعض القواعد القرآنيَّة الراصدة لذلك.

٦- يتجلى فيه الحث على التزام التقوى والإحاطة بها في كل أحوال العبد.

مشكلة البحث :

ترتبط مشكلة البحث ارتباطاً وثيقاً بالعقلية الذهنية للإنسان في كيفية تعامله مع الابتلاءات والشدائد والمحن والفتن، بحيث يكون متماسكاً، صابراً، محتسباً، متقياً، مؤمناً، ليحظى بالانفراج والعطايا والمنم والنعمة، غير أنَّ كثيراً من الناس يقتصر تفكيرهم على الفرج الدنيوي، فيظنون أن لكل شدة فرجاً قريباً في هذه الحياة، بينما قد تستمر المحنة بالمؤمن حتى وفاته، فيكون الفرج الحقيقي في الآخرة، ومن هنا تأتي أهمية البحث في بيان السُّبل الصحيحة التي ينبغي للعبد أن يسلكها عند مواجهة الشدائد، ليصل إلى أعلى مراتب الفرج، سواء كان ذلك في الدنيا أو في الآخرة.

وأما حدود البحث : فإنه حاول تسليط الضوء على أبرز كتب علم الكلام وكتب اللغة وكتب الفقهية الروائية وكتب الحديث وكتب التفسير لدى الشيعة الإمامية وعلماء المذاهب العامة لأنها أعطت تفسيراً واضحاً لمفهوم الانفراج في مجالاته المختلفة وقد تمت الإشارة إليها في صفحات البحث والدراسة .

الدراسات السابقة :

بعد التتبع والبحث، لم أجد دراسة علمية متخصصة، جمعت شتات هذا الموضوع ولمت أطرافه، وأخرجته عملاً علمياً موضوعياً، ولكن قد ألفت عدد من الكتب، تحمل عنوانات قريبة من بحث بعض المضامين التي في هذه الدراسة.

١- الفرج بعد الشدة والضيق، لأبي الحسن علي بن محمد المدائني (ت : ٢٢٤ هـ).

٢- الفرج بعد الشدة، لأبي بكر ابن أبي الدنيا (ت : ٢٨١ هـ) وهو كتاب يغلب عليه ذكر الأحاديث والآثار، وأخبار الصحابة والتابعين وبعض الأدعية والأذكار الخاصة بتفريج الشدائد وفيه إشارة إلى قصص بعض الولاة الظالمين ، ثم أتبع ذلك بذكر جملة من الأبيات الشعرية التي لها صلة بهذا الموضوع .

٣- الفرج بعد الشدة ، للقاضي أبي الحسين الأزدي (ت : ٣٢٨ هـ).

٤- الفرج بعد الشدة ، للقاضي التنوخي (ت : ٣٠٤ هـ) ، وهو أشملها وأوسعها

٥- الفرج بعد الشدة للسيوطي (ت : ٩١١ هـ) ، وهو تلخيص لكتاب ابن أبي الدنيا المتقدم وقد سماه الأرج في الفرج .

٦- الفرج بعد الشدة والضيقة ، لإبراهيم بن عبدالله الحازمي (معاصر) .

منهج البحث : وصفي وتحليلي وقيمت بمايلي :

- ١- جمعت الآيات المتعلقة بالموضوع ، ثم رتبته حسب المباحث والمطالب في الخطة السابقة .
- ٢- بينت معنى كل آية حسب أقوال المفسرين .
- ٣- بينت وجه أو أوجه الشدة والفرج ، في ذلك .
- ٤- تخريج الآيات القرآنية ، المتعلقة بالموضوع مع ذكر رقم الآية واسم السورة وكذلك تم تخريج بعض الأحاديث والروايات الشريفة من المصادر المعتمدة .
- ٥ - استعمال الطريقة المنهجية الأكاديمية المتفق عليها في كتابة الرسائل والأطاريح .
- ٦- الحيادية في الطرح ، فالبحث لم ينحز إلى طرف على حساب طرف آخر .

الصعوبات التي واجهت الباحث :

لم تكن مهمتي سهلة وبسيطة في كتابة هذا الموضوع ، إذ واجهتني العديد من الصعوبات على المستويات العلمية والنفسية والمادية ، فعلى المستوى العلمي ، تمثلت التحديات في السعة الكبيرة لمفهوم الانفراج ، الذي يتناول عدة جوانب في القرآن الكريم ، سواء من خلال آية واحدة أو على مستوى سورة كاملة ، ومع ذلك ركزتُ في بحثي على مواضيع متفرقة تتعلق بمفهوم الانفراج بما يتناسب مع موضوع الرسالة، وذلك في ظل قلة المصادر وندرة الدراسات التي تناولت هذا المفهوم ، أما على المستوى النفسي ، فقد تعرضتُ لصدمة كبيرة بوفاة والدي (رحمه الله) ، الأمر الذي ألقى على عاتقي مسؤوليات إضافية وأثرعليّ بشكل كبير، مما زاد من التحديات التي واجهتها خلال البحث .

خطة البحث :

اشتملت هذه الدراسة على مقدّمة وتمهيد تضمّن البيان النظري لمفردات الدراسة ، إلى جانب توضيح بعض المصطلحات ذات الصلة، وقد تكوّنت الرسالة من ثلاثة فصول رئيسة، سعيتُ فيها إلى تقديم رؤية منهجية متكاملة حول مفهوم الانفراج في القرآن الكريم وعلاقته بالثنائيات القرآنية، تناول الفصلُ الأول (العلاقات الثنائية في القرآن الكريم)، حيث خُصّص المبحثُ الأول لدراسة (العلاقات بين الثنائيات في القرآن الكريم)، بينما تطرّق المبحثُ الثاني إلى (علاقة الثنائيات بالانفراج في القرآن الكريم)، أما الفصلُ الثاني، فقد حمل عنوان (العوامل الانفراجية في القرآن الكريم) ، وتناول المبحثُ الأول فيه (العوامل الظاهرية للانفراج في القرآن الكريم) ، في حين خُصّص المبحثُ الثاني لدراسة (العوامل الباطنية

للانفراج في القرآن الكريم) ، وفي الفصل الثالث ، الذي جاء بعنوان (مستويات الانفراج في القرآن الكريم) ، تناول المبحث الأول (المستوى الكلامي للانفراج في القرآن الكريم) ، بينما خُصَّص المبحث الثاني لدراسة (المستوى الأخلاقي للانفراج في القرآن الكريم) ، في حين تناول المبحث الثالث (المستوى الفقهي للانفراج في القرآن الكريم) ، وقد خُتِمت الدراسة بخاتمة اشتملت على أبرز النتائج التي توصل إليها البحث.

ختاماً أحمّد الله تعالى وأشكره على توفيقه لي في إتمام هذه الرسالة ، وأسأله سبحانه أن يعفو عن الخطأ والزلل ، إذ لا تخلو الجهود البشرية من التقصير ، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، نافعاً في خدمة كتابه العزيز، كما أسأله أن يجعله ذخراً لي يوم ألقاه، وصلى الله وسلّم على نبي الرحمة ، وشفيع الأمة ، سيّدنا محمدٍ ، وعلى آله الطيّبين الطاهرين .

الباحث

تمهيد : البيان النظري لمفردات الدراسة

المبحث الأول : مفهوم الانفراج في اللغة والاصطلاح والقرآن الكريم

المبحث الثاني : المفاهيم ذات الصلة بمفهوم الانفراج

المبحث الثالث : الدلالة السياقية

تمهيد : البيان النظري لمفردات الدراسة :

المبحث الأول : مفهوم الانفراج في اللغة والاصطلاح والقران الكريم :

المطلب الأول : تعريف المفهوم لغةً واصطلاحاً :

المَفْهُومُ لُغَةً : هُوَ مَصْدَرٌ (فَهَمَ) ؛ فَهَمْتُ الشَّيْءَ فَهَمًّا وَفَهَمًا ، عَرَفْتَهُ وَعَقَلْتَهُ ، وَفَهَمْتُ فَلَانًا وَأَفْهَمْتُهُ ، عَرَفْتَهُ^(١) ، (فَهَمَ) أَلْفَاءٌ وَالْهَاءُ وَالْمِيمُ عِلْمُ الشَّيْءِ ، كَذَا يَقُولُونَ أَهْلُ اللُّغَةِ^(٢) ، فَهْمٌ : الْفَهْمُ : مَعْرِفَتُكَ الشَّيْءِ بِالْقَلْبِ ، وَفَهَمْتُ الشَّيْءَ : عَقَلْتَهُ وَعَرَفْتَهُ^(٣) ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَفَهَمْنَاَهَا سُلَيْمَانَ ﴾^(٤) ويريد أن يبين المفهوم لغةً معنى معرفة الشيء وتعقله والعلم به بالعقل والقلب .

المفهوم اصطلاحاً : عرّف الراغب الأصفهاني : المفهوم بأنه صورة تتكون لدى الإنسان بها يتحقق ما يريد فهمه ، أي يتحقق معاني ما يُحسن^(٥) ، فقد عرّفه الجرجاني بأنه (إيصال المعنى المطلوب إلى فهم السامع بواسطة اللفظ)^(٦) ، وعرّفه حسن مصطفوي (هو الاستنتاج العلمي والادراك عن الشيء مسموع أو مرئي أو بمنزلةتهما والعلم اعم منه)^(٧) .

وبالنظر إلى طبيعة هذه الدراسة التي تتبنى المنهج الموضوعي في تتبع دلالات الانفراج في النص القرآني ، فإن تعريف حسن مصطفوي يبدو الأقرب إلى موضوع البحث ، إذ يربط المفهوم بعملية الاستنتاج العلمي والإدراك ، وهو ما ينسجم مع المنهجية التي تتأسس على استقراء الموارد النصية وتحليلها دلاليًا للوصول إلى المفهوم القرآني المراد .

(١) العين : أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت : ١٧٠ هـ) تح : د . مهدي المخزومي ، د إبراهيم السامرائي ، الناشر : دار ومكتبة الهلال ، د . ط ، د . ت ، (٤ / ٦١) .

(٢) معجم مقاييس اللغة : أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي ، أبو الحسين (ت : ٣٩٥ هـ) تح : عبد السلام محمد هارون ، الناشر : دار الفكر ، د . ط ، ١٣٩٩ هـ ، (٤ / ٤٥٧) .

(٣) لسان العرب : محمد بن مكرم بن علي ، أبو الفضل ، جمال الدين ابن منظور الانصاري الرويفعي الافريقي (ت : ٧١١ هـ) دار صادر - بيروت ، ط ٣ ، ١٤١٤ هـ ، (١٢ / ٤٥٩) .

(٤) سورة الأنبياء : آية ٧٩ .

(٥) ينظر : المفردات في غريب القرآن : أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت : ٥٠٢ هـ) تح : صفوان عدنان الداودي ، الناشر : دار القلم ، دار الشامية - دمشق بيروت ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ ، (١ / ٦٤٦) .

(٦) ينظر : التعريفات : علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت : ٨١٦ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ ، (١ / ٦٣) .

(٧) التحقيق في كلمات القران الكريم : حسن المصطفوي (ت : ١٤٢٦ هـ) ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط ٣ ، ٢٠٠٩ م ، (١٤ / ١٦٣) .

المطلب الثاني : الانفراج في اللغة والاصطلاح :

١- الانفراج لغة : قال ابن فارس : (الْفَاءُ وَالرَّاءُ وَالْجِيمُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يُدُلُّ عَلَى تَفْتُّحٍ فِي الشَّيْءِ مِنْ ذَلِكَ الْفُرْجَةِ فِي الْحَائِطِ وَغَيْرِهِ الشَّقُّ يُقَالُ: فَرَجْتُهُ وَفَرَجْتُهُ ^(١)، وقال ابن منظور : (انْكَشَافُ الْكَرْبِ وَذَهَابُ الْعَمِّ ، وَقَدْ فَرَجَ اللَّهُ عَنْهُ وَفَرَجَ فَاَنْفَرَجَ وَتَفَرَجَ) ^(٢)، وقال : الفيروزآبادي : (فرج الله الغم يفرجه : كشفه ، كفرجه) ^(٣).

٢- الانفراج اصطلاحا : "هو كشف الغم والهم والكره ، وما في معناها وتيسير ما عسر عليه وكشف ما ألم به من كرب ومعضلات" ^(٤)، وقد أوضح الشيخ الحويني " أن الناس قد اختلفوا فيه فيه فبعض منهم يرى أنّ الانفراج هو النعمة المطلقة، لكن هو ليس كذلك بل احيانا يكون في النعمة التي لا يراها العباد إلا نعمة بحتية" ^(٥).

(١) معجم مقاييس اللغة : ابن فارس (٤ / ٤٩٨) .

(٢) لسان العرب : ابن منظور (٢ / ٣٤٣) .

(٣) القاموس المحيط : ال مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت : ٨١٧ هـ) تح: مكتب تحقيق تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط ٨، ١٤٢٦ هـ، (١ / ٢٠١) .

(٤) المفردات في غريب ألفاظ القرآن : الأصفهاني (١ / ٦٢٨) .

(٥) دروس الشيخ أبو إسحاق الحويني : أبو إسحاق الحويني الأثري حجازي محمد شريف وهي دروس صوتيه قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية ، الكتاب مرقم أليا ورقم الجزء هو رقم الدرس ١٤٦ درسا ، (٣٥ / ٠)

الأميل : <http://www.islamweb.net>

المطلب الثالث : القرآن لغة واصطلاحاً :

١- القرآن لغةً : "سُمِّيَ القرآن لأنه يجمع السُّورَ فيضمُّها"^(١)، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾^(٢)، أي جمعه وقراءته ، وقد أجمع أهل العلماء على أَنَّ لَفْظَةَ قُرْآنٍ اسْمٌ وليست فعلاً القُرْآن اسْمٌ ، وَلَيْسَ بِمَهْمُوزٍ ، وَلَمْ يُؤْخَذْ مِنْ قُرْأَتٍ ، وَلَكِنَّهُ اسْمٌ لِكِتَابِ اللَّهِ مِثْلُ النُّورَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَيُهْمَزُ (قرأت) وَلَا يُهْمَزُ الْقُرْآنَ^(٣).

٢- الْقُرْآنُ اصطلاحاً : هو اللفظ العربي المعجز، الموحى به مِنْ قِبَلِ اللَّهِ سبحانه وتعالى إلى (محمد صلى الله عليه وآله وسلم) بوساطة جبريل (عليه السلام) ، والمنقول بالتواتر والمكتوب بالمصحف، المتعبد بتلاوته ، المبدوء بسورة الفاتحة ، والمختوم بسورة الناس^(٤)، وقيل : (هو وحي الله المنزل على النبي محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لفظاً ، ومعنى ، والمكتوب في المصاحف، المنقول عنه بالتواتر)^(٥) ، قال تعالى : ﴿ أَنَا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾^(٦) .

﴿(٦)﴾ .

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت : ٣٩٣ هـ) ، تح: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت ، ط ٤ ، ١٤٠٧ هـ ، (١ / ٦٥) .

(٢) سورة القيامة : آية ١٧ .

(٣) ينظر : لسان العرب : ابن منظور، (١ / ١٢٩) .

(٤) ينظر : الواضح في علوم القرآن : د.مصطفى ديب البغا - د. محي الدين ديب مستو (ت : ١٤٤٢ هـ) ، دار الكلم الطيب ، دار العلوم الإسلامية ، دمشق ، ط ٢ ، ١٤١٢ هـ ، (١ / ١٥) .

(٥) موجز علوم القرآن : الدكتور داود العطار ، منشورات مؤسسة الاعلمي ، ط ٣ ، ١٩٩٥ م ، (١٧) .

(٦) سورة يوسف : آية ٢ .

المطلب الرابع : الدراسة لغة واصطلاحاً :

١- الدراسة لغة : وردت لفظة الدراسة في معجمات اللغة العربية من مصدر الفعل درس وجمعها - دراسات، دَرَسَ دَرَسَةً ، وَدَارَسْتُ فَلَانَا كِتَابًا لِكِي أَحْفَظُ^(١) ، دَرَسْتُ الْقُرْآنَ وَغَيْرَهُ وَذَلِكَ أَنَّ الدَّارِسَ يَنْبَغُ مَا كَانَ قَرَأَهُ ، كَالسَّالِكِ لِلطَّرِيقِ يَتَّبِعُهُ^(٢) ، ﴿بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تُدْرُسُونَ﴾^(٣) ، ويتضح أن لفظة الدراسة في اللغة تدل على معان منها الحفظ والاتباع والبحث والفهم والأثر.

٢- الدراسة اصطلاحاً : وهي بمعنى تناولت أثره بالحفظ والقراءة، ولما كان تناول ذلك بمداومة القراءة عبر عن إدامة القراءة بالدُّرْسِ^(٤) ، وقيل : (هو جريان العمل والاستعمال بقصد الاستفادة الاستفادة والاستنتاج، والعمل والاستعمال يختلف باختلاف المورد والمادة)^(٥) قال تعالى : (وَدَرَسُوا مَا فِيهِ)^(٦) ، ويتضح أن الدِّراسة اصطلاحاً : هي المداومة على تناول مادة علمية بالحفظ والقراءة المتكررة، بقصد الفهم والتحليل، والسعي إلى الاستفادة واستخلاص النتائج، وذلك بحسب طبيعة المادة ومجالها ؛ وقد عبّر القرآن الكريم عن هذا المعنى بقوله تعالى : ﴿ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ﴾ ، أي تكررُوا في قراءته وتعلّمه .

(١) ينظر : كتاب العين : الفراهيدي ، (٢٢٧ / ٧) .

(٢) معجم مقاييس اللغة : ابن فارس ، (٢٦٨ / ٢) .

(٣) سورة ال عمران : آية ٧٩ .

(٤) ينظر : المفردات في غريب القرآن : الراغب الاصفهاني ، (٣١١ / ١) .

(٥) التحقيق في كلمات القرآن الكريم : حسن المصطفي ، ج ٣ ، ص ١٩٩ .

(٦) سورة الأعراف : آية ١٦٩ .

المطلب الخامس : الموضوع لغة واصطلاحاً :

١- الموضوع لغة : (من الوضع والواو والضاد والعين أصلٌ واحد يدلُّ على الخفضِ للشيء وحطه ووضعته بالأرضِ وضعا والدابئةُ تَضَعُ في سَيْرِها وضِعاً وهو سير سهل يخالف المرفوع)^(١) ، قال : ابن منظور : (الوضع ضد الرفع، وضَعَهُ يَضَعُهُ وضعا وموضوعا والوضع أيضاً: الموضوع، سُمِّيَ بالمَصْدَرِ)^(٢)، وفي ضوء ما تقدم فإن المعنى اللغوي للموضع يدل على الاستقرار؛ فكأننا نقول الموضوع هو المعنى المستقر عليه .

٢- الموضوع اصطلاحاً : (هو أفراد الآيات القرآنية التي تعالج موضوعاً واحداً وهدفاً واحداً بالدراسة والتفصيل، بعد ضم بعضها إلى بعض، مهما تنوعت ألفاظها، وتعددت مواطنها دراسة متكاملة مع مراعاة المتقدم والمتأخر منها، والاستعانة بأسباب النزول، والسنة النبوية، وأقوال السلف الصالح المتعلقة بالموضوع، وهو ما يسمى بالتفسير الموضوعي)^(٣) .

يقول الدكتور الكومي : (هو بيان الآيات القرآنية ذات الهدف الواحد، وإن اختلفت عباراتها وتعددت أماكنها، مع الكشف عن أطراف ذلك الموضوع؛ حتى يستوعب المفسر جميع نواحيه، ويلم بكل أطرافه، وإن أعوزه ذلك إلى التعرض لبعض الأحاديث المناسبة للمقام لتزيدها إيضاحاً وبياناً)^(٤) ، وبالنظر في التعريفين يتبين أن التعريف الأول هو الأرجح من حيث الدقة الاصطلاحية والشمول المنهجي ؛ إذ يعالج (الموضوع) في سياق التفسير الموضوعي بوصفه وحدة قرآنية متكاملة تُدرَسُ بجمع الآيات ذات العلاقة ، مع مراعاة سياقاتها الزمنية والسببية والاستعانة بما يعين على فهمها من السنة وأقوال السلف ، وهذا بخلاف تعريف الدكتور الكومي الذي يُعدُّ شرحاً توضيحياً لآلية التناول أكثر من كونه تحديداً اصطلاحياً جامعاً مانعاً ، وعليه فإن اعتماد التعريف الأول أولى في السياقات العلمية الدقيقة .

(١) معجم مقاييس اللغة : ابن فارس ، (٦ / ١١٧) .

(٢) لسان العرب : ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، (٨ / ٣٩٦) .

(٣) التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه : أحمد بن عبد الله العماري الزهراني ، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، صدر في ال ط ١ خلال الأعداد (٨٥ - ١٠٠) وذلك في الفترة من المحرم ١٤١٠ هـ، الى ذو الحجة ١٤١٣ هـ، (١ / ١٢) .

(٤) التفسير الموضوعي للقرآن الكريم : أحمد السيد الكومي، ومحمد أحمد يوسف القاسم، حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلفين، ط١، ١٤٠٢ هـ، (١٦) .

المبحث الثاني : المفاهيم ذات الصلة بمفهوم الانفراج :

المفردات والمفاهيم في اللغة العربية لها دلالات واضحة في معانيها وهو ما تم رصد معناه وتحديدته فيما يخص مفهوم الانفراج ، ومن استقرائي للنصوص القرآنية أن جملة من الألفاظ لها صلة بمعنى الانفراج ، فبعضه يوافقه في المعنى وبعضه يقاربه ونظراً لكثرة الألفاظ نذكر بعضاً منها والتي ورد ذكرها في الكتاب العزيز ما يأتي .

أولاً: الانفتاح :

١- **الفتح لغة :** الفاء والتاء والحاء أصل صحيح يدل على خلاف الإغلاق ويطلق على النصر والحكم والظفر^(١) .

٢- **الفتح اصطلاحاً :** هو الظهور والتمكين والقدرة والنصر على عدوهم في الدنيا^(٢) ، وأصل الفتح في كلام العرب هو النصر والقضاء ، والحكم ومنه يقال : (اللهم افتح بيني وبين فلان) أي احكم بيني وبينه^(٣) ، ومنه قول الله عز وجل : ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾^(٤) ، وقيل : (يحتل النصر والظفر والحكم)^(٥) ، كما في قوله : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾^(٦) ، وما يفتح الله تعالى من المعارف كما في قوله تعالى : ﴿ نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾^(٧) .

(١) ينظر : معجم مقاييس اللغة : أحمد ابن فارس (ت : ٣٩٥ هـ) ، (٤ / ٤٦٩) .

(٢) ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن : محمد بن جرير ، الطبري (ت : ٣١٠ هـ) ، تح : أحمد محمد شاكر ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ ، (٧ / ٢٧٥) .

(٣) المصدر نفسه ، (٢ / ٢٥٤) .

(٤) سورة الأعراف : آية ٨٩ .

(٥) المفردات في غريب القرآن : الراغب الاصفهاني ، (١ / ٦٢٢) .

(٦) سورة النصر : آية ١ .

(٧) سورة الصف : آية ١٣ .

ثانياً : النجاة :

١- النجاة لغة : النجاة من النجو، قال ابن فارس : (النون والجيم والحرف المعتل أصلان، يدلُّ أحدهما على كَشَطٍ وكشف ، والآخِر على سترٍ وإخفاء ، فيقال : نجا الإنسان ينجو نَجَاءً ، ونجاء في السرعة، وهو معنى الذهاب والانكشاف من المكان ، وناقَةٌ ناجية ونجاةٌ سريعة)^(١)، والنجاء الخَلاص من الشيء ، نجا ينجو نَجَواً وَنَجَاءً ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّا مُنْجُواكَ وَأَهْلَكَ ﴾^(٢) ، أي نُخَلِّصُكَ مِنَ الْعَذَابِ وَأَهْلَكَ ، ومعنى نجوت الشيء في اللغة خَلَّصْتَهُ وَأَلْقَيْتَهُ ، وَالنَّجْوَةُ وَالنَّجَاءُ مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ فَلَمْ يعلُهُ السَّيْلُ^(٣) ، وقوله تعالى : ﴿ فَأَلْيَوْمَ نُنَجِّبُكَ بِيَدِنَا ﴾^(٤) ، أي نجعلك فوق نَجْوَةٍ مِنَ الْأَرْضِ فَتُنْظِرُكَ ، وَالنَّجْوَةُ الْمَكَانُ الْمُرْتَفِعُ الَّذِي تَطُنُّ بِبَدْنِكَ أَنَّهُ نَجَاؤُكَ^(٥) .

٢- النجاة اصطلاحاً : هي حالة من السلامة والفوز تتحقق للعبد حين يعظم قدر الله تعالى ويوقره ويهابه ، فيكون بذلك مستحيياً منه ، مسارعاً إلى طاعته ، مجانباً لمعصيته ، مجتهداً في تحصيل العلم والفهم عنه سبحانه ؛ رجاءً في نيل الثواب وخوفاً من العقاب^(٦) ، وذكر صاحب معجم الفروق اللغوية عند تفريقه بين النجاة والفوز، والنجاة وحدها لا تكفي للسعادة فربما ينجو الإنسان من العذاب ولكن لا يصل إلى مراده لذلك فهو بحاجة لنيل المراد المحبوب ولا يكون هذا إلا بالفوز والهداية والفرق بين النجاة والفوز : أن النجاة هي الخلاص من المكروه ، والفوز هو الخلاص من المكروه مع الوصول إلى المحبوب ولهذا سمي الله تعالى المؤمنين فائزين لنجاتهم من النار ونيلم الجنة^(٧) ، وعليه فيمكن القول إن النجاة الحقيقية : هي الخلاص من المكروه ونيل المراد بالفوز والهداية ودلالة ذلك قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾^(٨) ، ويتضح أن العلاقة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي في أن كلا منهما يدل يدل على معنى الكشف والخلاص والذهاب والستر .

(١) معجم مقاييس اللغة : ابن فارس (٥ / ٣٩٧) .

(٢) سورة العنكبوت : آية ٣٣ .

(٣) ينظر : معجم مقاييس اللغة : ابن فارس (٥ / ٣٩٧) .

(٤) سورة يونس : آية ٩٢ .

(٥) ينظر : تاج العروس من جواهر القاموس : محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى الزبيدي (ت : ١٢٠٥ هـ)، تح : مجموعة من المحققين، دار الهداية، (٤٠ / ٢٥) .

(٦) ينظر : ماهية العقل ومعناه وأختلاف الناس فيه : الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبدالله (ت : ٢٤٣ هـ) تح : حسين القوتلي، الناشر : دار الكندي، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٣٩٨ هـ، (١ / ٢١٠) .

(٧) ينظر: الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت : ٣٩٥ هـ)، تح : علق عليه : محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة - مصر ، د.ط ، د.ت ، (١ / ٢١٠) .

(٨) سورة آل عمران : آية ١٨٥ .

اتضح للباحث من خلال مواضع مادة النجاة في السور المكية ما يلي :

١- إن أغلب الآيات جاءت من باب الاختبار ونذكر بعض الأمثلة القرآنية كما في قوله تعالى : ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾^(١) ومنها قوله تعالى : ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾^(٢) .

ويتبين من الآيتين أن هنالك حثاً على طلب النجاة والترغيب فيها، وخاصة أن السور المكية كانت تركز على الجوانب العقديّة وهي تمثل ركائز الرسالة الإسلامية في بدايتها .

٢- وجاءت بقية المواضع للتذكير بالنعمة، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾^(٣) ، وقوله تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾^(٤) ، وهذا يدل على رحمة الله سبحانه وتعالى لكل لكل عباده بحيث يذكرهم بكل نعمه عليهم ، ليرغبهم في الاستحسان والاستقامة على دينه القويم، لكي يحظوا بالفوز في الدنيا والآخرة .

ثالثاً : الاتساع :

١- الاتساع لغة : وَسَعَ : (الْوَأُو وَالسَّيْنُ وَالْعَيْنُ: كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الضِّيقِ وَالْعُسْرِ، وَيُقَالُ وَسِعَ الشَّيْءُ وَاتَّسَعَ، وَالْوَسْعُ: الْغِنَى وَاللَّهُ الْوَاسِعُ أَيِ الْغَنِيُّ، وَالْوَسْعُ: الْجِدَّةُ وَالطَّاقَةُ وَهُوَ يُنْفِقُ عَلَى قَدْرِ وَسْعِهِ)^(٥)، وَقَالَ تَعَالَى فِي السَّعَةِ : ﴿ لِيُنْفِقُ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ ﴾^(٦)، وقد ورد لفظ الاتساع في تفسير أبي السعود (ت: ٩٨٢ هـ)، بعدة معانٍ لغوية من ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾^(٧)، السعة هنا تعني الرزق ومثله أيضاً في قوله تعالى : ﴿ يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ ﴾^(٨) ، فقال انها تعني الغنى والقدرة^(٩) ، وقال الأصفهاني (ت : ٥٠٢ هـ) : (السَّعَةُ تَقَالُ فِي الْأَمْكَنَةِ، وَفِي الْحَالِ، وَفِي الْفِعْلِ كَالْقَدْرَةِ وَالْجُودِ وَنَحْوِ ذَلِكَ)^(١٠)

(١) سورة العنكبوت : آية ٢٤ .

(٢) سورة النمل : آية ٥٧ .

(٣) سورة الأنعام : آية ٦٣ .

(٤) سورة الأنعام : آية ٦٤ .

(٥) معجم مقاييس اللغة : أحمد بن فارس ، (٦ / ١٠٩) .

(٦) سورة الطلاق : آية ٧ .

(٧) سورة النساء : آية ١٠٠ .

(٨) سورة النساء : آية ١٣٠ .

(٩) ينظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى

(ت : ٩٨٢ هـ) الناشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت ، (١ / ٥٩٢)

(١٠) المفردات في غريب القرآن : أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، تح : صفوان عدنان الداودي ، نشر : دار القلم، الدار الشامية ، دمشق ، بيروت ، ط ١، ١٤١٢ هـ ، (١ / ٨٧٠) .

ففي المكان نحو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ ﴾^(١) ، وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً ﴾^(٢) ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ﴾^(٣) ، وفي الحال كقوله تعالى : ﴿ لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ ﴾^(٤) ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَىٰ الْمُسَبِّحِ قَدْرَهُ ﴾^(٥) ، وقيل : (هو كثير العطاء الذي يسع لما يسأل والمحيط بكل شيء)^(٦) ، وعند تتبع مصطلح الاتساع اوالتوسع في اللغة نجده من المصطلحات المبكرة في كتب العلماء خاصة علماء اللغة ثم انتقل الى أهل معاني القرآن فنجده في كتاب العين للخليل (ت : ١٧٥ هـ) فقد وردت فيه اشارات الى معنى التوسع فجاء فيه سعة العربية ، وسع اللغة^(٧) ، ثم جاء من بعده تلميذه سيبويه (ت : ١٨٠ هـ) فذكره في الكتاب^(٨) ، حيث إن سيبويه يُعد أول من حاول أن يحدد مفهوما للاتساع ويقربه الى فهم السامع وأول من وضع له أبوابا مستقلة وعالجه فيها صراحة حيث اتسمت معالجته بالتعليل والتحليل ، وقال الفراء في قوله تعالى : ﴿ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾^(٩) ، (إن هذا على وجه التوسعة)^(١٠) ويتبين أن الاتساع في اللغة يدور حول دائرة عدم التضيق وعدم الإرهاق بينما يدور حول الترخيص والقدرة والطاقة والشمول والعموم .

٢- الاتساع اصطلاحا : هو يدل على التوسع والسعة بما هي مقابلة للتضييق ، والاتساع هو مطلق من حيث الوضع ، ومفهوم مضاف من حيث الدلالة ، فيقال مكان وسيع او حال وسيع او الوسع من القدرة وغير ذلك^(١١) ، وقال أبو السعود (ت : ٩٨٢ هـ) أي : (ليوسع عليهم أرزاقهم

(١) سورة العنكبوت : آية ٥٦ .

(٢) سورة النساء : آية ٩٧ .

(٣) سورة الزمر : آية ١٠ .

(٤) سورة الطلاق : آية ٧ .

(٥) سورة البقرة : آية ٢٣٦ .

(٦) القاموس المحيط : مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت : ٨١٧ هـ) ، تح : محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، ط ٨ ، ١٤٢٦ هـ ، (١ / ٧٧١) .

(٧) ينظر : العين : أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت : ١٧٠ هـ) ، تح : تح : د مهدي المخزومي ، د إبراهيم السامرائي ، الناشر : دار ومكتبة الهلال ، د . ط ، د . ت ، (١ / ٢٥٠ - ٢٦٣) .

(٨) ينظر : الكتاب : عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء ، أبو بشر ، الملقب سيبويه (ت : ١٨٠ هـ) ، تح : عبد السلام محمد هارون ، لناشر : مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٤٠٨ هـ ، (١ / ٢١١ ، ٢٢٢) .

(٩) سورة المائدة : آية ٦٦ .

(١٠) معاني القرآن الكريم : أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت : ٢٠٧ هـ) ، تح : أحمد يوسف النجاتي ، محمد علي النجار ، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي ، الناشر : دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر ، ط ١ ، د . ت ، (١ / ٣١٥) .

(١١) ينظر : المفردات في غريب القرآن : الراغب الأصفهاني (٧٦٠ - ٧٦١) .

بأن يفيض عليهم بركات السماء والأرض (١) ، كما في قوله تعالى: ﴿ ... لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ... ﴾ (٢) ، ويلاحظ إن الراغب الأصفهاني في كتابه هذا (يوازن بين المعنى المعنى اللغوي والإصطلاحي القرآني) .

رابعاً : **الفتق** : وردت مفردة الفتق مرة واحدة في القرآن الكريم كما في قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣) .

١- **الفتق لغة** : (فتقه يفتقه ويفتقه فتقاً: شقّه وهو خلاف رتقه رتقاً، وهو الفصل بين المتصلين) (٤) وقيل : (الفتق بمعنى شققناهما) (٥) ، كما في قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ (٦) ، وقول : (هو الشق والخلاف بين الجماعة وتصدع الكلمة) (٧) .

٢- **الفتق اصطلاحاً** : هو فتق السماء والأرض بالمطر وبأنواع النباتات بعد أن لم يكن شيء من ذلك (٨) ، وقيل : (هو الفصل بين المتصلين وهو ضد الرتق) (٩) .

خامساً: الكشف :

١- **الكشف لغة** : هو (رفعك شيئاً عما يواريه ويغطيه، كرفع الغطاء عن الشيء) (١٠) ، وقيل: (الكافُ والشينُ والفاءُ أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على سَرَوِ الشَّيءِ عَنِ الشَّيءِ ، كالتَّوْبِ يُسْرَى عَنِ الْبَدَنِ) (١١) ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ كَاشِفَةٌ ﴾ (١٢) ، قيل أي : (لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِهِ عَزَّ

(١) إرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم : أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت : ٩٨٢ هـ) ، الناشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت ، د . ط ، د . ت ، (٦٠ / ٣) .

(٢) سورة المائدة : آية ٦٦ .

(٣) سورة الأنبياء : آية ٣٠ .

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس : محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض ، الملقب بمرتضى، بمرتضى، الزبيدي (ت : ١٢٠٥ هـ) تح : مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، د . ط ، د . ت ، (٢٦ / ٢٧٠)

(٥) معجم ألفاظ القرآن الكريم : مجمع اللغة العربية الإدارية العامة للمعجمات وأحياء التراث ، د . ط ، د . ت ، (٨٣٨ / ٢) .

(٦) سورة الأنبياء : آية ٣٠ .

(٧) المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات ، حامد عبد القادر، محمد النجار، الناشر: دار الدعوة ، د . ط ، د . ت ، (٦٧٢ / ٢) .

(٨) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥ هـ)، دار الكتب الإسلامي، القاهرة، د . ط ، د . ت ، (٤١٢ / ١٢) .

(٩) مفردات ألفاظ القرآن الكريم : الراغب الأصفهاني ، (٦٢٣ / ١) .

(١٠) العين : الفراهيدي (٢٩٧ / ٥) .

(١١) معجم مقاييس اللغة : ابن فارس ، (١٨١ / ٥) .

(١٢) سورة النجم : آية ٥٨ .

وَجَلَّ كَشْفٌ وَظُهُورٌ^(١) ، وقيل : (هُوَ كَشْفُ الْعَمِّ)^(٢) ، ويقال : (كشف الثوب عن الوجه وكشف غمه)^(٣)

كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ﴾^(٤) وقيل : (إن الكشف مضمن بالزوال ولهذا يقال لله عز وجل كاشف الضر ولم يجز في نفيضه ساتر الضر لأن نفيضه من الستر ليس متضمناً بالثبات فيجري مجراه في ثبات الضر كما جرى هو في زوال الضر والجهر غير مضمن بالزوال)^(٥).

٢- **الكشف اصطلاحاً** : (هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية، والأمر الحقيقية وجوداً وشهوداً)^(٦) ، ويقال : (ان كشف مصدره هوالكشف فاستعير الكشف للإزالة)^(٧) وذكر: يراد به التصديق اليقيني وانسراح الصدر والمشاهدة بنور البصيرة^(٨)، ويتضح أن الكشف يدل على إزالة الشيء كالغم والهم وهي من الضر، وبحيث يكون الكشف خطوة تؤدي الى الانفراج سواء على مستوى الفكر أو الروح أو حتى الحياة اليومية .

(١) لسان العرب : ابن منظور (٤ / ١٤٠) .

(٢) تاج العروس : الزبيدي ، (٢٤ / ٣١٦) .

(٣) مفردات ألفاظ القرآن الكريم : الراغب الاصفهاني ، (١ / ٧١٢) .

(٤) سورة يونس : آية ١٠٧ .

(٥) معجم الفروق اللغوية : أبوهملال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت : نحو ٣٩٥ هـ) ، تح : الشيخ بيت الله بيات ، ومؤسسة النشر الإسلامي، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ ، (١ / ٤٥٣) .

(٦) التعريفات : الجرجاني ، (١ / ١٨٤) .

(٧) المصدر نفسه ، (١ / ٢١) .

(٨) ينظر : قواعد العقائد : أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت : ٥٠٥ هـ) ، تح : موسى محمد علي ، عالم الكتب ، لبنان ، ط ٣ ، ١٤٠٥ هـ ، (١ / ٢٦٦) .

المبحث الثالث : الدلالة السياقية :

تُعد الدلالة السياقية من أهم المفاتيح لفهم معاني القرآن الكريم، إذ تعتمد على السياق اللغوي والنصي للكلمة أو الجملة لتحديد المعنى المقصود بدقة، فالكلمات قد تحمل معاني متعددة، ويحدد السياق المراد منها بناءً على موضعها في الآية، وما يسبقها وما يليها من كلمات وجمل، إن السياق القرآني لا يقتصر فقط على المفردات والجمل، بل يشمل أيضاً السياق التاريخي والثقافي لنزول الآيات، مما يساعد في فهم المقاصد الشرعية والتشريعية للنصوص، ولهذا، يعتمد علماء التفسير على السياق في استنباط الأحكام وفهم الإعجاز اللغوي والبلاغي للقرآن، فمثلاً، كلمة (الولد)، قد تعني الذكراً والأنثى، ولكن السياق هو الذي يحدد معناها الدقيق، كذلك، كلمة (الصلاة) قد تعني الدعاء أو الفريضة وفقاً لموضعها في النص القرآني، لذا، فإن تحليل الدلالة السياقية في القرآن الكريم يُعد أسلوباً ضرورياً لفهم معانيه العميقة، وتجنب أي تفسير قد يؤدي إلى تحريف المعنى أو إساءة الفهم، ويعد السياق من أكثر النظريات المتماسكة في علم الدلالة وأضبطها منهجا فيعد من المصطلحات العسوية على التحديد الدقيق ومع كل ذلك فإن التعريف اللغوي والاصطلاحي لا يتجاوز كل منهما معنى التتابع والتتالي أو الايراد .

السياق لغة واصطلاحاً :

أولاً : السياق لغة : (السَّيْنُ وَالْوَاوُ وَالْقَافُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ حَدُّ الشَّيْءِ، يُقَالُ سَاقَهُ يَسُوقُهُ سَوْقًا)^(١)، وقال الجوهري : (يقال ولدت فلانة ثلاثة بنين على ساق واحدة أي بعضهم على اثر بعض ليست بينهم جارية والسياق نزع الروح)^(٢)، وقيل: أصل لفظة سياق هي : (سواق فقلبت فقلبت الواو ياء لكسرة السين وهما مصدران من ساق يسوق)^(٣)، وقيل : (تساوقت الإبل تساوقا، إذا تتابعت وكذلك تقاودت)^(٤) .

ثانياً: السياق اصطلاحاً : (هو تتابع المفردات والجمل والتراكيب القرآنية المترابطة لأداء

(١) معجم مقاييس اللغة : ابن فارس ، (٣ / ١١٧) .

(٢) الصحاح : الجوهري (٤ / ١٤٩٩) .

(٣) لسان العرب : ابن منظور (١٠ / ١٦٧) .

(٤) تهذيب اللغة : أبو منصور محمد بن أحمد ، الأزهرى (ت : ٣٧٠ هـ) تح : محمد عوض مرعب ، الناشر : الناشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠١م ، (٩ / ١٨٥) .

المعنى^(١)، وهذا التابع قائم على علاقات داخلية وخارجية تؤمن ترابط مكونات النص وتماسكها ومن ثم تجعل النص بناء متكاملًا ومتعلق الأجزاء، وبذلك يعبر السياق عن علاقة البناء الكلي للنص وبأي جزء من أجزائه^(٢)، ويركز هذا التعريف على الترابط بين مكونات النص وتلاحمها لتشكيل بناء كلياً مترابط الأجزاء .

أهمية دلالة السياق القرآني :

إن مفردات اللغة العربية هي واسعة الدلالة ، لا يتحدد منها المراد من المفردات العربية إلا إذا تمعن ونظر في ضوء سياقها، فعندئذ يتبين ويتضح معالمها، وتنقفي تعدداً وكثرة معانيه واشتراكه وتعميمه ، فيقطع بتحديد وإرادة أحد المعاني المحتملة، وإن دلالة السياق القرآني لها أهمية بالغة في تفسير كتاب الله سبحانه وتعالى وهي أصل من أصول هذا العالم، وعند إهمالها وعدم المبالاة لها سوف يضع المفسر أقدامه على كل عتبات الخطأ والزلل وتتوسم كل آرائه بالعلل، وعندها يصبح الخطب جلاً .

وتتجلى الأهمية في دلالة السياق القرآني وتعتبر من تفسير القرآن بالقرآن فإن دلالة السياق القرآني تستمد أهميتها لكونها تفسيراً للقرآن الكريم بالقرآن نفسه، حيث يتبين المعنى من خلال تتبع المفردات والجمل والتراكيب القرآنية المترابطة، وإن سياق الآية والمقطع هي من أعلى مراتب تفسير القرآن بالقرآن ؛ لأنها تكون بمحل واحد^(٣)، وإن تفسير القرآن الكريم بالقرآن نفسه هو من أفضل طرق التفسير وأصحها لأنه لا أحد أعلم بمعاني الكلام من المتكلم نفسه، وإذا تبين مراده من الكلام نفسه، فلا يعدل عنه إلى غيره، وقد حاز هذا المنهج اهتماماً واسعاً من قبل المفسرين في القرن الأخير بحيث اتخذ بعض المفسرين منهجاً رئيسياً ومن أهم الكتب التي استخدمت هذه الطريقة وبكثرة هي :

- ١- الميزان في تفسير القرآن : للعلامة الطباطبائي (ت : ١٤٠٢ هـ) .
- ٢- الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن : الدكتور محمد الصادقي الطهراني (معاصر) .
- ٣- آلاء الرحمن في تفسير القرآن : الشيخ : محمد جواد البلاغي (ت : ١٣٥٢ هـ)، بلغ هذا التفسير إلى الآية (٥٧) من سورة النساء .
- ٤- التفسير القرآني للقرآن : عبد الكريم محمود يونس الخطيب (ت : ١٤٠٦ هـ) .

(١) السياق القرآني وأثره في التفسير : عبد الرحمن عبد الله سرور جرمان المطيري ، دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن ، د . ط ، د . ت ، (٧١) .

(٢) معجم علم اللغة النظري : محمد علي الخولي (ت : ١٤٣٠ هـ)، الناشر : دار الفلاح للنشر والتوزيع، مكتبة لبنان بيروت، ط١، ١٩٨٢م ، (٥٧) .

(٣) على تفاوت بينهما في المرتبة ، فأعلاهما سياق الآية ثم المقطع .

هـ - تفسير أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد أمين بن محمد مختار (ت: ١٣٩٣ هـ) وهذا هو بيان اهتمام العلماء بدلالة السياق، وقد اتخذوه منهجاً مأموناً لهم في تفسير القرآن الكريم وهو كلام الله سبحانه وتعالى، والتوضيح وبيان أي شيء من أثارها، لأنها تنقل الدلالة من الظهور إلى النصية، وإن حصل الإهمال من أحدهم فسوف يكون الخطأ والغلط حليفه، ويجانب الصواب دائماً، فإن الله سبحانه وتعالى قد أنزل كتابه المجيد هدى ورحمة للعالمين كما في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(١)، وهذه الهداية لا تأتي لمريدها إلا عند تدبره وطلب تفسيره، ولهذا نرى أن الله سبحانه وتعالى قد ربط التنزيل بالتدبر فعندها قال الله تعالى ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٢)، وقد وبَّخ الذين يعرضون صفحاً عن التدبر كما في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(٣)، فأصل الوقوف هنا هو الوقوف على معاني القرآن من خلال التدبر والتفكير^(٤)، لا يكون هنالك شيء أفضل وأنفع للعبد في حياته ومعاده من تدبر القرآن، فحقيقة التدبر هي الإتقان والتمعن بالنظر والتفكر في سياق الآية أو الآيات وقوة الربط بينهما للوصول الى معرفة المراد منها، وبالتالي يكون العمل بها منتجاً ومثمراً للعاملين بالقرآن الكريم، فإن دراسة السياق القرآني بحقيقته هو إعمال لأمر التدبر للقران الكريم، لذا ذهب العلماء في اتباع طرق لتفسير كلام الله سبحانه وتعالى أحسنها وأجودها هو تفسير القرآن بالقرآن نفسه، وإن تفسير القرآن بالقرآن له مرتبتان^(٥) أحدهما : أن يكون في موضع واحد بحيث يتبعه مباشرة، وهذه المرتبة تشمل نوعين من أنواع السياق: سياق الآية، و سياق المقطع .

وثانيهما : أن يكون منفصلاً عنه ، سواء في السورة نفسها أو في غيرها ، وهذه المرتبة أيضاً تضم نوعان من أنواع السياق القرآني، وهما: سياق السورة ، و سياق العام للقرآن .

فقد ورد إن السياق القرآني يتصف بظاهرة المرونة والحيوية بسبب كثرة الموضوعات القرآنية التي تجعل اللفظة الواحدة أو العبارة تدور بين معان ومفاهيم متنوعة^(٦)، فكثير من المفسرين اتخذوا السياق منهجاً لتفسير القرآن الكريم باعتباره المنهج المأمون بالتفسير لأنه يفسر الكلمة القرآنية ذاتها، والنص القرآني غني بمدلولاته فهو يلبي حاجات كل عصره ويراعي ظروف

(١) سورة البقرة : آية ٢

(٢) سورة ص : آية ٢٩ .

(٣) سورة محمد : آية ٢٤ .

(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن : أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت : ٧٩٤ هـ) تح: محمد أبو الفضل إبراهيم الزركشي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه ، ط١، ١٣٧٦ هـ ، (٢ / ١٨٠) .

(٥) ينظر : المصدر نفسه ، (٢ / ١٨٦) .

(٦) ينظر : ثراء المعنى في القرآن الكريم : محمد خليل جيبك، النشر: دار السلام ، ط ١، د.ت، (٥٩ - ٦١)

وعناصر التطور ومستلزماته^(١)، فالقرآن الكريم معجز بلفظه ومعناه .
يتبين لنا أن السياق القرآني يعدّ من أهم الأدوات التفسيرية لفهم معاني الآيات بشكل دقيق ، إذ يساعد في تحديد المراد من الألفاظ وفقاً لموقعها وعلاقتها بالنصوص الأخرى، وينقسم السياق إلى أنواع متعددة ، منها سياق الآية، سياق المقطع ، سياق السورة ، والسياق العام للقرآن، حيث يؤثر كل منها في توجيه الدلالة وفهم النصوص الشرعية، كما يُبرز البحث أهمية مراعاة السياق في التفسير، لأنه يقي من سوء الفهم وتأويل النصوص بغير ما أراده الله سبحانه وتعالى، ولذلك فإن الالتزام بالسياق منهج مأمون يضمن انسجام التفسير مع مقاصد الشريعة، ويساهم في استنباط الأحكام الشرعية بدقة ووضوح، لذا يعدّ السياق القرآني هو أصل من أصول التفسير المعتمدة، والرافدة للباحثين في مجال الدراسات القرآنية عموماً والتفسيرية خصوصاً .

(١) ينظر : دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم : عبد الوهاب رشيد صالح أبو صفية، الناشر: دار عمار للنشر والتوزيع، د . ط ، د . ت ، (١٦ - ٢٠) .

الفصل الأول : العلاقات الثنائية في القرآن الكريم

المبحث الأول : العلاقات بين الثنائيات في القرآن الكريم

المبحث الثاني : علاقة الثنائيات بالانفراج في القرآن الكريم

الفصل الأول : العلاقات الثنائية في القرآن الكريم :

المبحث الأول : العلاقات بين الثنائيات في القرآن الكريم :

تُعدّ العلاقات بين الثنائيات في القرآن الكريم من الأساليب البلاغية العميقة التي تسهم في توضيح المعاني وإبراز التباين أو التكامل بين المفاهيم المختلفة، فالثنائيات القرآنية، تشكل نمطاً دلالياً يساعد في فهم السنن الإلهية والقوانين الحاكمة للحياة، وتكمن أهمية دراسة هذه الثنائيات في كشف أبعادها التفسيرية والتربوية، حيث تبرز آثارها في تعزيز الفهم الصحيح للنصوص القرآنية، وإيضاح القيم التي تسعى الشريعة إلى ترسيخها في نفوس المؤمنين، ومن خلال تحليل هذه العلاقات، يتضح كيف يستعمل القرآن الكريم هذه الثنائية لتحقيق الإقناع والتأثير في القارئ مما يجعله أكثر وعياً بالتناقضات التي تواجه الإنسان في حياته، اذن نتطرق الى موضوع قسمة الألفاظ المتباينة كلا حسب معانيها وهي التماثل والتخالف والتقابل، وهما من الأمور المتغايرة فان المتغايرين إما أن يراعى فيهما اشتراكهما في حقيقة واحدة، وإما ألا يراعى ذلك، سواء كانا مشتركين بالفعل في حقيقه واحدة، أو لم يكونا مشتركين، لذا إدراكها يتطلب التوضيح والبيان من خلال التقسيم الآتي :

المطلب الأول : علاقة التماثل :

تعد علاقة التماثل واحدة من الأساليب البلاغية البديعة في القرآن الكريم، حيث تظهر أوجه التشابه والتماثل بين عناصر النص القرآني بأسلوب متقن يبرز الإعجاز البياني، تتمثل هذه العلاقة في التشابه بين الألفاظ أو المعاني أو الصور أو السياقات، مما يسهم في ترسيخ الفهم وتوضيح المعاني لدى القارئ أو المستمع.

أولاً : الدلالة اللغوية :

قال ابن فارس (ت : ٣٢٩ هـ) : (الميمُ والثاءُ واللام أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على مُناظرةِ الشيءِ للشيءِ، وهذا مُثَلٌّ هذا، أي: نُظيرُهُ والمِثْلُ والمِثَالُ في معنى واحد)^(١)، وأكد الجوهري (ت : ٣٩٨ هـ) : (إن مِثْلَ كَلِمَةٍ تسوية، يقال: هذا مِثْلُهُ ومِثْلُهُ ، كما يقال: شبه وشبهه معنى)^(٢) وقال الفراهيدي (ت : ١٧٤ هـ) (هو اجتماع لفظة مع أخرى في وحدة دلالية، المثل: هو شبه الشيء في المثل والقدر ونحوه حتى في المعنى)^(٣)، فكلمة مثل بمعنى : سواء، والمماثلة تكون بين الذوات ولا تكون في غيرها، وهذا ما بينه أبو هلال العسكري (ت : ٣٩٥ هـ) بقوله: (إن

(١) معجم مقاييس اللغة : ابن فارس (٢٩٦ / ٥) .

(٢) الصحاح : الجوهري (١٨١٦ / ٥) .

(٣) العين : الفراهيدي (٢٢٨ / ٨) .

المثلين ما تكافأ في الذات) (١) .

ثانيا : الدلالة الإصطلاحية :

التمائل : (يراد به إثبات حكم واحد في جزأين؛ لثبوتها في جزئي آخر لمعنى مشترك بينهما ، والفقهاء يسمونه قياسا) (٢) .

نذكر بعض السور القرآنية التي فيها تماثل دلالي التي من خلالها يتم تصوير العلاقة بين المتماثلات التي يتجلى فيها بعض اشكال الانفراج والتي منها علاقة التماثل بين ألفاظ الطبيعة:

أولا : العين والينبوع :

١- العين : إن ما يلحظ من لفظتي (العين – والينبوع) هو قول ابن فارس في بيانها: (الْعَيْنُ وَالْيَاءُ وَالنُّونُ أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى عَضْوٍ بِهِ يُبْصَرُ وَيُنْظَرُ، ثُمَّ يُسْتَقُ مِنْهُ) (٣)، وبسبب التوسع اللغوي انتقلت دلالتها فأطلق لفظ العين على مسميات أخرى حسية ومعنوية منها ما تسمى به عين الماء والتي توصف بهذه الدلالة الجديدة، هي عين جارية تنبع من عيون الماء وسميت بهذا الاسم بأنها تشبه العين الناظرة من حيث صفاتها ومائها (٤) .

(إن عين الماء قد تطلق على ينبوع الماء، لأن كليهما ماء يخرج من الأرض يشرب منه ويسقى به، وأيضا استعملت فيما هو محسوس، كعين الميزان، واستعملت أيضا مجازا للدلالة على الدنانير والدرهم والجواسيس وغيرها من الاستعمالات) (٥) .

وقد وردت في القرآن الكريم مادة عين بصيغ إسمية مفردة ومجموعة، وجاءت بعدة دلالات مختلفة، منها : العين الباصرة التي هي حاسة البصر، وعين الماء التي هي منبع الماء الجاري، والحفظ، والمنظر، والقلب، وهناك دلالة أخرى، وهي النهر (٦)، وقد تلاحظ هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ (٧)، قيل معنى هذه الآية : (الأبرار جمع برّ، وهو المحسن المطيع لله تعالى الذي يقوم بالحقوق الواجبة ويؤدي النافلة، وقد أجمع المسلمون بطوائفهم وفرقهم كافة، المخالفون

(١) الفروق في اللغة : أبو هلال العسكري ، (١ / ١٥٤) .

(٢) التعريفات : علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت : ٨١٦ هـ) تح : ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ ، (١ / ٦٦) .

(٣) معجم مقاييس اللغة : ابن فارس، (٤ / ١٩٩)

(٤) ينظر: المصدر نفسه ، (٤ / ٢٠٠) .

(٥) المأثور من اللغة ما اختلف لفظه واتفق معناه ، أبي العميث الأعرابي، تح: محمد عبد القا در أحمد، مكتبة النهضة المصرية، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ ، (٦٣) .

(٦) ينظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن عبيد الله البغدادي، المشهور بأبن الجوزي (ت : ٥٩٧ هـ) ، تصحيح وتعليق : مهر النساء ، مطبعة دار المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، الهند ، ١٣٩٤ هـ ، (١ / ٤٤٣ - ٤٤٤) .

(٧) سورة الأنسان : آية ٦ .

منهم والمؤلفون أن المراد بالأبرار هنا علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وأن هذه الآية وما بعدها نزل فيهم دون غيرهم، فهؤلاء الأبرار يشربون في الآخرة من كأس أي من إناء فيه شراب كان مِزاجها أي يخالط الكأس كأفوراً وهو اسم عين في الجنة، ذات رائحة طيبة، أي يمازجها ريح الكافور الذي هو غير كافور الدنيا ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ أي: أن العين الممتزجة بريح الكافور يشرب منها أولياء الله سبحانه وتعالى وخصّهم بأنهم عباده تشريفا لهم ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ أي : يجرون ماء هذه العين حيث شأوا من قصورهم ومنازلهم، والتفجير هو شق الأرض بجري الماء^(١)، وعبر القرآن الكريم عن عبارة عين الماء بصيغ متعددة فضلا عن لفظة العين المفردة ومنها: عينان، في قوله تعالى : ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾^(٢)، الدالة على المثني، أي: (فوارتان تخرجان من منبعهما بالدفع)^(٣)، وكلمة (عيون) في قوله تعالى: ﴿ وَآيَةٌ لَهُمْ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾^(٤)، وقيل: (هي وقيل: هي الأرض القريبة منهم، يرونها ميتة لا حياة فيها، ولا ماء ينشئ الحياة ثم يرونها حية تنبت الحب، وتزدان بالجنان من نخيل وأعناب، وتتفجر فيها العيون، فتجري بالحياة حيث تجري، والحياة معجزة لا تملك يد البشر أن تجريها إنما هي يد الله سبحانه التي تجري المعجزات، وتبث روح الحياة في الموات وإن رؤية الزرع النامي، والجنان الوارفة، والثمر اليانع، لتفتح العين والقلب على يد الله سبحانه المبدعة، وهي تشق التربة عن النبتة المتطلعة للحرية والنور، وتتضرر العود المستشرف للشمس والضياء، وتزين الغصن اللدن بالورق والثمار، وتفتح الزهرة وتنضج الثمرة، وتهينها للجني والقطاف ﴿ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ﴾، أي: يد الله سبحانه هي التي أقدرتهم على العمل، كما أقدرت الزرع على الحياة والنماء ﴿ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾، ويلتفت عنهم بعد هذه اللمة الرفيقة ليسبح الله سبحانه الذي أطلع لهم النبت والجنان، وجعل الزرع أزواجا ذكرانا وأناتا كالناس وكغيرهم من المخلوقات الذي لا يعلمه إلا هو^(٥)، وقال الشيخ محمد هادي معرفة في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ

(١) الجديد في تفسير القرآن المجيد : محمد بن حبيب الله، السبزواري النجفي (ت : ١٤٠٩ هـ)، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٦ هـ ، (٢٨٢ / ٧) .

(٢) سورة الرحمان : آية ٦٦ .

(٣) الميزان في تفسير القرآن : السيد محمد حسين ، الطباطبائي (ت : ١٤٠٢ هـ) ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم ، ط٥ ، ١٤١٧ هـ ، (١١١ / ١٩) .

(٤) سورة يس : آية ٣٤ .

(٥) في ظلال القرآن : سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي (ت : ١٣٨٥ هـ)، دار الشروق ، بيروت ، القاهرة، ط١٧ ، ١٤١٢ هـ ، (٢٩٦٧ / ٥) .

فَأَنْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴿١﴾

أي : (طلب موسى لقومه السقيا، طلبها من ربّه فاستجاب له ، وأمره أن يضرب حجرا معينا بعصاه، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا بعدة أسباط بني إسرائيل ، ومن ثمّ فقد علم كلّ أناس مشربهم، أي العين الخاصّة بهم من الاثنتي عشرة عينا، وقيل لهم، على سبيل التذكير بنعم الله فيشكروها وبالتواؤم والانتلاف ولا يكفروها بالتنازع والاختلاف)^(٢) .

من خلال التعبير القرآني أن عين الماء، تنفجر من الأرض يلاحظ هنا أن كلمة الانفجار أشد من كلمة الأنبجاس، والذي ورد في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾^(٣)، وقول: (إن الانبجاس أكثر ما يقال فيما يخرج من شيء ضيق، والانفجار يستعمل فيه وفيما يخرج من شيء واسع)^(٤)، وقد ذكر أن الانفجار هو خروج الماء بكثرة ، والانبجاس هو خروجه بقلة وكان الماء يبتدأ قليلا ثم يتسع حتى يصير الى الكثرة^(٥) ، وأن لفظة العين جاءت لتصور مشاهد اليوم الآخر في وصف الجنة فقال الله عز وجل: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾^(٦)، قيل: (وسميت سلسبيلا لسيلانه في الأنهار عذبا الأنهار عذبا صافيا رقيقا، ولأنه سائغ في الخلق لصفائه وخفته، فلا يتوهم أن الزنجبيل يوجب لدعاً وحرقة)^(٧)، وذكر في اللغة : (إنه صفة لما كان في غاية السلاسة، وأنه شبه به الماء لسلاسته وعذوبته وكان العين سميت بصفتها)^(٨)، كما يقول الله عز وجل في كتابة الكريم : ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾^(٩)، وتبين الآية أن الانفجار أوسع وأقوى من الانبجاس، وان الانفجار: يدل على التدفق القوي والغزير للماء، كما ورد في سورة البقرة ﴿ فَأَنْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾، مما يشير إلى خروج الماء بغزارة وقوة، والانبجاس يدل على خروج الماء ولكن بشكل أقل من الانفجار، كما جاء في سورة الأعراف ﴿ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾، وبالتالي فإن الاختلاف في التعبير بين الآيتين يدل على أن الماء في سورة البقرة كان

(١) سورة البقرة : آية ٦٠ .

(٢) التفسير الأثري الجامع: الشيخ محمد هادي معرفة (ت : ١٤٢٧هـ)، الناشر: المؤسسة الثقافية لنشر التمهيدي، قم ، إيران، ط ١، ١٤٢٩هـ، (٣ / ١٨٧) .

(٣) سورة الأعراف : آية ١٦٠ .

(٤) الكلبيات : أيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي ، أبو البقاء الحنفي (ت : ١٠٩٤هـ) المحقق : عدنان درويش - محمد المصري ، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت ، د . ط ، د . ت (١ / ٢٠٠) .

(٥) ينظر: التفسير الكبير: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري الرازي، فخر الدين الرازي (ت : ٦٠٦هـ) د . ط ، د . ت ، (٣٨٨ / ١٥) .

(٦) سورة الانسان : آية ١٨ .

(٧) تقريب القرآن الى الأذهان : السيد محمد الحسيني الشيرازي (ت : ١٤٢٢هـ) ، الناشر: دار العلوم ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٤هـ، (٥ / ٥٧٦) .

(٨) معاني القرآن : للفراء ، (٣ / ٢١٧) .

(٩) سورة المطففين : آية ٢٨ .

أكثر غزارة وقوة عند خروجه، مقارنة بسورة الأعراف حيث كان التدفق أقل، وهذا قد يشير إلى اختلاف ظروف بني إسرائيل في الحالتين، فربما في البداية كان الماء يخرج بكمية قليلة (انبجس)، ثم زاد وتدفق بغزارة لاحقاً (انفجر) كنعمة متزايدة من الله سبحانه وتعالى عليهم .

٢- الينبوع : فهو على صيغة الوزن الصرفي يفعل، واشتق من مادة ينبع، ويقال : (ينبع الماء نبعاً ونبوعاً إذا خرج من العين، ولذلك سميت العين ينبوعاً)^(١)، قال ابن فارس، أن : (النَّوْنُ وَالْبَاءُ وَالْعَيْنُ كَلِمَتَانِ، إِحْدَاهُمَا نُبُوعُ الْمَاءِ، وَالْمَوْضِعُ الَّذِي يَنْبُعُ مِنْهُ يَنْبُوعٌ، وَمَنَابِعُ الْمَاءِ مَخَارِجُهُ مِنَ الْأَرْضِ)^(٢)، وقول: (ينابيع الأمكنة التي ينبع منها الماء، وواحد الينابيع يَنْبُوعٌ وتقدره يَفْعُولٌ مِنْ نَبَعَ يَنْبُعُ)^(٣)، قال: ابن عاشور (الينْبُوعُ: اسْمٌ لِلْعَيْنِ الْكَثِيرَةِ النَّبْعِ الَّتِي لَا يَنْضُبُ يَنْضُبُ مَآوُهَا، وَصِيغَةُ يَفْعُولٍ صِيغَةُ مُبَالَعَةٍ غَيْرُ قِيَاسِيَّةٍ)^(٤).

وقد وردت الصيغة المفردة (ينبوع) بزنة (يفعل) كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴾^(٥)، ومن اليقين وعدم الشك بأن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، كان لديه معجزات غير القرآن الكريم إلا أن أولئك الذين طالبوا النبي محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) بتلك المعجزات هم كفار قريش، وخاصة رؤساءهم وأكابرهم، مثل الوليد بن المغيرة، وأبو جهل، والعاص بن وائل، والنضر بن الحارث، وغيرهم ممن كانوا ينتزعون المعارضة الشديدة للدعوة الإسلامية، لم يكن مرادهم من وراء كلامهم هو الحصول على معجزة، بل كان مرادهم وقصدهم من جهة ألا يعتبروا القرآن الكريم ذا أهمية وكتاباً إعجازياً، ومن جهة أخرى كانوا يريدون بمعجزات مقترحة منهم وليس من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وإن المراد من المعجزات المقترحة بأن يأتي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) طبقاً لرغبات هذا وذاك بمعجزات خارقة للعادة هم يقترحونها عليه فمنهم من يريد أن يفجر له الأرض ينابيع من الماء الزلال ، ويريد آخر منهم أن يقلب له الجبال في مكة ذهباً، ويريد الثالث بأن هذا لا يكفي بل ينبغي ويرغب بالصعود إلى السماء^(٦)، وكما ووردت الصيغة المجموعة (ينابيع) كما جاء في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ

(١) العين : الفراهيدي (١٦٠ / ٢) .

(٢) مقاييس اللغة : ابن فارس ، (٣٨١ / ٥) .

(٣) معاني القرآن وأعرابه : إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت : ٣١١ هـ) ، تح : عبد الجليل الجليل عبده شلبي، الناشر : عالم الكتب - بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ ، (٣٥٠ / ٤) .

(٤) التحرير والتنوير : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت : ١٣٩٣ هـ) ،

الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس ، د . ط ، ١٩٨٤ هـ (٢٠٨ / ١٥) .

(٥) سورة الإسراء : آية ٩٠ .

(٦) ينظر : الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ناصر، مكارم الشيرازي، منشورات مدرسة الإمام علي (ع)، ط ١، ١٤٢١ هـ، (٤٢٨ / ١٢) .

فِي الْأَرْضِ ﴿^(١)﴾، إن الله سبحانه وتعالى يخاطب نبيه محمد (صلى الله عليه واله وسلم) والمراد به هو جميع المكلفين على وجه التنبيه لهم بالأدلة الدالة على توحيده واختصاصه بصفات لا يشركه بها أحد أما علمت يا محمد أن الله سبحانه وتعالى أنزل من السماء مطراً فسلكه ينابيع في الأرض أي أدخله في عيون الأرض ومنابعها والسلوك هو الدخول في الشيء وبهذا حسن في صفة الماء الجاري، فسلكه ينابيع في الأرض، والينابيع جمع ينبوع ، وهو خروج الماء من العيون، الينبوع المكان الذي ينبع منه الماء، فنقول ينبع الماء من موضع كذا إذا فارمنه، وعيون الماء مستودع الماء، ونبع الماء إذا انفجرت به العيون^(٢)، وجاء أيضا في تفسير هذه الآية : هو بيان لما أودع الله سبحانه وتعالى من الخزانات الجوفية التي تتجمع فيها، وهي تسير حسب القوانين الطبيعية التي أودعها الله تعالى في الكون، لكي تتم عملية توزيع المياه وتفجير الينابيع، فترى انبثاق الحياة الخضراء النافية من التراب الميت الذي قد يتحول بقدرة من الله تعالى إلى بذور حية تختزن في داخلها سر النمو و حركة الحياة، فتتفاعل في خصائص الأرض والماء والهواء، ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه^(٣)، والمراد بهذا الإشعار هو سعة هذه النعمة وهو فرج قد أنزله الله سبحانه وتعالى من السماء على عباده أجمع، وقد أصبحت بعد نزولها إلى الأرض ينابيع كثيرة، إن المفهوم من الثنائية العين والينبوع هو وجود جهة تماثل بينهما وهو الخروج والتدفق وأما الجهة الأخرى من حيث الاختلاف هي الشدة والضعف، وأما وجه الانفراج بينهما هو التوسع لمفردة العين وذلك باقترانها بلفظة الانفجار وأما مفردة الينبوع ففيها جهة مبالغة تدل على الكثرة والغزارة لكثرة النبع وكذلك اقترنت بالانفجار في القرآن الكريم والينبوع فية دلالة استشعارية على أنها أكثر انفراجا من حيث السعة من العين .

(١) سورة الزمر : آية ٢١ .

(٢) ينظر : التبيين في تفسير القرآن : محمد بن الحسن ، الطوسي ، تح : أحمد قصير العملي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ، د . ت ، (١٩ / ٩)

(٣) ينظر : تفسير من وحي القرآن : السيد محمد حسين، فضل الله ، دار الملاك للطباعة والنشر، ط ٢ ، ١٤١٩ هـ . (٣٢٢ / ١٩) .

المطلب الثاني : علاقة التخالف :

إن علاقة التخالف في القرآن الكريم تتجلى في بيان التفاوت بين الأمور وفق سنن إلهية دقيقة، حيث يوضح القرآن وجود اختلاف في المراتب والصفات والأحوال بين المخلوقات والأحكام، وقد أشار القرآن إلى هذا المفهوم في مواضع متعددة، منها الاختلاف في الفهم والإدراك بين الناس، والتفاوت في الدرجات والمقامات، كما أن مفهوم التخالف يظهر في كيفية تباين الأحوال والأوضاع وفقاً للحكمة الإلهية، مما يعزز الفهم العميق لسنن الكون والحياة .

أولاً : التخالف لغة : وهو تخالف الأمرين واختلفا ولم يتفقا وكل شيء مالم يتساوى، فقد تخالف واختلف^(١)، كما في قوله تعالى: ﴿ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ ﴾^(٢) .

ثانياً : التخالف اصطلاحاً : هو اختلاف الشيئين من حيث هُما، لا من حيث ما يشتركان فيه، سواءً أكان الاختلاف في الشخص مع اتحادهما نوعاً، أو في النوع مع اتحادهما جنساً، أو في الجنس مع اتحادهما في بعض الأعراض، وقد يُطلق التخالف بمعنى ما يُقابل التماثل، فيشمل التقابل أيضاً، فيقال للمتقابلين إنهما متخالفان من حيث التباين^(٣)، ويتضح أن تعريف التخالف اصطلاحاً: هو التباين بين شيئين بإلغاء اجتماعهما في محل واحد، سواء كانا من الصفات المتعارضة مثل الأبيض والأسود، أو في النوات مثل الإنسان والحجر، أو في النوع والجنس والوصف مثل الإنسان والفرس أو العاقل والمجنون.

علاقة التخالف بين ألفاظ الطبيعة :

نتطرق إلى بعض السور القرآنية التي فيها تخالف دلالي التي يمكن من خلالها تصوير العلاقة بين التخالفات التي يمكن أن يتجلى فيها بعض أنواع الانفراج أو أي شكل من أشكاله والتي منها علاقة التخالف بين ألفاظ الطبيعة منها:

الغيث والمطر :

إن القرآن الكريم قد استعمل في تعبيره عن الماء النازل من السماء، والذي يسمى عند الناس بالمطر، وهو أكثر تعبير متخالف ، والذي نجده في التعبير عن لفظ الماء هو أصل كلمة الماء وهو موه ، فأبدلت الهمزة في الماء من الهاء ، وذلك بدلالة قولهم عند جمعه أمواه ومياه وعند تصغيره مويه^(٤) .

(١) ينظر : لسان العرب : محمد بن مكرم بن علي ، أبو الفضل ، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت : ٧١١ هـ) ، دار صادر ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤١٤ هـ ، (٩١ / ٩) .

(٢) سورة الأنعام : آية ١٤١ .

(٣) ينظر : المقرر في شرح منطق المظفر مع متنه المصحح : السيد رائد الحيدري ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ (٧١ / ١)

(٤) ينظر : العين : الفراهيدي ، (١٠١ / ٤) .

وقال الكفوي : (الماء : هُوَ جِسْمٌ رَقِيقٌ مَائِعٌ بِهِ حَيَاةٌ كُلُّ نَامٍ)^(١).

وقد وردت لفظة ماء في القرآن الكريم بصيغة واحدة وهي صيغة المفرد، في عدة مواضع كما في قوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ﴾^(٢)، وأيضا في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾^(٣) .

وقد ذكر في الآية الأولى ذكر (إنزال الماء من السماء وإخراج الثمرات به، وهذا من باب التذكير بقدرة الله سبحانه وتعالى، والتذكير بنعمته والماء النازل من السماء هو مادة الحياة الرئيسية للأحياء في الأرض جميعاً، فمنه تنشأ الحياة بكل أشكالها ودرجاتها ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ سواء أنبت الزرع مباشرة حين يختلط بالأرض، أو كون الأنهار والبحيرات العذبة، أو انساح في طبقات الأرض فتألفت منه المياه الجوفية ، التي تنفجر عيوناً أو تحفر آباراً أو تجذب بالآلات إلى السطح مرة أخرى)^(٤)، بينما ذكر في قوله تعالى في الآية الثانية ﴿ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾، قال الطباطبائي : (يريد الله سبحانه وتعالى أن ينبت الأرض بعدما انقطعت عنه بحلول الشتاء بماء السماء وهو المطر فتأخذ أصول النباتات وبذورها في النمو بعد سكونها)^(٥)، ومعنى آخر: هو أن الله سبحانه وتعالى هو المستحق للعبادة وهو الذي انعم على خلقه وأنزل عليهم من السماء ماء يعني غيثاً ومطراً فأحيا به الأرض بعد موتها وهو قد أحياها بذلك الماء، وأحيا النباتات بعد جدوبها وقحطها، وفي ذلك أعظم دلالة وأجل أية مما يدل على الفرج وهو الإحياء بعد الإماتة^(٦) .

وقد عبر القرآن الكريم عن الماء بلفظ الغيث، بحيث وردت مادة غيث في القرآن الكريم في عدة آيات نذكر بعض منها :

١- قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَسْتَعِثُّوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾^(٧)، وهم الذين يغاثوا بالزيت المغلي أو النحاس المذاب يشوي الوجوه، وذلك لحرارته

(١) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية : أيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي ، أبو البقاء الحنفي (ت : ١٠٩٤ هـ) تح : عدنان درويش ، محمد المصري ، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت ، . د . ط ، د . ت ، (١ / ٨٧٣) .

(٢) سورة البقرة : آية ٢٢ .

(٣) سورة النحل : آية ٦٥ .

(٤) في ظلال القرآن : سيد قطب ، إبراهيم حسين الشاذلي (ت : ١٣٨٥ هـ)، دار الشروق ، بيروت ، القاهرة، ط١٧، ١٤١٢ هـ، (١ / ٤٧) .

(٥) الميزان في تفسير القرآن : الطباطبائي ، السيد محمد حسين ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعه لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم ، ط٥ ، ١٤١٧ هـ، (١٢ / ٢٨٦) .

(٦) ينظر: التبيان في تفسير القرآن : الطوسي، محمد بن الحسن، دار إحياء التراث العربي ، تح : أحمد قصير العاملي، ط١، د . ت ، (٦ / ٣٩٨ هـ) .

(٧) سورة الكهف : آية ٢٩ .

ونتنه عندما يقرب إلى الفم، وان بئس الشراب، المهل، وساءت النار مرتفقاً أي متكاً لينا يستراح به^(١).

٢- **قوله تعالى** : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾^(٢)، قيل : المعنى ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ أي : الساعة سميت بها القيامة لأنها تقوم في آخره ساعة من ساعات الدنيا أي عنده علم وقت قيام القيامة وما يتبعه من الأحوال والأهوال وهو متفرد بعلمه فلا يدرى أحد من الناس في أي سنة ﴿ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ ﴾ أي : سمي المطر غيثاً لأنه غياث الخلق به رزقهم وعليه بقاؤهم فالغيث مخصوص بالمطر النافع اي وينزله في زمانه الذي قدره من غير تقديم وتأخير الى محله الذي عينه في علمه من غير خطأ و تبديل فهو متفرد بعلم زمانه ومكانه وعدد قطراته، ما من ساعة من ليل ولانهار الا السماء تمطر فيها يصرفه الله تعالى حيث يشاء فمن أراد استجلاب الرحمة فعليه بالتوبة و الندامة والتضرع الى قاضي الحاجات باخلص المناجاة ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ﴾ أي : الرحم بيت منبت الولد ووعاؤه ويعلم ذاته أذكر أم أنثى حي أم ميت وصفاته أتام أم ناقص حسن أم قبيح سعيد أم شقي ، ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ ﴾ من النفوس والدراية المعرفة المدركة بضرب من الحيل ولذا لا يوصف الله سبحانه وتعالى بها ولا يقال الداري^(٣).

٣- **وقال تعالى** : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾^(٤)، قيل : (والله الذي ينزل المطر من السماء فيغيثكم به أيها الناس ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا ﴾ قيل من بعد ما ينس من نزوله ومجيئه، ﴿ وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ ﴾ يقول : وينشر في خلقه رحمته، ويعني بالرحمة: الغيث الذي ينزله من السما^(٥)، فورد التعبير في هذه الآيات عن (الماء بالغيث) وذلك كون الغيث يغيث الناس بإحياء الأرض بالنبات والاستسقاء منه لدوابهم وأرضهم وأنفسهم، وقد عبر أيضاً القرآن الكريم عن الماء بلفظ (أمطر)، بحيث وردة مادة أمطر في القرآن الكريم في عدة آيات نذكر بعض منها :

(١) ينظر: تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة : كئابادي ، السلطان محمد ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ، ط٢، ١٤٠٨ هـ ، (٢ / ٤٦٤) .

(٢) سورة لقمان : آية ٣٤ .

(٣) تفسير روح البيان : إسماعيل حقي البروسوي ، (ت : ١١٣٦ هـ) الناشر: دار الفكر، بيروت ، ط ١ ، د . ت ت (١٠٣ / ٧) .

(٤) سورة الشورى : آية ٢٨ .

(٥) جامع البيان في تفسير القرآن : أبو جعفر محمد بن جرير، الطبري (ت : ٣١٠ هـ) الناشر: دار المعرفة، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ ، (٢٥ / ٢٠) .

١- قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنْ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بَعْدَابٍ أَلِيمٍ ﴾^(١)، قال والمعنى : (لقد كانوا يقولون ذلك لشدة تعصبهم وعنادهم، وكانوا يتصورون أنّ الدين الإسلامي لا أساس له أبداً، وإلاّ فإنّ أحداً يحتمل حقانية الإسلام كيف يمكنه أن يدعو على نفسه بمثل هذا الدعاء، كما ويحتمل أيضاً أنّ شيوخ المشركين وسادتهم يقولون ذلك الكلام لتضليل الناس وليثبتوا لبسطائهم أنّ رسالة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) باطلة تماماً، في حين أنّهم لا يعتقدون بما يقولون، وكأنتهم، أي: المشركين، يريدون أن يقولوا للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إنّك تتكلم عن الأنبياء السابقين، وإنّ الله سبحانه وتعالى قد أهلك أعداءهم بحجارة أمطرها عليهم، كما هي الحال في شأن قوم لوط، فإن كنت صادقاً فيما تقول فأمطر علينا حجارة من السماء)^(٢) .

٢- قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ ﴾^(٣)، قال الطوسي : ﴿ جَاءَ أَمْرُنَا ﴾ (فيها ثلاث معاني المعنى الأول، جاء أمرنا الملائكة بإهلاك قوم لوط، والمعنى الثاني، يعني العذاب كأنه قيل (كن) والمعنى الثالث هو ان يكون الامر نفس الإهلاك لان في الأمر معنى التعظيم، وقوله ﴿ جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا ﴾ أي: قلبنا القرية أسفلها أعلاها، ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا ﴾ يعني: ارسلنا على القرية حجاره بدل المطر حتى اهلكتهم عن اخرهم وقوله ﴿ مِنْ سِجِّيلٍ ﴾ فيها عدة معاني نأخذ منها، انها حجارة صلبة ليست من جنس حجارة الثلج والبرد ومعنى آخر هو من طين قط طبخ حتى صار بمنزله الأجر، وقول ﴿ مَنْضُودٍ ﴾ أي نضد بعضه على بعض حتى صار حجراً^(٤)، يتبين من ثنائية (الغيث والمطر) إن هناك جهة تماثل، حيث يشتركان في الدلالة على نزول الماء من السماء ، لكن القرآن يستخدم لفظ الغيث بدلاً من المطر في سياق الرحمة والاستجابة للدعاء ، بينما يستخدم المطر في مواضع العقوبة والانتقام ، وأما وجه الاختلاف، فالمطر قد يكون ضاراً عند تجاوز الحاجة، في حين أن الغيث يحمل الخير والنفعة دائماً، وجهة الانفراج تكمن في تقسيم المطر إلى قسمين: أحدهما نافع عند الحاجة، والآخر غير نافع إن زاد عن المطلوب، وعند تجاوز الحاجة يصبح المطر ضرراً بدلاً من نفعه، وهذا ما يحقق الانفراج عند حصول المقدار المطلوب من المطر .

(١) سورة : الأنفال آية : ٣٢ .

(٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ناصر مكارم الشيرازي (٥ / ٤١٤) .

(٣) سورة هود : آية ٨٢ .

(٤) التبيان في تفسير القرآن : الطوسي ، (٦ / ٤٥ - ٤٦) .

المطلب الثالث : علاقة التقابل :

إن علاقة التقابل تعبر عن الترابط بين مفهومين متعاكسين أو متكاملين، بحيث يوضح كل منهما الآخر من خلال التناقض أو التضاد، تظهر هذه العلاقة في المنطق من خلال التناقض بين القضايا، وفي القرآن الكريم من خلال أسلوب المقابلة، مثل قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴾^(١)، مما يعزز وضوح المعاني ويبرز الفروق بين المتضادات.

أولاً : التقابل لغة : يقول الخليل (ت : ١٧٥ هـ) : (والقبل : الطاقة، تقول: لا قبل لهم، ويأتي في معنى آخر وهو التلقاء، تقول: لقيته قبلاً أي مواجه)^(٢)، وجاء في مختار الصحاح: والمقابلة المواجه والتقابل مثله^(٣)، وقال ابن فارس : (ت : ٣٩٥ هـ) (القاف والباء واللام أصل واحد صحيح تدل كلمه كلها على مواجهة الشيء للشيء)^(٤)، وفي المحكم والمحيط الأعظم في اللغة قال ابن سيده (ت : ٤٥٨ هـ) (وقابل الشيء بالشيء مقابله، وقبالاً عارضه وتقابل القوم: استقبل بعضهم بعضاً، وقوله تعالى: في وصف أهل الجنة، ﴿ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾^(٥)، جاء في التفسير: (أنه لا ينظر بعضهم في أقاء بعض)^(٦)، وقيل: في لسان العرب: (المقابلة المواجه، والتقابل مثله وهو قبالك وقبالتك أي تجاهك)^(٧)، اذن يتبين إن التقابل في اللغة يعني المواجهة المباشرة بين شيئين أو شخصين، سواء في اللقاء أو التلاقي أو الاستقبال ، وقد أكد العلماء ذلك من خلال معاني مثل المعارضة ، الاستقبال ، وعدم رؤية الأفقية ، كما في تفسير الآية ﴿ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾ أي أنهم يجلسون متواجهين .

(١) سورة الليل : آية ٥ - ٨ .

(٢) العين : الفراهيدي ، (١٦٦ / ٥) .

(٣) مختار الصحاح : أبو بكر الرازي ، (٣٣٢) .

(٤) معجم مقاييس اللغة : أبو الحسين أحمد بن فارس ، (٨٧٢) .

(٥) سورة الحجر : آية ٤٧ .

(٦) المحكم والمحيط الأعظم : أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ، تح : عبد الحميد الهنداوي، دار

الكتب العلمية ، بيروت ، د . ط ، ٢٠٠٠ م ، (٤٢٩ / ٦) .

(٧) ابن منظور : لسان العرب ، (١١ / ٥٤٠) .

ثانيا : التقابل اصطلاحا : قال السيد الحيدري : (وهما المعنيان المتنافران اللذان لا يجتمعان في محل واحد من جهة واحدة في زمان واحد، مثلا (كالإنسان واللائسان)، (والأعمى والبصير) (والأبوة والبنوة)، (والسواد والبياض)، وبقيد وحدة المحل دخل مثل التقابل بين السواد والبياض وهذا مما يمكن اجتماعهما في الوجود، كبياض القرطاس وسواد الحبر وقيد وحدة الجهة دخل مثلا التقابل بين (الأبوة والبنوة) مما يمكن أن يكون اجتماعهما في محل واحد من جهتين، وبذلك قد يكون شخص أبا لشخص وابنا لشخص آخر، وبقيد وحدة الزمن دخل مثل التقابل بين الحرارة والبرودة مما يؤدي الى اجتماعهما في محل واحد في زمانين إذ قد يكون جسم بارد في زمان ونفسه حار في زمان آخر)^(١) .

تنقسم علاقة التقابل الى :

أولا : النقيضان : وهو تقابل النقيضين أو السلب والإيجاب مثل: إنسان ولا إنسان، سواد ولا سواد والنقيضان هما أمران وجودي وعدمي أي يكون عدم لذلك الوجودي، وهما لا يجتمعان ولا يرتفعان ببديهية العقل ولا بينهما واسطة^(٢)، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَحْلَلْ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلٌّ لَهُمْ ﴾^(٣)، وأيضا قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ ﴾^(٤)، بيان الآية الأولى، إن قوله ﴿ الْيَوْمَ ﴾ هو دلالة الامتنان من الله سبحانه وتعالى على المؤمنين بإحلال طعام أهل الكتاب والمحصنات من نسائهم للمؤمنين وكان ضم قوله تعالى ﴿ أَحْلَلْ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ ﴾ حتى قوله ﴿ وَطَعَامَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ (الخ) هذا من قبيل ضم المقطوع به إلى المشكوك فيه لإيجاد الطمأنينة في نفس المخاطب حتى يزال منه القلق والاضطراب وإن نفوس المؤمنين لاتهدأ ولاتسكن وتكون مضطربة بأمر حل الطعام أهل الكتاب لهم لأنهم كانوا يشاهدون ويلاحظون أمر التشديد التام في معاشرتهم ومخالطتهم ومساسهم وولايتهم حتى ضم إلى حديث حل طعامهم أمر حل الطيبات بأمر مطلق فعندها فهموا منه أن طعامهم من نسخ سائر الطيبات المحللة فعندها سكن بذلك طيش نفوسهم، واطمأنت لها قلوبهم^(٥)، وبيان الآية الثانية من قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ ﴾ وهو خطاب مجدد للمؤمنين إفادته هي شدة العناية بحرمات الله سبحانه وتعالى، وإن الإحلال فيها هو الإباحة الملازمة لعدم المبالاة والإهمال والمنزلة، فإن إحلال شعائر الله سبحانه وتعالى عدم

(١) المقرر في شرح منطق المظفر مع متنه المصحح : السيد رائد الحيدري ، (٧٠) .

(٢) ينظر : المصدر نفسه ، (٧٠ - ٧١) .

(٣) سورة المائدة : آية : ٥ .

(٤) سورة المائدة : آية : ٢ .

(٥) ينظر : الميزان في تفسير القرآن : الطباطبائي ، (٢٠٣ / ٥) .

إحترامها وتركها ، وإن إحلال الشهر الحرام هو عدم حفظ حرمة والقتال فيه^(١)، إذن ورد في هاتين الآيتين النقيضان ، وهما في كلمتي : ﴿ أَحَلَّ ﴾ و ﴿ لَا تَحْلُوا ﴾، فقد وردت ﴿ أَحَلَّ ﴾ بمعنى (أَيْبَحُ)، بينما ﴿ لَا تَحْلُوا ﴾ بمعنى (لَا تُبِيحُوا)، فالإحلال في اللغة القرآنية يشير إلى الإباحة التي تترافق مع عدم المبالاة بالحرمة والمنزلة، لكن معنى الإحلال يتعين وفقاً لما يُضاف إليه فيختلف معناه حسب السياق، ففي قوله تعالى : ﴿ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ ﴾ ، يُفهم الإحلال في إطار إباحة الطيبات مع مراعاة الطهارة والشرعية، أما في قوله : ﴿ لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ ﴾، فإن الإحلال في هذا السياق يفيد التهاون في احترام شعائر الله وتركها، وعليه، فإن الإحلال في الشهر الحرام يعني عدم حفظ حرمة من خلال القتال فيه، وهو نوع من التعدي على المحرمات، بهذا تكون الثنائية بين الإحلال وعدم الإحلال تمثل تعبيراً عن مفهوم الانفراج، إذ يتيح الإحلال توسعة للمكلف، في حين يضمن عدم الإحلال المحافظة على الحدود والضوابط، وتعد هذه الفكرة تعبيراً آخر عن الانفراج الذي يتيح للمؤمن التوسع في المباحات مع الالتزام بالقيود الشرعية .

(١) ينظر : الميزان في تفسير القرآن : الطباطبائي ، (١٦٢ / ٥) .

ثانيا : الضدان :

علاقة الضدين في القرآن الكريم تعكس أسلوباً بلاغياً يبرز التباين بين المفاهيم المختلفة مما يساعد على توضيح المعاني وتقريبها إلى الأذهان، ويستخدم القرآن هذا الأسلوب بتركيز ودقة لإيصال الرسائل بوضوح، حيث يظهر الفرق بين الأشياء المتقابلة بأسلوب يجذب الانتباه ويعمق التأمل في المعاني، والضدان هما الوجوديان المتعاقبان على موضوع واحد ولا يتصور اجتماعهما فيه، ولا يتوقف تعقل أحدهما على تعقل الآخر، وفي كلمة المتعاقبان على موضوع واحد يفهم أن الضدين لا بد أن يكونا صفتين^(١).

التطبيقات القرآنية : بين الضدين (الحق والباطل) :

نذكر بعض السور القرآنية التي تدل على علاقة التضاد بين الثنائيات ومنها ثنائية الحق والباطل، كما في قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْفُفُ مَا يَأْفُكُونَ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(٢)، ومن الآيتين الكريمتين يتبين لنا مشهد من مشاهد غلبة الحق على الباطل الذي ينتعش، ويسحر العيون، ويسترهب القلوب، ويخيل إلى الكثيرين أنه غالب وجارف ومحيق ، وما هو إلا أن يواجه الحق الهادئ الواصل حتى ينطفئ كشعلة الهشيم وان الحق هو راجح الوزن وثابت القواعد وعميق الجذور وان التعبير القرآني في الآيتين المباركتين وهو يصور الحق واقعا ذا ثقل وثبت واستقر وقد ذهب ما عداه فلم يعد له وجود وغلب الباطل والمبطلون وذلوا وانكمشوا وصغروا بعد الزهو الذي كان يبهر العيون^(٣)، ومعنى قوله تعالى: ﴿ أَنْ أَلْقِيَ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْفُفُ مَا يَأْفُكُونَ ﴾، قد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه موسى (عليه السلام) بان يلقي ما في يمينه فرماها وهيه عصاه فلقاها فتحوالت الى حية لها سرعتها وحيويتها تلفف وتاكل وتبتلع كل ما كذبه وزوره سحرة فرعون من افك السحر وجميع مخايله^(٤)، وأن المعجزة لن يغلبها سحر أبداً سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ أُرُوها بالحيل والشعوذة، وخيلوا إليها ما الحقيقة بخلافه، كقوله تعالى ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴾، قيل: (وأنهم ألقوا حبالا غلاظاً وخشبا طوالا، فإذا هي أمثال الحيات، قد ملأت الأرض وركب بعضها بعضا وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَأَرْهَبُوهُمْ إرهابا شديداً، كأنهم استدعوا رهبتهم بِسِحْرِ عَظِيمٍ في باب السحر، وأنهم

(١) ينظر : المقرر في شرح منطق المظفر مع متنه المصحح : السيد رائد الحيدري ، (٧٢ - ٧٣) .

(٢) سورة الأعراف : آية ١١٧ - ١١٨ .

(٣) ينظر : في ضلال القرآن : سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي (ت : ١٣٨٥ هـ) ، الناشر : دار الشروق - بيروت- القاهرة ، ط ١٧ ، ١٤١٢ هـ ، (٣ / ١٣٥٠) .

(٤) ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي ، أبو جعفر الطبري (ت : ٣١٠ هـ) تح : أحمد محمد شاكر ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ (١٣ / ٢٩)

لونوا حبالهم وخشبهم وجعلوا فيها ما يوهم الحركة، وجعلوا فيها الزئبق ما يَأْفُكُونَ^(١) .
ويلاحظ أنّ القرآن الكريم يُبرز تقابلاً ثنائياً واضحاً بين الحقّ والباطل، ويُعدُّ هذا التقابل من أبرز مظاهر الانفراج العقدي في القصص القرآني ، كما يتجلّى بوضوح في مشهد مواجهة موسى (عليه السلام) لسحرة فرعون، فقد بدا سحرُ السحرة للناس واقعاً محسوساً، حتى خيّل إليهم أنه حقيقة ثابتة ، غير أن هذا الظنّ سرعان ما تهاوى أمام الحقيقة الربانية حين ألقى موسى (عليه السلام) عصاه، فتحوّلت إلى حية تلقف ما صنعوه، هذه اللحظة تمثّل ذروة الانفراج حيث يظهر الحق ظهوراً قاطعاً يقضي على الباطل، ويُزيل ما علق في النفوس من تردّد أو ظنّ، ومن خلال هذا المشهد، تتكشف أبعاد الثنائية المفصلية بين الإيمان والكفر، حيث يمثّل موسى (عليه السلام) محور الإيمان، ويقابله سحرة فرعون على محور الكفر، وفي هذا السياق، يكون الباطل، وإن ظهر بمظهر القوة مجرد خداع لا يصمد أمام برهان الحق فالانفراج هنا لا يتحقّق عبر مجرد غلبة مادية، بل من خلال تحوّل معرفي ونفسي، ينتقل فيه الناس من تصديق الوهم إلى اليقين بالحق، ومن الانبهار بالمظاهر إلى الإيمان بالجوهر، وهكذا، تتجسّد ثنائية الحق والباطل في هذا الموقف القرآني بوصفها أداة لإحداث الانفراج، من خلال بيان أن ثبات الحقّ وسنده الإلهي كفيلاّن بإزالة كل زيف، مهما بلغ من التأثير الظاهري، ومن ثم، فإن لحظة انكشاف الباطل أمام سلطان الحق تمثّل ذروة الانفراج، باعتبارها تحوّلًا جوهريًا في مسار الوعي والإيمان .

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد ، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ) ، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت ، ط ٣، ١٤٠٧هـ (٢ / ١٤٠) .

ثالثاً : الملكة وعدمها : وهي (تقابل الملكة وعدمها) كالبصر والعمى) ، (والزواج والعزوبية) ، فالبصر ملكة والعمى عدمها ، والزواج ملكة والعزوبية عدمها ولا يصح أن يحل العمى إلا في موضع يصح فيه البصر ، لأن العمى ليس هو عدم البصر مطلقاً ، بل عدم البصر الخاص فالحجر لا يقال فيه أعمى ولا بصير ، ولا أعزب ولا متزوج ، لأن الحجر ليس من شأنه أن يكون بصيراً ، ولا من شأنه أن يكون متزوجاً إذن (الملكة وعدمها) : هما أمران وجودي وعدمي لا يجتمعان ، ويجوز أن يرتفعا في موضع لا تصح فيه الملكة (١).

التطبيقات القرآنية : بين (الفناء والبقاء) :

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٢) ، يبين لنا الله سبحانه وتعالى بان الذي لديكم في الحياة الدنيا فهي حياة مادية قائمة على أساس التبدل والتحول والتغير والتي تكون منعوتة بنعت الحركة والتغير وهو زائل نافذ ، وما عند الله سبحانه وتعالى مما يعده المتقين منكم باق لا يزول ولا يفنى وإن الباقي خير من النافذ بصريح حكم العقل ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ عندما يكون الوفاء بالعهد مستلزماً بالصبر ، وهذا وعد مؤكد على مطلق الصبر سواء كان صبراً على الطاعة أو عن المعصية أو عند المصيبة ويجب أن يكون الصبر في جنب الله تعالى ولوجهه (٣) ، ثم بيّن الله سبحانه وتعالى أن سبب كون الثواب أفضل من متاع الدنيا هو أن ثواب الآخرة باقٍ ، بينما نعيم الدنيا زائل وفاني ، وأنه سيجزي الصابرين الذين التزموا الطاعة والعهود ﴿ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ، وذلك لأن أفعال الإنسان قد تكون طاعة أو مباحة ، والمباح لا ثواب فيه ولا مدح ، في حين أن الطاعة أفضل وأكمل ، وهذا يبطل قول من يزعم أنه لا يوجد فرق بين درجات الحسن ، فهناك دائماً ما هو أحسن وأكمل (٤) ، ويلاحظ من خلال هذه الآية عندما يُذكر أن ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ ، فإنه يظهر أن ما في الدنيا زائل ، لكن ما عند الله هو دائم ، ومن هنا ، تكون الملكة الحقيقية هي في العمل لله سبحانه وتعالى في الطاعة والصبر على المصائب ، لا في الأعمال المباحة التي لا تنطوي على إرادة أو طاعة حقيقية ، في حين أن أعمال الإنسان التي تحمل النية الطيبة والصدق مع الله سبحانه وتعالى ، هي التي تعتبر ملكة حقيقية لأنها تقود إلى الثواب الباقي ، الربط بين الملكة وعدمها يكون في أن

(١) المقرر في شرح منطق المظفر مع متنه المصحح : السيد رائد الحيدري ، (٧٢) .

(٢) سورة النحل : آية ٩٦ .

(٣) ينظر : الميزان في تفسير القرآن : الشيخ محمد حسين ، الطباطبائي (ت : ١٤٠٢ هـ) ، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم ، ط ٥ ، ١٤١٧ هـ ، (١٢ / ٣٣٩) .

(٤) ينظر : مختصر مجمع البيان : محمد باقر الناصري (ت : ١٤٤١ هـ) ، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم ، ط ٢ ، ١٤١٣ هـ ، (٢ / ١٩٨) .

الإنسان إذا استمر في الطاعات وصبر على الطاعة أو الصبر على المعاصي، فهذا يدل على أنه يتحلى بملكة الصبر والإرادة المستمرة في طاعة الله سبحانه وتعالى أما الأعمال المباحة التي لا يكون فيها نية طاعة، فهي لا تعكس ملكة حقيقية لأنها لا تحمل نفس الأجر والثواب.

ويتبين من ثنائية (الملكة وعدمها) وبدلالة طرفي التقابل الحكمي المتضادين في كلمتي (ينفذ وباق) وجاء في الطرف الأول والتي من سمتها التغيرات، وهي دلالة على أن كل ما عند البشر من النعم والصحة والعافية والمال والغنى نهايته، ومؤداه إلى الزوال والفناء في يوم من الأيام وإسناد ذلك هو ما تعنيه لفظة (ينفذ) ومعناها هو (الفناء)، وإن الطرف الثاني من التقابل التي تخصص الله سبحانه وتعالى به والمتمثلة بقوله (باق) والتي تؤكد ان كل ما عند الله تعالى من نعم ورزق مستمر واسع دائم، والذي لا يفنى ولا يزول وايضا عنده نعيم الجنة، ووجه الانفراج فيه هو لا بد من أن نصبر على الطاعة والمصيبة وعن المعصية وأن يكون الصبر كله في جنب الله تعالى ووجهه، وهذا هو عهد من الله تعالى مستلزما الصبر فعندما يكون المؤمن صابراً محتسباً ومسلماً أمره الى الله تعالى حينها سوف ينظر إليه رب العباد ويفرج عنه كل هذه المصائب والمشقات وهذا هو وجه من وجوه الانفراج .

رابعاً : المتضايغان :

وهما : (الوجوديان اللذان يتعقلان معاً، ولا يجتمعان في موضوع واحد من جهة واحدة ويجوز أن يرتقعا)^(١)، مثل: (الخالق والمخلوق) .

نلاحظ : أن العلاقة بين الخالق والمخلوق تُعتبر ثنائية متضايفة، لأن كل مفهوم يستلزم وجود الآخر ولا يمكن تصوره منفرداً، وبينما تكون ثنائية متضايفة بسبب أن:

١- التلازم لا يمكن أن يكون هناك خالق بلا مخلوق، فوجود الخالق يقتضي وجود من خلقهم، ووجود المخلوق يدل على خالقه.

٢- عدم الاجتماع في موضوع واحد، لا يمكن لشيء واحد أن يكون خالقاً ومخلوقاً في الوقت نفسه .

التطبيقات القرآنية : بين (الباطن والظاهر) :

قال تعالى : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾^(٢)، بيان قوله تعالى إن (من صفات الله سبحانه وتعالى أنه الأول بلا ابتداء، والآخر بلا انتهاء فلا يكون أول قبله، ولا يكون آخر بعده وإذا كان الله الأول، فيكون كل ما سواه هو صفة يده، وإذا كان هو الآخر، فيكون كل شيء هالك إلا وجهه تعالى، والله سبحانه وتعالى هو (الظاهر) في آياته وفي كل شيء بث في هذا الوجود من موجودات، بحيث تتجلى في كل هذا الوجود آيات قدرته، وعلمه، وحكمته، وإن الله تعالى هو (الباطن) الذي ﴿ لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾^(٣)، وإن الله تعالى ﴿ بكل شيء عليم ﴾، وهو الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض^(٤)، وقال الزمخشري (ت: ٤٦٧ هـ) ﴿ الأول ﴾ يعني: القديم الذي كان قبل كل شيء يعني هو موجود الله سبحانه وتعالى لذاته دون سبق عدم، وعدم الحاجة إلى محل يقوم به لقيام العرض والجوهر، ﴿ والآخر ﴾ هو الباقي بعد هلاك كل شيء وليس لبقائه نهاية ويكون الآخر بالأبدية لأنه تعالى تنتهي إليه كل ما موجود^(٥)، وتأتي الصفتان المتقابلتان إستمرار في كمال الله تعالى وهي (والظاهر والباطن) فإن الظاهر تكون بالأدلة الدالة عليه^(٦) وهو ظهور ادلة صفاته الذاتية لأهل النظر والأستدلال، وهو ظاهر للعقول بالأدلة

(١) المقرر في شرح منطق المظفر مع متنه المصحح : السيد راند الحيدري (٧٣ - ٧٤) .

(٢) سورة الحديد : آية ٣ .

(٣) سورة الانعام : آية ١٠٣ .

(٤) التفسير القرآني للقرآن : الخطيب عبد الكريم ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ط١ ، د.ت ، (١٤ / ٧٤٧ - ٧٤٨)

(٥) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : الزمخشري، محمود ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٧ هـ ، (٤ / ٤٧٢) .

(٦) المصدر نفسه ، (٤ / ٤٧٢) .

والبراهين الدالة على وجوده^(١)، ﴿ والباطن ﴾ وهو كونه غير مدرك بالحواس^(٢)، وذلك لأنه محجوب عن إدراك الحواس الظاهرة وبدليل قوله تعالى : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾^(٣)، وهذا هو الكمال الإلهي، ثم يتطرق الله سبحانه إلى ذكر خمس صفات أخرى حيث يقول : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ قال مكارم ناصر الشيرازي : (الوصف هنا بـ الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ تعبير رائع عن أزليته وأبديته تعالى، لأننا نعلم أنه وجود لا متناهي وأنه (واجب الوجود) أي أنّ وجوده من نفس ذاته، وليس خارجا عنه حتى تكون له بداية ونهاية، وبناء على هذا فإنه كان من الأزلى وسيبقى إلى الأبد وأنه بداية عالم الوجود، وهو الذي سيبقى بعد فناء العالم أيضا، وبناء على هذا فإن التعبير بـ ﴿ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ ﴾ ليس له زمان خاصّ أبداً، وليس فيه إشارة إلى مدّة زمنية معيّنة والوصف بـ ﴿ الظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴾ هو تعبير آخر عن الإحاطة الوجودية، أي وجود الله سبحانه وتعالى بالنسبة لجميع الموجودات، أي أنه أظهر من كلّ شيء لأنّ آثاره شملت جميع مخلوقاته في كلّ مكان، وهو خفيّ أكثر من كلّ شيء أيضا لأنّ كنه ذاته لم يتّضح لأحد، وباختصار فإنه محيط بكلّ شيء وإنه (بداية ونهاية، وظاهر وباطن) عالم الوجود، وعلى كلّ حال فإنّ أحد نتائج هذه الصفات المتقدّمة هو ما جاء في نهاية الآية الكريمة، ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ إذ أنّ من كان في البداية ويبقى في النهاية، وموجود في ظاهر وباطن العالم، سيكون عالما بكلّ شيء قطعاً^(٤) .

ويلاحظ أنّ هناك ربط وثيق بين الظاهر والباطن، لأنهما يشكلان ثنائية متضايقة لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، والظاهر هو ما يمكن الاستدلال عليه بالعقل، بينما الباطن هو ما خفي عن الإدراك المباشر ولكنه موجود، وإن الآية تشير إلى شمولية الله سبحانه وتعالى في كلّ شيء فهو ظاهر بآياته وبراهينه، وباطن بعظمته وحكمته التي قد لا يدركها البشر مباشرة، وهذا الربط بين الظاهر والباطن في صفات الله يدل على تكاملهما، حيث لا يمكن فهم أحدهما دون الآخر، والانفراج يحدث عندما يدرك الإنسان أنّ الحقيقة ليست محصورة في الظاهر، بل لها بعد باطني أعمق، والتوازن بين الظاهر والباطن في الفهم يؤدي إلى وضوح الرؤية، مما يزيل الالتباس ويؤدي إلى انفراج فكري وروحي، إذن: هناك ربط وثيق بين الظاهر والباطن، ليس فقط كمفهومين متضايقين، بل أيضاً كقوة دافعة نحو إدراك أعمق وانفراج في الفهم والمعرفة.

(١) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي (ت : ١٢٧٠ هـ) تح : علي عبد الباري عطية ، الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ ، (٣٨٨ / ٨) .

(٢) ينظر : الكشف عن حقائق غوامض التنزيل : الزمخشري ، محمود ، (٤ / ٤٧٢) .

(٣) سورة الانعام : آية ١٠٣ .

(٤) الأمثل كتاب الله المنزل : ناصر مكارم شيرازي ، الناشر : منشورات مدرسة الامام علي بن أبي طالب (ع) ، قم ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ ، (١٨ / ١٣ - ١٤) .

الفصل الأول : العلاقات الثنائية في القرآن الكريم

فيتضح أن ثنائية الباطن والظاهر في القرآن الكريم تعكس أحد أوجه التكامل في الصفات الإلهية، حيث أن الله سبحانه وتعالى هو الظاهر من خلال دلائل وجوده وآثاره في الكون، وهو الباطن من حيث كنه ذاته التي لا تُدرك بالحواس، وجه الانفراج يكمن في إدراك أن وجود الله تعالى ليس محدودًا بظاهر الأشياء، بل يمتد إلى بواطنها، مما يحقق التوازن بين الإدراك الحسي والإيمان بالغيب، هذا يعني أن الإنسان قد يدرك بعض الحقائق من خلال الظاهر، لكنه يحتاج إلى التأمل والتدبر للوصول إلى المعاني الباطنة التي لا تُدرك بالحواس المباشرة وبالتالي، فإن وجه الانفراج هنا هو انتقال الإنسان من الاكتفاء بالمحسوسات الظاهرة إلى اليقين بالحقيقة المطلقة التي تشمل الباطن والظاهر معًا، مما يعزز فهمه العميق للعالم والإيمان بالله .

المبحث الثاني : علاقة الثنائيات بالانفراج في القرآن الكريم :

لاشك أن الثنائية هي جزء أساسي ومحوري في هذا الكون الذي خلقه الله سبحانه وتعالى ولا بد من المتأمل فيه أن يثني ويقر بحقيقة الزوجية في بناء هذا الكون والتي تدل على وجود أسرار كامنة وراء تجليها في جميع المخلوقات الذكر والأنثى، الليل والنهار، النور والظلام الروح والمادة، الحياة والموت، الدنيا والآخرة وكل هذه الثنائيات التي خلقها الله تعالى ، وجعل لنا فيها آيات الاعتبار، ووردت حقيقة الزوجية في القرآن الكريم في عدد من الآيات كما في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾^(١)، وقوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(٢)، فقد ذهب أغلب المفسرين بخصوص هذه الآيتين قد أثبتنا المتضادات والمتقابلات وأزواجاً متكاملة في الأنفس وفي الآفاق، منهم القرطبي (ت : ٦٧١ هـ) في تفسيره قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (أي صنفين ونوعين مختلفين، وقال مجاهد يعني الذكر والأنثى والسماء والأرض، والشمس والقمر، والليل والنهار، والنور والظلام، والسهل والجبل، والجن والإنس، والخير والشر، والبكرة والعشي، وكالأشياء المختلفة الألوان من الطعوم والاراييح والأصوات)^(٣)، وقال السمرقندي (ت : ٣٧٣ هـ) في تفسيرها وهي تعني صنفين، (الذكر والأنثى والأحمر والأبيض، والليل والنهار، والدنيا والآخرة، والشمس والقمر، والثناء والصيف، وقوله : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ يعني تتعظون فيما خلق الله فتوحدوه)^(٤)، وإن هذه الثنائية هي دليل على وحدانية الله المنزه عن كل المتقابلات .

(١) سورة الذاريات : آية ٤٩ .

(٢) سورة يس : آية ٣٦ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : القرطبي ، محمد بن أحمد ، منشورات ناصر خسرو ، طهران ، ط١، ١٤٠٦ هـ ، (١٧ / ٥٣)

(٤) بحر العلوم : السمرقندي ، نصر بن محمد بن أحمد ، تح : أبو سعيد عمر بن غلام محسن عمروي ، دار الفكر ، بيروت ، ط١، د . ت . (٣ / ٣٤٧) .

المطلب الأول : الثنائيات القرآنية وآثارها :

تعدّ الثنائيات القرآنية أسلوبًا بليغًا يجمع بين المتضادات أو المتكاملات، تساعد هذه الثنائيات في ترسيخ المعاني، وإبراز التوازن، وتحفيز التدبر، مما يعكس حكمة الله سبحانه وتعالى في التشريع والخلق، ومنها الثنائيات الوجودية التي يمكن أن نطلق عليها الثنائيات الأساسية أو الكبرى، وهي الثنائيات التي وجدت مع وجود الكون والإنسان، ومصدرها الأساسي هو الله سبحانه وتعالى خالق الوجود، مها: ثنائية الخالق والمخلوق .

ثنائية الخالق والمخلوق :

تقوم العقيدة الإسلامية على ثنائية وجودية^(١) ، إله خالق (منزّه عن الإنسان والطبيعة والتاريخ)، وعالم مخلوق من قبله ؛ أي ما سواه من عناصر الكون جميعا (هذه الثنائية أثبتتها الآية الأولى التي نزلت من القرآن الكريم وهي قوله تعالى : ﴿ اقرَأ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾^(٢) حيث أنحاز الرب الخالق إلى جهة، وانحازت كل المخلوقات الكونية إلى جهة أخرى^(٣) ويقول ابن حزم (ليس في الوجود إلا الخالق وخالقه)^(٤)، وهو خالق متصف بالكمال والتقديس والتنزيه والتعالي والتجاوز، والمطلقية، وصفات أخرى كثيرة، كما قال الله سبحانه تعالى : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٥) ، وهذه العناية التي يحظى بها الإنسان من الخالق هي جزء من العناية التكوينية المستمرة للوجود برمته إذ إن (هذا الكون غير منقطع عن اليد الإلهية المؤثرة فيه ، الراسمة لحركته ومسارته كما في قوله : ﴿ وَيُمَسِّكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾^(٦)

(١) الثنائيات في القرآن الكريم وجوانب التكامل والتدافع : محمد علا عبد الحفيظ، نشر في مجلة التفاهم ، العدد ٦٦ ، خريف ٢٠١٩ ، الصادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الدينية في سلطنة عمان .

(٢) سورة العلق : آية ١ .

(٣) خلافة الإنسان بين الوحي والعقل بحث في جدلية النص والعقل والواقع : د . عبد المجيد النجار ، النشر: المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، فيرجينيا ، ط ٣ ، ١٤٢٠ هـ (٤٠ - ٤١)

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت : ٤٥٦ هـ) : الناشر : مكتبة الخانجي - القاهرة ، د . ط ، د . ت ، (٤٤ / ٥) .

(٥) سورة الأعراف : آية ٥٤ .

(٦) سورة الحج : آية ٦٥ .

العناية بالخلق تتخذ صورتين^(١)

الصورة الأولى : العناية غير المباشرة :

١- قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾^(٢) ، قيل : (ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض جعلها مذللة لكم معدة لمنافعكم والفلك تجرى في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إلا بمشيئته إن الله بالناس لرؤف رحيم)^(٣) .

٢- قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾^(٤) ، قيل : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ ﴾ يعني : من علامات وحدانيته أن يعرفوا توحيده بصنعه ، ﴿ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ ﴾ بالمطر ويقال : يستبشر بها الناس ، ﴿ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴾ يعني : ليصيبكم من نعمته وهو المطر ﴿ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ ﴾ يعني : السفن تجري في البحر بالرياح ﴿ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ يعني : لتطلبوا في البحر من رزقه كل هذا بالرياح ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ رب هذه النعم فتوحدوه (٥) .

٣- قوله تعالى ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ ﴾^(٦) ، يقول الحق جلّ جلاله ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ ﴾ للدلالة على قدرته وحدانيته ﴿ الْجَوَارِ ﴾ السفن الجارية ﴿ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾ كالجبال ﴿ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ ﴾ ، التي تجريها ، ﴿ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ ﴾ أي : فيبين ثوابت على ظهر البحر ، أي : غير جاريات لا غير متحركات أصلاً^(٧) ، وتشير هذه الآيات إلى مظاهر العناية الإلهية بالخلق من خلال التحكم في ظواهر الطبيعة وتسخيرها لخدمة الإنسان ، وتتمثل هذه العناية في استخدام العلل والأسباب الطبيعية فالله سبحانه وتعالى هو المسبب لتلك الأسباب وخالق القوانين التي تحكمها ، مما يعكس

(١) الثنائيات في القرآن الكريم وجوانب التكامل والتدافع : محمد علا عبد الحفيظ ، نشر في مجلة التفاهم ، العدد ٦٦ ، خريف ٢٠١٩ ، الصادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الدينية في سلطنة عمان .

(٢) سورة الحج : آية ٦٥ .

(٣) التفسير الصافي : الفيض الكاشاني (ت : ١٠٩١ هـ) الناشر : مكتبة الصدر ، طهران ردمك ، ط ٢ ، ١٤١٦ هـ ، المطبعة مؤسسة الهادي ، قم ، (٣ / ٣٨٩) .

(٤) سورة الروم : آية ٤٦ .

(٥) بحر العلوم : السمرقندي (٣ / ١٦) .

(٦) سورة الشورى : آية ٣٢ - ٣٣ .

(٧) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد : أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت : ١٢٢٤ هـ) تح : أحمد عبد الله القرشي رسلان ، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي ، الناشر : الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة ، ط ٢ ، ١٤٢٣ هـ . (٢٢١ / ٥) .

عنايته غير المباشرة بخلقه.

الصورة الثانية : العناية المباشرة :

١- قوله تعالى : ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾^(١) قيل المعنى : (كل وصف من هذه الصفات له صلة وتأثير في الكون والإنسان ومصيره فخلق الكون لا بد له من علم الخالق و قدرته ، ومن هنا جاء الوصف بالعزيم والعزيم هو القادر الغالب والذنب والتوبة من فعل الإنسان ، أما قبول هذه والغفران عن ذلك فمن الله ، وهو سبحانه يغفر بالتوبة أو بطاعة جلى تمحو الذنب لأن الحسنات يذهبن السيئات وأيضا هو شديد العقاب لمن أصر على التمرد والعصيان ، وهو صاحب الفضل لأنه يعطي من سأله ومن لم يسأله ويضاعف لمن أحسن أضعافا كثيرة)^(٢) .

٢- قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾^(٣) ، أي : (إليهم ، قرب العلم والإحاطة والسمع والبصر ، لا قرب قرب الزمان والمكان والجهة ، فإنه سبحانه منزه عن كل ذلك ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ ﴾ الذي يدعوني ﴿ إِذَا دَعَانِ ﴾ أي : ولعل في هذا القيد إفادة أن الإجابة وقت الدعوة مباشرة فإن تكرار كلمة (دعا) لتركز في الذهن تركيزا ﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي ﴾ أي : يطيعوني في أوامري ونواهي ، إذ من يجيب الدعاء ، يستحق أن يستجيب له الإنسان ﴿ وَلْيُؤْمِنُوا بِي ﴾ أي : إيمانا بذاتي وصفاتي ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ أي : لكي يصيبوا الحق ويهتدوا إليه)^(٤) .

٣- قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴾^(٥) ، قيل المعنى : (إن الله سبحانه وتعالى يوسع على من يشاء من خلقه في رزقه ، فيبسط له منه ، لأن منهم من لا يصلحه إلا ذلك ، ﴿ وَيَقْدِرُ ﴾ يقول : ويقتر على من يشاء منهم في رزقه وعيشه ، فيضيقه عليه ، لأنه لا يصلحه إلا الإقتار ، ﴿ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ يقول تعالى ذكره : وفرح هؤلاء الذين بسط لهم في الدنيا من الرزق على كفرهم بالله ومعصيتهم إياه بما بسط لهم فيها ، وجعلوا ما عند الله سبحانه وتعالى لأهل طاعته والإيمان به في الآخرة من الكرامة والنعيم ، ثم أخبر جل ثناؤه عن قدر ذلك في الدنيا فيما لأهل الإيمان به عنده في الآخرة وأعلم عباده قلته ، فقال : ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴾ يقول : وما جميع ما

(١) سورة غافر : آية ٣ .

(٢) تفسير الكاشف : محمد جواد ، مغنية (ت : ١٤٠٠ هـ) الناشر : دار الكتب الإسلامية ، طهران ، ط ١ ، ١٤٢٤ هـ ، (٦ / ٤٣٧) .

(٣) سورة البقرة : آية ١٨٦ .

(٤) تقريب القرآن الى الاذهان : السيد محمد ، الحسيني الشيرازي ، الناشر : دار العلوم ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٤ هـ .

(٥) سورة الرعد : آية ٢٦ .

أعطى هؤلاء في الدنيا من السعة وبسط لهم فيها من الرزق ورغد العيش فيما عند الله تعالى لأهل طاعته (في الآخرة إلا متاع) قليل وشيء حقير ذاهب (١) .

٤- قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ (٢)، قيل : معنى ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ ﴾ أي : (إن ربكم الذي تذكرونه الذكر الكثير وتسبحونه بكرة وأصيلا، هو الذي يرحمكم ويثني عليكم في الملا من عباده، وتستغفر لكم ملائكته، وفي هذا من التحريض على ذكره والتسبيح له مالا يخفى ﴿ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ أي: إنه برحمته وهدايته ودعاء الملائكة لكم، أخرجكم من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان، ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فإنه هداهم إلى الحق الذي جهله غيرهم، وبصّرهم الطريق الذي حاد عنه سواهم من الدعاة إلى الكفر، وأما في الآخرة فإنه آمنهم من الفزع الأكبر وأمر الملائكة أن يتلقوهم بالبشارة بالفوز بالجنة والنجاة من النار(٣)، وتشير هذه الآيات إلى عناية إلهية مباشرة تربط بين الخالق والمخلوق، بمعنى أن الله سبحانه وتعالى، رغم وضعه للأسباب في هذا الكون، لم يعتزل الوجود، ولم يجلس على العرش بعيداً عن العناية والرقابة والتواصل المستمر مع هذا العالم وبخاصة مع الإنسان، فالعناية الإلهية المباشرة تظهر من خلال الأسماء الإلهية مثل : (السميع البصير، مجيب الدعاء، واسع العطاء، دافع البلاء ، رؤوف بعباده، غفور رحيم) ويتجلى هذا التدخل الإلهي في شؤون عباده عبر المغفرة، والإجابة، والتقدير، والرحمة، ويتضح أن هذه الآيات تؤكد الثنائية بين الخالق والمخلوق، حيث يتجلى الله سبحانه وتعالى بصفات العناية والرحمة، والإنسان يظهر في موقف الضعف والحاجة، ويتجلى الانفراج في كل آية من خلال إزالة الضيق بالاستجابة والمغفرة والرزق والرحمة، مما يؤكد القرب الإلهي من عباده ورحمة الله الواسعة، ويمكن اعتبار الخالق والمخلوق ثنائية، لكنها تختلف عن الثنائيات المتضادة، فهي لا تقوم على التناقض أو الصراع، بل على علاقة تقوم على الفقر من جانب الإنسان والغنى من جانب الله تعالى، وتعدّ هذه الثنائية ضرورية، لأن المخلوق لا يمكن أن يستغني عن خالقه، فهو محتاج إليه في كل شؤون، ويتجلى وجه الانفراج في هذه الثنائية في مظاهر عدّة، منها: الانفراج في الخلق، حيث أوجد الله سبحانه وتعالى المخلوق من العدم ؛ والانفراج الروحي، حين يعود الإنسان إلى ربه بالتوبة والعبادة فيجد الراحة والسكينة ؛ والانفراج الأخروي، حين ينتقل

(١) جامع البيان في تفسير القرآن : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت : ٣١٠ هـ) الناشر : دار المعرفة، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ ، (١٣ / ٩٧) .

(٢) سورة الأحزاب : آية ٤٣ .

(٣) تفسير المراغي : أحمد بن مصطفى ، المراغي (ت : ١٣٧١ هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ، د . ت ، (١٨ / ٢٢) .

الفصل الأول : العلاقات الثنائية في القرآن الكريم

المخلوق من دار الفناء إلى دار الجزاء، حيث تتحقق العدالة الإلهية، إذن ثنائية الخالق والمخلوق ليست تضادية ، بل هي علاقة قائمة على الفقر والغنى ، والخلق والتدبير، مما يجعلها من أبرز الثنائيات التي تعكس التوازن في الكون .

المطلب الثاني : التوسع المفهومي للانفراج في القرآن الكريم :

التوسع المفاهيمي أو المفهومي في القرآن الكريم هو أحد الجوانب التي تميز الخطاب الإلهي ، حيث تتسم ألفاظه بالثراء والدقة في المعنى ، مما يتيح للنص القرآني قدرة هائلة على التفاعل مع العصور المختلفة والمتغيرات الحياتية، فالمفاهيم القرآنية ليست جامدة أو محصورة في معانٍ ضيقة ، بل تتسع لتشمل دلالات متعددة تتكشف عبر السياقات المختلفة ، مما يفتح آفاقاً جديدة للفهم والتأمل ، ويظهر هذا التوسع جلياً في الكلمات التي تتنوع دلالاتها تبعاً للسياق ، مثل مفهوم النور، الذي قد يشير إلى الهداية الإلهية أو إلى المعرفة والإدراك ، كما أن القرآن يضع مبادئ عامة بدلاً من تفاصيل جامدة ، مما يمنحه القدرة على الانفتاح والاستيعاب المستمر، ومن خلال هذا الانفراج المفاهيمي ، لا يقتصر فهم القرآن على تفسير واحد أو حقبة زمنية معينة، بل يظل نصاً حياً قادراً على إلهام العقول وإرشاد القلوب، متجاوزاً حدود الزمان والمكان، ليكون مصدرًا للهداية لكل إنسان يسعى إلى الحقيقة والمعرفة.

التطبيقات القرآنية :

١- قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾^(١)

وصف المؤمنين المتقين، ﴿ وَنَهَرٍ ﴾ يعني أنهار الماء والخمر والعسل واللبن ثم الواحد قد ينبئ عن الجميع، وفي (نهر) في ضياء وسعة، ومنه النهار لضياءه، ومنه أنهرت الجرح^(٢)، إن الله سبحانه وتعالى قد وحد (النهر) في هذه الآية ولم يجمعه مع أن الجنات قبله جمع وذلك بخلاف المواضع الأخرى من القرآن الكريم، فإنه إذا جمع الجنة ، جمع النهر أيضاً كما جاء في قوله تعالى: ﴿ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾^(٣)، ويكون الجواب كالاتي، ذلك لأنه جمع في لفظ (النهر) عدة معان وأعطى أكثر من فائدة، وبينما لا يفيدها عند قوله : (أنهار)، ذلك لأنه علاوة على أن فواصل الآيات تقتضي (النهر) لا (الأنهار) لأن آيات السورة على هذا الوزن فإن المعنى أيضاً يقتضي ذلك من جهات أخرى منها : وجاء في معاني القرآن للفراء : (ونهر معناه أنهار، وضياء وسعة)^(٤)، ومنها : أن من معاني (النهر) السعة والضياء^(٥)، والسعة هنا عامة تشمل سعة الرزق والمعيشة وسعة المنازل، وأي شيء يقتضي تمام السعادة والسعة فيه

(١) سورة القمر : آية ٥٤ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت : ٦٧١ هـ) تح : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، الناشر : دار الكتب المصرية - القاهرة ط ٢، ١٣٨٤ هـ ، (١٧ / ١٤٩) .

(٣) سورة البقرة : آية ٢٥ .

(٤) معاني القرآن : للفراء (٣ / ١١١) .

(٥) لسان العرب : ابن منظور (٥ / ٢٣٧) .

(ونهر: وسعة في الأرزاق والمنازل والمعيشة) ^(١)، منها : أما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾ ^(٢)، فقد يجوز أن يعني به السعة والضياء، وأن يعني به النهر الذي هو مجرى الماء، على وضع الواحد موضع الجميع، وقيل في قوله تعالى : ﴿ جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾ أي: في ضياء وسعة، لأن الجنة ليس فيها ليل، إنما هو نور يتلألأ ^(٣)، وهذه المعاني كلها مرادة مطلوبة ، فإن المتقين في جنات وأنهار كثيرة جارية ، وفي سعة من العيش والرزق والسكن وعموم ما يقتضي السعة، وفي ضياء ونور يتلألأ ليس عندهم ليل ولا ظلمة، فانظر كيف جمعت هذه الكلمة هذه المعاني كلها، إضافة إلى ما تقتضيه موسيقى فواصل الآيات بخلاف ما لو قال (أنهار)، فإنها لا تعني إلا شيئاً واحداً، ثم انظر كيف أنه لما كان المذكورون هم من خواص المؤمنين، وهم المتقون وليسوا عموم المؤمنين أعلى أجرهم ودرجتهم، فقال: ﴿ وَنَهَرٍ ﴾ ولم يقل: (وأنهار) ولما أعلى أجرهم ودرجتهم بالغ في إنعامهم وإكرامهم ^(٤)، إذن كلمة (نهر) لها دلالات مختلفة منها السعة في الرزق والمعيشة وفي كل ما تقتضيه السعادة سعة فيه، ومن دلالاتها أيضاً الضياء لأنهم يقولون أن الجنة ليس فيها ليل ومن معاني النهر في اللغة أيضاً مجرى الماء والآية في سورة القمر تحتل كل هذه المعاني وهي كلها مرادة .

يلاحظ : في القرآن الكريم كله أنه حيثما أجمع الجنات الأنهار إلا في هذه الآية، فقد ورد في القرآن قوله تعالى : ﴿ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ ^(٥)، وجود كلمة تجري هنا تدل على أن المعنى المطلوب هو مجرى الماء، وفي آية أخرى قال تعالى : ﴿ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ﴾ ^(٦) وجود ﴿ غَيْرِ آسِنٍ ﴾ في الآية تفيد جريان الماء لأن الماء لا يأسن إلا إذا في حالة الركود وغير آسن قرينة الجريان، أما في آية سورة القمر جاءت كلمة نهر بدون قرينة ﴿ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾ وهي وردت في المتقين وهم المؤمنون لذا جاء بالنهر وزيادة كما قال المفسرون والمعنى المراد في الآية أن المتقين في جنات ونهر بمعنى في ماء وضياء وسعة وهم في سعة من العيش والرزق والمنازل وما تقتضيه السعادة السعة فيه وهذا من التوسع في المعنى ولم يؤت بأي قرينة تدل على معنى واحد، وهذا هو التوسع المفهومي للانفراج، ويتضح من الآية ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾ هوتاكد حتمي لانفراج أحوال المتقين ، حيث ينتقلون من ضيق

^(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي (ت : ١٢٧٠هـ) د . ط ، د . ت (٩٤ / ١٤) .

^(٢) سورة القمر : آية ٥٤ .

^(٣) لسان العرب : ابن منظور (٢٣٧ / ٥) .

^(٤) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل : د. فاضل صالح السامرائي (ت : ١٤٤١هـ) ، د . ط ، د . ت ، (١ / ١٧١ - ١٧٢) .

^(٥) سورة البقرة : آية ٢٥ .

^(٦) سورة محمد : آية ١٥ .

الدنيا وابتلاءاتها إلى سعة النعيم الأبدي، ووجه الانفراج في الآية، يتجلى في التحول من المشقة إلى الراحة، ومن الضيق إلى السعة، إذ ترمز (الجنات) إلى الاستقرار والهناء، بينما يشير (النهر) إلى النعيم المتجدد والتدفق المستمر للخير، مما يعكس قاعدة قرآنية ثابتة، وهي التقوى والصبر يفضيان إلى الفرج والنعيم الدائم.

٢- قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبُعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِنَبْلُغُنَّ أَشَدَّهُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝ (١)﴾، بيان معنى الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبُعْثِ ... ﴾ أي في شك من النشور للمحشر ﴿ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ﴾، فنحن أوجدناكم من التراب بالأصل يعني خلقه آدم (عليه السلام) ، ﴿ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ﴾ أي: ثم خلقنا أولاد آدم من ماء قليل صاف يقذفه الذكر في رحم الأنثى ﴿ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ﴾ قطعة من الدم جامدة ﴿ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ ﴾ لحم كأنه ممضوغ ﴿ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ ﴾ أي: تامة الخلقه وغير تامة، ﴿ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ لنوضح لكم بهذه الانتقالات والتبدلات على سبيل التدرج، قدرتنا وحكمتنا، ﴿ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ ﴾ نبقي في أرحام الأمهات ما نريد من الأجنة ﴿ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ إلى زمان معين هو وقت وضعه، ﴿ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ﴾ أي: نخرج كل واحد منكم طفلاً من بطن أمه، ثم نربيكم شيئاً فشيئاً ﴿ لِنَبْلُغُنَّ أَشَدَّهُمْ ﴾ لتصلوا إلى كمال قوتكم في العقل و الجسد، وقيل الأشد هو وقت البلوغ، ﴿ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَفَّىٰ ﴾ يموت قبل بلوغ الأشد ﴿ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمْرِ ﴾ أي: إلى أسوأ العمر وأهونه عند أهله، وهي حال الهرم والخرف، ﴿ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ أي: إلى وقت لا يستفيد فيه علما بل ينسى ما كان عالماً به، ﴿ وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً ﴾ أي: مَيْتة يابسة ﴿ فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ ﴾ فإذا أمطرناها بالماء تحركت بالنبات ﴿ وَرَبَتْ ﴾ نمت وانتفتحت ﴿ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ من كل صنف من الزرع ذي رونق حسن^(٢)، ويذكر أن الهمود (بالضم) يعني الموت والهلاك، والهمود في الأرض، أن لا يكون بها حياة ولاعود ولامطر^(٣)، فمعنى ﴿الهِامِدَةُ﴾ إذن في التعبير الذي وردت فيه في القرآن، الميتة التي لا نبات فيها، فإن كان يابساً حطاماً

(١) سورة الحج : آية ٥ .

(٢) إرشاد الأذهان الى تفسير القرآن : محمد بن حبيب الله، السبزواري النجفي الناشر: دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط ١، ١٤١٩ هـ، (١ / ٣٣٧) .

(٣) ينظر : العين : الفراهيدي، (٤ / ٣١) ، (همد) .

ولهذا يقال أرض هامة : ﴿ميتة يابسة﴾^(٤)، وهي التي (لا نبات بها، ونبات هامد، يابس)^(١) وصفاً للأرض الجافة الخالية من النبات ، فقد وصفت الأرض أولاً بالجفاف والخلو من النبات فهي (هالكة، يابسة دراسة من أثر النبات)^(٢)، ثم وصفت بعد ذلك بالحياة بالفعل (اهتز) الذي يدل في اللغة على تحريك الشيء^(٣)، فشبهت بحال من يهتز ويتحرك إلى أعلى، وهناك من يقول بأن الاهتزاز: (شدة الحركة في الجهات)^(٤)، أو (التحريك إلى أعلى)^(٥)، فهذا من أساليب التشخيص، الذي اتسم به التعبير والتصوير في الآية الكريمة، وتوضح الآية الخامسة من سورة الحج توسعاً مفهوماً وانفراجاً قرآنياً من خلال ربط نشأة الإنسان بالبعث، وإحياء الأرض الهامة بالحياة بعد الموت، فهي لا تقتصر على إثبات البعث، بل تُوسّع معناه بعرضٍ دقيقٍ لمراحل خلق الإنسان: من تراب، ثم نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، مما يعزز الإدراك بإحكام الخلق الإلهي، ويعكس دورة الحياة والموت، كما أن تصوير الأرض الميتة وقد اهتزت بالنبات بعد نزول المطر يُوجي بأن الموت ليس نهاية، بل تمهيدٌ لحياة أخرى، وهكذا، ترسم الآية مشهداً متكاملًا للخلق والبعث، يجعل فكرة البعث أوضح وأقرب إلى الفهم، وأكثر ارتباطاً بالواقع الحسي، مما يُحدث انفراجاً في تصور الإنسان لمصيره، والبعث في هذه الآية لا يُطرح كفكرة مجردة، بل كتصور شامل لمسيرة الحياة، يُربط بمراحل الخلق وتجدد الحياة، مما يجعله أقرب إلى العقل والإدراك.

٣- قال الله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جِبَاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴾^(٦) .

قد وصف القرآن ذلك الماء النازل من السماء بأنه (مُبارك)، دلالة على كثرتة، إذ يوصف بالبركة لما يُشاهد من ثبوت الخير الإلهي في الشيء، من حيث لا يُحس فهو مبارك، وفيه بركة فبركة ماء السماء متمثلة بجريان الينابيع في الأرض، ثم إخراج الزروع بمختلف الألوان والأشكال، وسبب ذلك أنّ هذا الماء سُيحيي الأرض بالنبات ويُديم فيها النعم ويجعلها خضراء بعد أن كانت جرداء، فهو سبب الخير والنماء والعتاء والخضرة^(٧)، وقال : مغنية (وصف الله سبحانه وتعالى الماء بالبركة لأنه لا حياة للأرواح والأجسام بلا ماء، والمراد بحبب الحصيد حب

(١) مجاز القرآن : أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (ت : ٢٠٩ هـ) تح : محمد فواد سزكين، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة ، د . ط ، ١٣٨١ هـ ، (٤٥ / ٢) .

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن : الفضل بن الحسن ، الطبرسي (ت : ٥٤٨ هـ) تح : محمد جواد البلاغي، الناشر: منشورات ناصر خسرو ، طهران ، ط ٣ ، ١٤١٣ هـ (١١٤ / ٧) .

(٣) ينظر : لسان العرب : ابن منظور ، (٤٢٣ / ٥) ، هزرز .

(٤) مجمع البيان : الطبرسي ، (١١٤ / ٧) .

(٥) التحرير والتنوير : محمد بن طاهر ، ابن عاشور (ت : ١٣٩٣ هـ) الناشر : مؤسسة التاريخ ، بيروت ، ط ١ ، د . ت ، (١٤٨ / ١٧) .

(٦) سورة ق : آية ٩ .

(٧) ينظر : المفردات في غريب القرآن : الراغب الأصفهاني (١١٩ / ١) .

النبات المحصود^(١)، وتشير الآية إلى أن الماء النازل من السماء هو ماءً مبارك، أي كثير النفع، إذ يحيي الأرض، وينبت الزرع، وذكر ﴿جَنَّاتٍ﴾ يدل على النعيم والجمال، بينما يشير ذكر ﴿وَحَبِّ الْأَحْصِيدِ﴾ إلى الزرع القابل للحصاد، والذي يرمز إلى النفع والرزق، مما يبرز تكامل عطاء الله سبحانه وتعالى، وتؤكد الآية أن المطر ليس مجرد ظاهرة طبيعية، بل هو نعمة إلهية تحمل الخير والتجدد، وتذكر بقدرة الله سبحانه وتعالى على الإحياء في الدنيا والآخرة وهكذا تُقدّم الآية تصورًا شاملاً للفرج الإلهي من خلال نزول المطر، حيث توسّع المفهوم من مجرد ظاهرة طبيعية إلى مبدأ كونيّ يعكس قانون الحياة والموت والتجدد، مما يعزّز الطمأنينة بأن كلَّ ضيقٍ يعقبه فرج، وكلَّ جفافٍ يعقبه غيث ورحمة.

(١) تفسير الكاشف : محمد جواد مغنية ، (٧ / ١٣٠) .

٤- قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾^(١) .

قيل : يعني (يخشى الله سبحانه وتعالى ويطلق امرأته للسنة، ﴿ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ يعني المراجعة، ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ يعني : في شأن المراجعة، ﴿ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ يعني: ينجو من ظلمات يوم القيامة ويرزقه الجنة، ومعنى آخر: أن من اتقى الله سبحانه وتعالى عند الشدة وصبر، يجعل له مخرجاً من الشدة وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ، يعني: يوسع عليه من الرزق، ومعنى آخر: يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا قال: مخرجه أن يعلم أن الله سبحانه وتعالى هو يرزقه، وهو يمنحه ويعطيه، لأنه هو الرازق وهو المعطي وهو المانع، كما قال الله تعالى: ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ ﴾^(٢)، ثم قال عز وجل: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ يعني: من يثق بالله سبحانه وتعالى في الرزق فَهُوَ حَسْبُهُ يعني: الله كافي، ومعنى آخر لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ يعني من يثق بالله في الشدة، يجعل له مخرجاً من الشدة، والمخرج على وجهين: أحدهما أن يخرج من تلك الشدة، والثاني أن يكرمه فيها بالرضا والصبر، ثم قال: ﴿ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ يعني: جعل لكل شيء من الشدة والرخاء أجلاً ووقتاً، لا يتقدم ولا يتأخر^(٣)، ومعنى آخر لتفسير هذه الآية: سيكفيه ما يشغله من أموره، فإن الله سبحانه وتعالى بالغ أمره، لأن الله عز وجل ذو قدرة مطلقة، وأمره نافذ في كل شيء، فلا يخرج شيء عن مشيئته، وتخضع له جميع الكائنات بإرادته وحكمته، ولهذا يحذر الله سبحانه وتعالى الرجال والنساء والشهود من الخوف في قول الحق، ويحثهم على الثقة به، والاعتماد عليه في تيسير أمورهم، فقد وعد المتقين بأن يجعل لهم مخرجاً من الشدائد، ويرزقهم من حيث لا يحتسبون، لقد تكفل الله سبحانه وتعالى لمن اتقى وتوكل عليه ألا يتركه حائراً في مناهات الحياة، بل يمده بعونه، ويهديه إلى ما فيه صلاحه فهو سبحانه القادر على الوفاء بوعده، إذ لا يعجزه شيء، ولا يحول دونه أمر، ورغم أن هذه الآيات نزلت في سياق الحديث عن أحكام الطلاق، فإنها تتضمن مفاهيم عظيمة ومعاني واسعة تشمل شؤون الحياة كافة، فتبعث في النفوس الطمأنينة، وتغرس فيها الأمل بأن رحمة الله تعالى تشمل عباده المتقين، وتفتح لهم أبواب الفرج، وتبهرهم الدرر، وترفع عنهم مشاق الحياة

(١) سورة الطلاق : آية ٢-٣ .

(٢) سورة فاطر : آية ٣ .

(٣) بحر العلوم : أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت : ٣٧٣ هـ) د . ط ، د . ت (٣)

(٤٦١ /) .

وتزِيل عنهم الهموم التي تَلبّد سماء سعادتهم، وفي إشارة بليغة إلى إحكام النظام الإلهي بين التكوين والتشريع، يقول الله تعالى : ﴿ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾، أي أن كل أمر في هذا الكون، سواء كان من القوانين الطبيعية أو التشريعات الإلهية، قد وضع بميزان دقيق، وفق نظام متقن لا خلل فيه ولا اضطراب ومن هنا، ينبغي للإنسان أن يلتزم بما شرعه الله سبحانه وتعالى وأن يواجه أعباء الحياة بالصبر والتقوى، وألا يقع في هاوية الجزع واليأس، أو يلجأ إلى الطرق المحرمة طلبًا للخلاص، فالتقوى مفتاح الفرج، والتوكل على الله سبحانه وتعالى سبيل النجاة ومن جعل ثقته بالله تعالى كفاه الله همّه، وفتح له من أبواب الرزق ما لم يكن في حسبانته وأكرمه بعطايا تفوق توقعاته^(١)، وتشير الآية إلى وعدٍ إلهي بأن التقوى سبيلٌ للفرج والرزق، فمن يتق الله سبحانه وتعالى في أمره، يجعل له مخرجًا من الشدائد، ويفتح له أبواب النجاة التي قد تبدو مغلقة، كما أن الرزق قد يأتيه من حيث لا يحتسب، أي من طرق غير متوقعة، مما يدل على سعة رحمة الله تعالى بعباده، وأن الأرزاق ليست محصورة في الأسباب الظاهرة وحدها، ورغم أن الآية نزلت في سياق أحكام الطلاق، فإنها تحمل معنى عامًا يشمل كل جوانب الحياة، حيث تؤكد أن التقوى تجلب التيسير، والتوكل على الله تعالى يفتح أبواب الخير، وهي دعوة إلى الاطمئنان والثقة بأن الله سبحانه وتعالى لا يخذل من لجأ إليه، بل يمده بعونه، ويرفع عنه الضيق، ويهيئ له من الأسباب ما لم يكن في حسبانته، ويتضح من حيث التوسع المفهومي والانفراجي، فالآية تحمل معنى شاملاً يتجاوز سياق الطلاق، إذ تضع قاعدة عامة في الحياة، وهي أن التزام التقوى يجلب التيسير والفرج، ليس فقط في المشكلات الزوجية، بل في كل جوانب الحياة، سواء في الرزق أو حل الأزمات، أو اتخاذ القرارات المصيرية، وهذا يعطي الإنسان أفقًا أوسع في التفكير ويمنحه طمأنينة داخلية بأن الله سبحانه وتعالى سيهيئ له المخرج مهما اشتدت الظروف، فالآية لا تقتصر على المخرج المادي أو الظاهر، بل تشمل المخرج النفسي، والروحي، والاجتماعي مما يعزز فكرة أن التقوى لا تعود فقط بالخير الدنيوي، وإنما تمنح الإنسان راحة داخلية، وثقة بالله تعالى، وقدرة على تجاوز المحن دون قلق أو اضطراب.

(١) ينظر : تفسير الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم الشيرازي (١٨ / ٢٩٦) .

الفصل الثاني : العوامل الانفراجية في القرآن الكريم

المبحث الأول : العوامل الظاهرية للانفراج في القرآن الكريم

المبحث الثاني : العوامل الباطنية للانفراج في القرآن الكريم

الفصل الثاني : العوامل الانفراجية في القرآن الكريم :

العوامل الانفراجية في القرآن الكريم تشير إلى تلك الآيات والمفاهيم التي تسهم في إزالة الهموم وتخفيف الضغوط النفسية والاجتماعية التي تواجه الإنسان في حياته المعيشية، وإن القرآن الكريم، بوصفه كتاب هداية ورحمة، يحتوي على العديد من الرسائل الإيجابية التي تدعو إلى التوكل على الله، والصبر، والتفاؤل، والإيمان بأن الفرج يأتي بعد الشدة، وإن هذه العوامل تشمل قصص الأنبياء الذين مروا بمحن كبيرة ولكنهم صبروا فنالوا العاقبة الحسنة، وكذلك الآيات التي تذكر برحمة الله وكرمه وقدرته على تغيير الأحوال، وإن دراسة هذه العوامل تساعد في تعزيز الطمأنينة والراحة النفسية وزيادة الثقة بالله في مختلف الظروف.

المبحث الأول : العوامل الظاهرية للانفراج في القرآن الكريم :

هي مجموعة من العوامل الظاهرية الانفراجية في القرآن الكريم منها الأفعال بالمسببات والأخذ بها لما فيها من الآثار الإيجابية في شخص ونفس الإنسان ومنها الإسراع في عمل الخير والإكثار منه والوصول إلى عدد كبير منها وترك كل المحرمات والابتعاد عنها بشكل نهائي ومنها: التوبة والاستغفار والرجوع إلى الله سبحانه وتعالى والتقرب إليه، وهي تُعد من المصاديق التي يكون بها تفريغ الشدائد وإزالة كل المكاره، والوصول إلى السعادة، وهذا هو الانفراج بعينه

المطلب الأول : التفاؤل ونظام التسبيب :

إن التفاؤل في القرآن الكريم مرتبط بالإيمان بحكمة الله سبحانه وتعالى ورحمته، حيث يدعو القرآن إلى حسن الظن بالله تعالى، والثقة بأن بعد العسر يسرا، كما في قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾^(١)، وأما نظام التسبيب في القرآن الكريم، فيظهر في ربط الأسباب بالنتائج، مما يعزز المسؤولية والسعي، مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾^(٢) مما يبين أن التغيير مرهون بعمل الإنسان وسعيه، ولقد أمر الله سبحانه وتعالى بالأخذ بنظام التسبيب، لما له من الأثر الإيجابي في نفس الإنسان الذي يرغب في حصد ثمار المسبب فالسماء تأمره أن يسعى في الأرض للكسب والعيش في الحياة .

(١) سورة الشرح : آية ٥ .

(٢) سورة الرعد : آية ١١ .

التطبيقات القرآنية :

١- في قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾^(١)، قال : معنى هذه الآية : (سهلا لا يمتنع المشي فيها كالناقة الذلول المنقادة وقوله : ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا ﴾ أي: في جوانبها ومنه منكب الرجل أو المراد بالمناكب الجبال وهذا مثل لفرط التذلل فإن منكب البعير لا يبطأ الراكب ولا يتذلل له فإذا جعل الأرض في الذل بحيث يمكن المشي في مناكبها لم يبق شيء لم يتذلل وقوله : ﴿ وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ﴾، والتمسوا من نعمه عطف على فامشوا، وقوله : ﴿ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾، أي المرجع الذي يسألكم على شكر ما أنعم الله عليكم^(٢) وقال الطباطبائي : (ت : ١٤٠٢ هـ) (الذلول من المراكب ما يسهل ركوبه من غير أن يضطرب ويجمع والمناكب جمع منكب وهو مجمع ما بين العضد والكتف واستعير لسطح الأرض، وتسمية الأرض ذلولاً وجعل ظهورها مناكب لها يستقر عليها ويمشي فيها باعتبار انقيادها لأنواع التصرفات الإنسانية من غير امتناع، وإن الأمر في قوله: ﴿ وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ﴾ للإباحة والنشور والنشر وهو إحياء الميت بعد موته وأصله من نشر الصحيفة والثوب إذا بسطهما بعد طيهما، والمعنى : هو الذي جعل الأرض مطاوعة منقادة لكم يمكنكم أن تستقروا على ظهورها وتمشوا فيها تأكلون من رزقه الذي قدره لكم بأنواع الطلب والتصرف فيها وقوله ﴿ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ أي يرجع إليه نشر الأموات بإخراجهم من الأرض وإحيائهم الحساب والجزاء واختصاص رجوع النشر به كناية عن اختصاص الحكم بالنشور به والإحياء يوم القيامة فهو ربكم المدبر لأمرحياتكم الدنيا بالإقرار على الأرض والهداية إلى مآرب الحياة، وله الحكم بالنشور للحساب والجزاء^(٣)، ويتضح أن الآية تحمل معنى التفاؤل من حيث أن الله سبحانه وتعالى جعل الأرض سهلة مهياة للإنسان، مما يدل على الرحمة الإلهية والتيسير، وهي دعوة إلى السعي والثقة بأن الرزق موجود، لكنه يحتاج إلى حركة وجهد للوصول إليه، والآية تشير بوضوح إلى مبدأ التسبيب، حيث يربط الله سبحانه وتعالى بين السعي في الأرض وبين الحصول على الرزق، أي أن الإنسان مأمور بأن يتحرك ويعمل لكي ينال الخير، فالرزق مقدر من الله سبحانه وتعالى، لكنه مشروط بالسعي إليه، وهذا يعكس نظاماً كونياً دقيقاً يقوم على الأخذ بالأسباب، ووجه الانفراج، هو أن الآية تعطي إحساساً بالانفراج، لأنها تذكر الإنسان بأن

(١) سورة الملك آية : ١٥ .

(٢) التفسير المظهري : محمد ثناء الله ، المظهري (ت : ١٢٢٥ هـ) ، تح : غلام نبي التونسي ، مكتبة الرشدية، باكستان ، ط١ ، ١٤١٢ هـ ، (١٠ / ٢٤ - ٢٥) .

(٣) الميزان في تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائي (ت : ١٤٠٢ هـ) ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم ، ط٥ ، ١٤١٧ هـ ، (١٩ / ٣٥٧) .

الأرض مهياة له ، وأن الله تكفل برزقه ، مما يزيل القلق والخوف من المستقبل ، كذلك ، تذكر بالنشور، مما يجعل المؤمن يدرك أن هذه الدنيا دار اختبار، وأن الجزاء عند الله سبحانه وتعالى مما يخفف عنه همومه، وخلاصة الكلام أن هذه الآية تجمع بين التفاؤل والثقة بالله سبحانه وتعالى، وتشير إلى الأخذ بالأسباب، وتمنح طمأنينة بأن الرزق مكفول لمن يسعى، مما يجعلها آية تحمل معاني الانفراج والأمل.

٢- قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾^(١)، قيل : بيان قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ يعني: (إذا صليتم الجمعة فانتشروا في الأرض طلباً لرزق الله سبحانه وتعالى وصورته صورة الأمر وهو إباحة وإذن ورخصه، وقوله : ﴿ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾، بمعنى: اطلبوا من فضل الله سبحانه وتعالى بعمل الطاعة والدعاء به وقوله : ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ يامحمد على إحسانه وبالشكر على نعمه والتعظيم لصفاته ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ معنى لتفلقوا وتفوزوا بثواب التعليم^(٢) وقال الخطيب: بمعنى هذه الآية : (هو دعوة إلى العمل والسعي إليه، مثلما سعى المؤمنون إلى الصلاة، فالسعي إلى العمل، أداء لحق النفس، وحق الأهل والولد، كما أن السعي إلى الصلاة أداء لحق الله تعالى، وإن كلا الحقين واجب الأداء، فمن قصر في أحدهما، فقد حوسب حساب المقصرين، وفي قوله تعالى : ﴿ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾، وهي دعوة إلى أن يملأ المسلمون وجوه الأرض، سعيًا وعملاً، وأن يأخذوا بكل ما يمكن لهم منها، ويقيم لهم فيها المقام الكريم، وألا يقصروا جهدهم على أي جانب منها، أو في ميدان من ميادينها بل ينبغي أن يكون لهم في كل ميدان مجال، وفي كل موقع عمل وأن الدعوة إلى الانتشار في الأرض بعد الاجتماع بين يدي الله تعالى في الصلاة في هذا جمع بين العباد والعمل، وبين ذكر الله تعالى والسعي في الأرض، وجاءت الدعوة من الله تعالى لصلاة الجمعة، موجهة إلى من هم مشغولون بالعمل، ساعون إلى طلب الرزق، وإن كانت الدعوة عامة إلى كل من يجب عليه صلاة الجمعة .. وبعدها جاء الأمر إلى هؤلاء الذين حضروا الصلاة أن ينتشروا في الأرض، وابتغوا من فضل الله سبحانه وتعالى، بعد أن تزودوا بهذا الزاد الطيب من ذكر الله تعالى، وبها يستقيم الطريق لهم وتفتح لهم كل أبواب الرزق الطيب الحلال المبارك، وقوله : ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾، وهو إشارة لهؤلاء المنطلقين للعمل، الساعين إلى الابتغاء من فضل الله تعالى بأن يذكروا الله تعالى دائما ، وأن يستحضروا جلاله وعظمته وقدرته في كل حال من الأحوال

(١) سورة الجمعة : آية : ١٠ .

(٢) التبيان في تفسير القرآن : محمد بن الحسن ، الطوسي (ت : ٤٦٠ هـ) ، تح : أحمد قصير العاملي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١، دت ، (٩ / ١٠) .

لا فقط في وقت الصلاة ، وفي ذلك فلاح ، بحيث يجد الذاكر لله تعالى حارسا يحرسه من كل وساوس الشيطان، وأهواء النفس، فلا ينحرف ولا يتعثر، ولا يزل (١)، ويتضح أن الآية تحمل روح التفاؤل من حيث أنها تدعو الإنسان إلى النشاط والعمل بعد أداء العبادة، مؤكدة أن فضل الله سبحانه وتعالى واسع، وهي توحى بأن الرزق متاح وأن السعي فيه بركة، مما يدعو إلى الاطمئنان والثقة بأن الخير قادم لمن يسعى إليه، والآية تبين نظامًا واضحًا للأسباب، حيث ربطت بين أداء الصلاة ثم السعي في الأرض طلبًا للرزق، فالعبادة لا تتعارض مع العمل، بل يكمل كل منهما الآخر، الرزق لا يأتي بالتمني، بل بالانتشار في الأرض وبذل الجهد، مع التوكل على الله سبحانه وتعالى، ووجه الانفراج فيها هو أن الآية تعطي شعورًا بالانفراج لأنها ترشد المؤمن إلى طريق النجاح وعبادة الله سبحانه وتعالى أولاً، ثم السعي في الأرض، مع المحافظة على الذكر الدائم، وهذا التسلسل يخلق توازنًا بين الروح والجسد، ويمنح الإنسان راحة نفسية بأن جهده لن يضيع، لأن الله تعالى وعد بالفلاح لمن يلتزم بهذا المنهج، وخلاصة الكلام هو أن الآية تحمل التفاؤل، وترسخ مبدأ الأخذ بالأسباب، وتبعث على الاطمئنان بأن الرزق بيد الله سبحانه وتعالى لكنه مرتبط بالسعي، مما يجعلها آية تبشر بالانفراج والأمل لمن يعمل ويتوكل على الله سبحانه وتعالى .

٣- قوله سبحانه : ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (٢)، بيان هذه الآية : إن الله سبحانه وتعالى سلط النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمين على العدد المتربص بهم، والكائد لهم، وقد أمر الله تعالى بأن يضربوهم الضربة القاضية التي تأنى عليهم ، والتي لهم مثلًا وعبرة لغيرهم، وان الذي يمكن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وآله من أن يبيسطوا بيدهم على عدوهم وينزلوه على حكمهم فيه، فهو القوة التي تكون للمسلمين من الرجال والعتاد، وقد اتبع من هذا القرآن الكريم الأمر بتأديب العدو وذلك باتخاذ الوسائل المحققة لهذا الأمر والأخذ بكل أسباب القوة التي ترجح كفة المسلمين بها في ميادين القتال ومصادمة العدو، وقوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾، قد أمر باتخاذ القوة، والعمل على بنائها، والتوسل إليها بوسائلها، ومن أهم هذه الوسائل هي الخيل) بحيث كانت أقوى مظهر من مظاهر القوة والفروسية بحيث كانت الخيل وفرسانها يمثلون القوة والمنعة وإن قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ﴾ وهو إشارة بالأكثر من الخيل وتدريبها للقتال وإعدادها للحرب وتقتصر على هذا الجانب ولا تستخدم

(١) التفسير القرآني للقرآن : عبد الكريم بونس ، الخطيب (ت : ١٤٠٦ هـ) ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ط ١ ، د . ت ، (١٤ / ٩٥٣) .

(٢) سورة الأنفال : آية ٦٠ .

لأغراض أخرى تكون فقط معدة لاشتباك الأعداء في أية لحظة وقوله : ﴿ تَرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ إن الضمير به يعود إلى رباط الخيل وهو مصدر رهبة للعدو بحيث يهابها العدو ويعمل حسابها ، وإن الإعداد للحرب ليس لإشباع شهوة الحرب ، وإنما هو الإرهاب العدو حتى ينزجر ويحسب حساب القوة الراصدة له وإن الإسلام هو دين السماح والسلام ولكن يعد القوة والرباط لكي يردع كل من يريد أو تحدته نفسه بالحرب ضد المسلمين ، وإن المسلمين عندما يدخلون الى الحرب يدخلون كارهين لها لأنهم دين سلام وأمان ولكنه تجتمع فيه القوة الممكنة للنصر والغلب^(١)، ويتضح من حيث التفاؤل أن الآية تحمل روح القوة والثقة، إذ تؤكد أن الإعداد والجهوزية يمنحان الهيبة، مما يبعث على الاطمئنان بالنصر ويزيل الخوف، وتؤسس لمنهج الأسباب ، حيث تربط بين القوة والاستعداد وبين تحقيق الأمن والرهبة في قلوب الأعداء مما يؤكد أن النصر لا يأتي دون إعداد ، ووجه الانفراج هو توهي بأن الإنفاق والعمل في سبيل الله سبحانه وتعالى لا يضيعان ، بل يعودان بالنصر والعزة، مما يمنح الأمل بأن الجهد لن يذهب سدى.

٤- قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ﴾^(٢)، قيل : بيان المعنى : (إذا كنت فيهم فأممتهم في الصلاة، فلتقم طائفة منهم تصلي معك الركعة الأولى، على أن تقف طائفة أخرى بما لديها من سلاح من ورائكم لحمايتكم، فإذا أتمت الطائفة الأولى الركعة الأولى ترجع وتأخذ بمكان الحراسة، وتأتي الطائفة الثانية التي كانت في الحراسة ولم تصل فلتصل معك ركعة (وهنا يسلم الإمام إذ يكون قد أتم صلاته ركعتين) وعندئذ تأتي الطائفة الأولى فتقضي الركعة الثانية التي فاتتها مع الإمام وتسلم ، بينما تحرسها الطائفة الأخرى، ثم تأتي الثانية فتقضي الركعة الأولى التي فاتتها وتسلم، بينما تحرسها الطائفة الأولى، وبذلك تكون كلتا الطائفتين قد صلتا بإمامة الرسول (صلى الله عليه وآله)، وإن هذا الحذر والتعبئة النفسية والاستعداد بالسلاح المستمر، هو ليس وقوع المسلمين في المشقة فهم يأخذون منه بقدر الطاقة^(٣)، وقال: السبزواري النجفي (ت: ١٤٠٩ هـ) في بيان هذه الآية (شرح الله سبحانه وتعالى كيفية صلاة الخوف فقال لرسوله الكريم يا محمد إذا كنت في أصحابك الخائفين من عدوهم حين الضرب في الأرض ﴿ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ ﴾ بتمام حدودها

(١) ينظر : التفسير القرآني للقرآن : عبد الكريم يونس، الخطيب (٥ / ٦٤٨ - ٦٤٩)

(٢) سورة النساء : آية ١٠٢ .

(٣) في ظلال القرآن : السيد بن قطب بن إبراهيم الشاذلي (ت : ١٣٨٥ هـ)، دار الشروق ، بيروت ، القاهرة، ط١٧، دبت ، (٢ / ٧٤٨ - ٧٤٩) .

وأنت تؤمهم ﴿ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ ﴾ أي : قسم منهم يقف معك في الصلاة ويبقى منهم مترصدين للعدو ﴿ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ ﴾، أي : يكون مستعدين المصلون بأسلحتهم تأهباً لما قد يحدث، ﴿ فَإِذَا سَجَدُوا ﴾، يعني قد فرغوا من سجودهم للركعة الأولى ﴿ فَلْيَكُونُوا ﴾ المصلين الذين قد اختتموا هذه الركعة ﴿ مِنْ وَرَائِكُمْ ﴾، فليصبروا بعد أن فرغوا وراءكم لمواجهة العدو ويقظين كحال الطائفة الأولى وبعد إنهاءهم الركعة الأولى يتمون ركعة ثانية ويتشهدون ويسلمون والامام قائم في الركعة الثانية بحيث يجيء الآخرون ويستفتحون الصلاة ويصلي بهم الإمام الركعة الثانية ثم يطيل تشهده حتى يقوموا فيصلوا بقية صلاتهم التي هي ركعتان ﴿ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا ﴾، وهم الذين كانوا لمواجهة العدو ﴿ فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ﴾، كما فعلت الطائفة الأولى^(١)، ويتضح إن رغم حالة الخوف والحرب، فإن الآية لا تحمل معنى اليأس أو الذعر، بل فيها توجيه للحفاظ على الصلاة حتى في أشد الظروف، وهذا يوحي بأن العلاقة مع الله سبحانه وتعالى لا تنقطع مهما كانت الأحوال، وهو مصدر تفاؤل وأمان، والله سبحانه وتعالى يوجه المؤمنين لاتخاذ الاحتياطات، مما يعزز الثقة بأنهم ليسوا متروكين للقدر بلا توجيه، بل لديهم منهج واضح للنجاة، والآية تضع نظاماً دقيقاً للصلاة أثناء المعركة، بحيث تؤديها مجموعة بينما تحرسها أخرى، ثم يتبادلون الأدوار، وهذا يرسخ مفهوم الأسباب والتدبير، وليس مجرد الاعتماد على التواكل أو العشوائية، والتأكيد على أخذ الحذر وعدم إهمال السلاح رغم أداء العبادة، يبين توازن الإسلام بين الروح والجسد، وبين العبادة واتخاذ الأسباب الواقعية، ووجه الانفراج هو الخروج من الأزمات، ورغم أن الآية في سياق الحرب والخطر، إلا أنها تتضمن إرشادات عملية تساعد على تجاوز الموقف بسلام، مما يعني أن الإسلام يضع حلولاً حتى في أشد الأزمات، وهو وجود تسهيلات مثل السماح بوضع السلاح عند المرض أو المطر يوضح أن الله سبحانه وتعالى لا يكلف عباده فوق طاقتهم، مما يفتح باب الرحمة والانفراج في أشد الظروف، وخلاصة الكلام هو أن الآية تحمل في طياتها منهجية تفاولية قائمة على التخطيط المحكم وعدم الاستسلام للخوف، مع فتح باب الرحمة والتيسير، فهي نموذج لكيفية مواجهة الأزمات بأمل وثبات، مع اعتماد الأسباب التي تقود إلى النجاة والانتصار، وجاء في كتاب الله سبحانه وتعالى ما يدل على أن القيام بنظام التسبيب والتفاؤل واجتناب اليأس، نحو قوله تعالى ﴿ وَلَا تَيَأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾^(٢)، وهي من أسباب الفرج .

(١) إرشاد الأذهان الى تفسير القرآن : محمد بن حبيب الله، السبزواري النجفي (ت : ١٤٠٩ هـ) ، دار التعارف للمبوعات ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٩ هـ ، (١ / ١٠٠) .

(٢) سورة يوسف : آية ٨٧ .

مصاديق أسباب الفرج :

أولاً : أمر يعقوب (عليه السلام) بنيه بأن يبحثوا ويتحرروا ويسألوا ويتحسسوا ؛ لعلهم يدركون أو يجدون خبراً عن أخيهم يوسف (عليه السلام) ، ونهاهم أن ييأسوا من روح الله سبحانه وتعالى لأنه من صفات الكفار ، وقال تعالى : ﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾^(١) .

وهي آية بلا خلاف ، وهذا اخبار عما قال به يعقوب (عليه السلام) لبنيه ﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا ﴾ ، والتحسس هو طلب الشيء بالحاسة ، وأما طلبه بالدعاء الى فعله فلا يسمى تحسسا ؛ لأن التحسس والتجسس بالحاء والجيم يكون بمعنى واحد ، ﴿ وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ ﴾ ، بمعنى لا تقطعوا رجاءكم منه ، وإن الرّوح والفرج هم نظائر ، وهو رفع ترح بلذة ، مأخوذ من الريح التي تأتي بما فيه من اللذة ، وقوله : ﴿ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ، وهو إخبار منه إنما اليائسون من رحمة الله تعالى هم الكافرون ، وذلك على أنّ الفاسق الملي لا ييأس منه بخلاف مايقوله أهل الوعيد ، بحيث أجاب أهل الوعيد عن ذلك بجوابين :

- ١- أن ذلك يكون على وجه التغليب ، فيدخل فيه الفاسق في الجملة .
- ٢- لا ييأس في حال التكليف إلا الكافر الذي لا يعرف الله سبحانه وتعالى ، فأما الذي يعرف الله سبحانه وتعالى فإنه لا ييأس منه ، لأنه يسوف التوبة^(٢) .

والمراد أن يكون لديك علم بأن الاجتهاد في فعل الأسباب هو سبب بالفرج بعد الشدائد والنجاة من الصعاب ، وذكر : عندما طمع نبي الله يعقوب في يوسف (عليه السلام) ، قال لبنيه يابني اذهبوا إلى الموضع الذي خلفتم أخويكم به ، وعند وصولكم تحسسوا من أخوكم يوسف عليه السلام ، يقول : التمسوا يوسف وتعرفوا من خبره ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ ﴾ أي : ولا تقنطوا من أن يروح الله سبحانه وتعالى عنا ما نحن عليه من الحزن الشديد على يوسف (عليه السلام) وأخيه ، بفرح من عنده ، فبريناها وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ ﴾ أي : لا يقنط أحدٌ من فرجةٍ وواسع رحمته ويقطع رجاءه منه ﴿ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ، يعني القوم الذين يجحدون قدرته على ما شاء تكوينه^(٣) ، عندما فسر كلمات الآية وحللها تبين المعنى : لا تيأسوا من الظفر بيوسف (عليه السلام) ، معتلين بطول بعد المدة التي يبعد معها اللقاء ، فإن

(١) سورة يوسف : آية ٨٧ .

(٢) التبيان في تفسير القرآن : محمد بن الحسن ، الطوسي (ت : ٤٦٠ هـ) ، تج : أحمد قصير العاملي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ، ديت ، (٦ / ١٨٥) .

(٣) ينظر : جامع البيان في تفسير القرآن : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت : ٣١٠ هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ ، (١٣ / ٣٢) .

الله سبحانه وتعالى إذا شاء تفريج كربة هيأ لها أسبابها ، وإن الذي يؤمن أن الله هو واسع القدرة فحقه عليه أن يأخذ في سببه والاعتماد على الله سبحانه في تيسيره، وإن القوم الذين يكفرون بالله سبحانه وتعالى يكونون مقتصرين على الأمور الغالية في العادة وينكرون غيرها (١).

ثانياً : إن الله سبحانه وتعالى قد أمر عباده المجاهدين وكل أوليائه المرابطين باتخاذ الأسباب التي تعينهم على أعدائهم، وبها يفرج الله سبحانه وتعالى عنهم، فينصرهم عليهم، ويشيهم فتحاً قريباً كأمره عباده بأن يأخذو كل الحذر كما مبين في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثَبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا ﴾ (٢)، قال الفيض الكاشاني : (ت : ١٠٩١ هـ) معنى بيان هذه الآية (هو تيقظوا واستعدوا كل الاستعداد للعدو، والحذر الحذر، وقوله : ﴿ خذوا أسلحتكم ﴾ إنه سمي الأسلحة حذراً لأنه بها يتقي المحذور، ﴿ فَانفِرُوا ﴾، أي اخرجوا إلى الجهاد، وتأويله إلى الخيرات كلها ﴿ ثَبَاتٍ ﴾، أي هم جماعات متفرقة، جمع ثبة، ﴿ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا ﴾ أي مجتمعين كوكبة واحدة وإياكم أن تتخاذلوا (٣)، قوله تعالى: ﴿ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أذى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ (٤) وقد نهى الله سبحانه وتعالى المجاهدين أن يولوا الأدبار هاربين وأمرهم أن يصبروا ويصابروا ويتوكلوا عليه كما في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْأَدْبَارَ وَمَنْ يُولَّهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (٥)، المعنى : (فهو نداء عام للمؤمنين، المجاهدين في سبيل الله تعالى، بأن يثبتوا ثبات الأقوياء للعدو، وعند لقاء العدو أن يكون لقائهم جاداً وحاداً وأن يكون مصمماً على النصر، أو نيل الشهادة في المعركة من دون أن يدخل على أحد منهم شعور بالفرار من مقابلة العدو، مهما كان هذا الموقف، وأيا كانت قوة المشركين وشوكتهم، لأن الله تعالى قد نهى المجاهدين بأن يولوا الأدبار هاربين وأمرهم بأن يصبروا ويصابروا ويتوكلوا على الله سبحانه وتعالى) كما جاء في الآية أعلاه (٦).

(١) ينظر : التحرير والتنوير : محمد بن طاهر، ابن عاشور (ت : ١٣٩٣ هـ) ، مؤسسة التاريخ ، بيروت، ط١، د١، (١٢ / ١١١) .

(٢) سورة النساء : آية ٧١ .

(٣) الأصفى في تفسير القرآن : الفيض الكاشاني ، المولى محسن ، تح : محمد حسين درابتي ومحمد رضا نعمتي، منشورات مكتب الإعلام الإسلامي ، قم ، ط١، ١٤١٨ هـ ، (١ / ٢٢١) .

(٤) سورة النساء : آية ١٠٢ .

(٥) سورة الأنفال : آية ١٥ - ١٦ .

(٦) التفسير القرآني للقرآن : الخطيب ، عبد الكريم ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ط١، د . ت ، (٥ / ٥٨٠) .

فقال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾^(١)، إن الله سبحانه وتعالى أمر عبادة عندما يلتقون بالكفرة خاصة في مواقع القتال بأن يثبتوا وأن يكثروا بذكر الله تعالى وطاعة الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) والصبر والتوكل، وأن يعدوا لهم قوة، وعندما يخرجون إلى الجهاد وأن يخرجوا بإخلاص لأن المراد بأن يكون القتال والصمود فيه خالصين لوجه الله تعالى، وأن الذي نستخلصه من هذه الآية هو :

١- الصبر والثبات ٢- الإخلاص ٣- تجنب نوع من الاختلاف وإن الاختلاف يكون في الآراء ووجهات النظر مع الإخلاص والتجرد للحق^(٢).

وقوله تعالى : ﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾^(٣).

بيان : لما أمر الله تعالى نبيه بالتوكل بين ما هو معنى وجوب التوكل عليه، فقال: ﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ ﴾ على كل من ناوكم ﴿ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ﴾ أي: لا يقدر أحد على أن يغلبكم حتى لو كثر عدد من يناوئكم وقل عددكم ﴿ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ ﴾ أي: يمنع الله تعالى معونته عليكم ويخل بينكم وبين أعدائكم ذلك بمعيتكم إياه ﴿ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ وهذا يعني أنه لا يوجد ناصر لكم ينصركم بعد خذلان الله سبحانه وتعالى لكم، وإن القيام بهذه الأسباب التي تكون في مواطن الجهاد هي من أعظم أسباب النصر والتمكين وغلبة المجاهدين المؤمنون بالله تعالى، لكل أعدائهم الكافرين وإن مسألة قتال الأعداد ومواجهتهم ومقارعتهم فهي من أعظم شدائد الدنيا والانتصار عليهم هو فرج لتلك الشدائد، وإن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أخذ بالأسباب التي يرى أنها حسنة في في موطنها وتجلب له النصر والفرج، مثل: حفر الخندق في غزوة الأحزاب، إذ لم يستطع المشركون أن يلتحموا معهم في القتال فقط اكتفوا بالحصار حتى أنزل الله تعالى عليهم النصر لعباده وأوليائه كما ورد في قوله : ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا ﴾^(٤)،^(٥)، وتبين أن الملاحظ مما تقدم

(١) سورة الأنفال : آية (٤٥ - ٤٦ - ٤٧) .

(٢) ينظر : تفسير الكاشف : محمد جواد مغنية ، (٣ / ٤٩٠) .

(٣) سورة آل عمران : آية ١٦٠ .

(٤) سورة الأحزاب : آية ٢٥ .

(٥) ينظر : مجمع البيان في تفسير القرآن : الفضل بن الحسن ، الطبرسي (ت : ٥٤٨ هـ) (٢ / ٨٧٠)

تقدم في الاستعمالات القرآنية حصول أسباب الفرج لكل لحاضتها من العمل بنظام التسبيب والتفاوت واجتناب اليأس في الآية الواحدة، أي إن هذه أسباب الفرج الثلاثة تكون مجتمعة في الآية الواحدة، وتعدد أسباب الفرج في الآية الواحدة أيضا هو انفراج فتضاعف الانفراج في الإستعمال القرآني وهذا من وجوه الإعجاز .

المطلب الثاني : المسارعة في الخيرات :

إن المسارعة في الخيرات والإكثار منها واجتناب المحرمات، والابتعاد عنها وغيرها من الصفات التي يتحلى بها عباد الله المتقين وحزبه المفلحين الذين قال الله سبحانه وتعالى فيهم: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾^(١) فهذه المصاديق وغيرها هي سبب لتفريج الشدائد وزوال المكاره وتبديلها بالتحابب والمسرات وإنما هذا ليس خاص في حال الشدة فحسب وإنما في حال الرخاء وقبل الابتلاء أيضا فمن كان مسارعا في طاعة مولاه ومحجما عن معصيته، ووقع في بلية فليبشر بالفرج العاجل وفي كتاب الله تعالى ما يوضح هذا ويجليه، ومن مصاديق الفرج:

مصاديق الفرج :

أولاً : ما ورد في خطاب الله سبحانه وتعالى عن أنبيائه (عليهم السلام)، فيما حصل لهم من شدائد وتفضله تعالى عليهم بإنجائهم منها وكشفها عنهم؛ بسبب أوصاف اتصفوا بها، والتي منها المسارعة في الخيرات، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾^(٢)، قيل: في بيان هذه الآية: (إن الله أنعمنا عليهم لأنهم كانوا يسارعون في الخيرات من الاعمال ويدعوننا رغبة في رحمتنا او ثوابنا رهبة من غضبنا أو يدعوننا راغبين راهبين وكانوا لنا خاشعين بقلوبهم)^(٣)، وبيان آخر: وأراد بذلك زكريا وولده وأهله وقد بين أنه قد آتاهم ما طلبوه وعضد بعضهم ببعض من حيث كانت طريقتهم أنهم يجتهدون ويسارعون في عمل الخيرات، ويسرعون في طاعة الله تعالى وهي من أكبر ما يمدح المرء به لأنها تدل على حرص كبير وعظيم على الطاعة، وأما بقوله تعالى: ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾، وهو كقوله: ﴿ يَحْذَرُ الْأَخْزَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةً ﴾^(٤)، ربه وإن المعنى أنهم قد ضموا الى فعل الطاعات والمسارعة تكون فيها على أمرين :

(١) سورة المؤمنون : آية ٥٧ - ٦٠ .

(٢) سورة الأنبياء : آية ٩٠ .

(٣) الميزان في تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائي (ت : ١٤٠٢ هـ) ، (١٤ / ٣١٦) .

(٤) سورة الزمر : آية ٩ .

- ١ - الفرع الى الله سبحانه وتعالى لمكان الرغبة في ثوابه والرغبة في عقابه .
- ٢ - الخشوع وهو ثبوت المخافة في القلب، فعندها يكون الخاشع هو الحذر الذي لا ينبسط في الأمور خوفاً من الأثم^(١) .

ويتضح أن الآية تُظهر أن المؤمنين الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانوا يسارعون في الخيرات أي أنهم لا يتوانون عن فعل الخير ويسابقون الزمن في أداء الأعمال الصالحة، هذا يمثل دعوة للمؤمنين إلى المسارعة إلى طاعة الله سبحانه وتعالى، وعدم التراخي في أداء الواجبات، ووجه الانفراج، هو أن الآية تُظهر أولئك الذين يسارعون في الخيرات ويدعون الله سبحانه وتعالى رغبةً ورهبةً، ويكونون خاشعين في عبادتهم، هذا يدل على أنهم في حال من التوازن بين الأمل والخوف، وهو ما يُعطيهم راحة نفسية وفرجاً في حياتهم، والانفراج في هذه الآية يتجلى في القبول من الله سبحانه وتعالى والإجابة على دعائهم، مما يفتح لهم أبواب الرحمة والمغفرة والنجاة، وخلاصة الكلام هو أن الآية تؤكد على أهمية المسارعة في الخيرات وتحث المؤمنين على العجلة في أداء الأعمال الصالحة، كما تعكس أملاً كبيراً في رحمة الله سبحانه وتعالى وفرجاً للمؤمنين الذين يسعون في عبادتهم بإخلاص وصدق.

ثانياً : إن الله سبحانه وتعالى ذكر مريم ابنة عمران (عليها السلام) أنها قد أحصنت فرجها وهي عفيفة عن الحرام ففرج الله سبحانه وتعالى عنها شدتها، وقال الله تعالى : ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾^(٢) .

قال السعدي : (ت : ١٣٧٦ هـ) أي : واذكر (مريم عليها السلام، مثنياً عليها مبيناً لقدرها شاهراً لشرفها فقال تعالى: ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ أي: حفظته من الحرام وقربانه وحين جاءها جبريل (عليه السلام) في صورة بشر سوي تام الخلق والحسن كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَقِيًّا ﴾^(٣)، فجازاها الله تعالى من جنس عملها ورزقها ولداً من غير أب وبرأها مما ظن بها المتهمون، فتكلم الصبي في المهد وأخبر عن نفسه في تلك الحالة وأجرى الله سبحانه وتعالى على يديه من الخوارق والمعجزات ما هو معلوم، فكانت وابنها آية للعالمين، تتحدث بها الأجيال جيلاً بعد جيل، ويعتبر بهما المعترفون^(٤)، وقال: الناصري (ت: ١٤٤١ هـ) : (واذكر مريم ابنة عمران التي حفظت فرجها وعفت فأجرينا فيها روح

(١) ينظر: مفاتيح الغيب : أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين ، فخر الدين الرازي (ت : ٦٠٦ هـ) ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط٣ ، ١٤٢٠ هـ ، (٢٢ / ١٨٢ - ١٨٣) .

(٢) سورة الأنبياء : آية ٩١ .

(٣) سورة مريم : آية ١٨ .

(٤) تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان : عبد الرحمان بن ناصر، السعدي ، مكتبة النهضة العربية، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٨ هـ ، (١ / ٦٢٤) .

المسيح كما يجري الهواء فخلقنا المسيح ﴿ وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ ، لأنها جاءت به من غير محل فتكلم في المهد بما يوجب براءتها من العيب (١)، ووجه المسارعة إن الباري تعالى جارى مريم (عليها السلام) بإحداث المعجزات لها من تكلم عيسى (عليه السلام) في المهد وإنه صاحب كتاب سماوي وإنه مبارك ولم يكن جبارا شقيا وبارا بوالدته وتولده من غير أب وهذا هو على نحو المسارعة وحفاظا عليها من هتكها، أي أن تبرئتها هو فرَج سريع لها، ويتضح أن الآية تتحدث عن السيدة مريم (عليها السلام)، التي أحصنت فرجها، أي حفظت نفسها من الفاحشة وكان لها مقام عالٍ من الطهر والعفة، وهذا يدل على المسارعة في طاعة الله سبحانه وتعالى لأن العفة من أعظم القربات، والسيدة مريم (عليها السلام) كانت منقطعة لعبادة الله سبحانه وتعالى، وهذا نوع من المسارعة في الخيرات، ووجه الانفراج، هو أن الآية تتضمن معجزة عظيمة وهي ولادة عيسى (عليه السلام) من أم بلا أب، وهذه كانت كرامة وانفراجا للسيدة مريم (عليها السلام) بعد أن ابتليت باتهامات قومها، تدخل الله سبحانه وتعالى بإظهار براءتها وإكرامها بهذه المعجزة يمثل انفراجا كبيرا في حياتها، وجعلها الله سبحانه وتعالى وابنها آية للعالمين، وهذا تكريم لها ورفع لشأنها، مما يعكس أن الله سبحانه وتعالى لا يضيع أجر الصابرين والمطيعين له، وخلاصة الكلام، هو أن الآية لا تتحدث بشكل مباشر عن المسارعة في الخيرات لكنها تلمح إليها من خلال ذكر طهر السيدة مريم (عليها السلام)، وهو جزء من المسارعة في طاعة الله سبحانه وتعالى، كما أن فيها بشرى بالفرج والتمكين بعد الابتلاء، مما يفتح باب الأمل والثقة بالله سبحانه وتعالى .

ثالثا : إن فلسفة الذكر بحيث تكون فيها الروح لادوام لها ولا دواء إلا الذكر فبذكر الله سبحانه وتعالى تنتعش الروح وتسمو وتحلق في عالم المعاني وبيصر الملكوت وبذكر الله تعالى يحيى القلب والعقل ونزول المتاعب والأوجاع وتنزل الرحمة والغيث الإلهي، كما قال الله تعالى: ﴿ فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ (٢)، قيل : (إن الذكر هو حضور المعنى للنفس ويكون بالقلب وبالقول وبكليهما، واذكروني بالطاعة إنكركم بالرحمة والمعونة على الطاعة واذكروني بالشكر أذكركم بالزيادة، واذكروني في النعمة والرخاء أذكركم في الشدة والبلاء واشكروا لي، أي اشكروا نعمتي وأظهروها واعترفوا بها، ولا تكفرون وتتسترون على نعمتي بالجحود والنكران) (٣)، وقال البغوي : (ت : ٥١٦ هـ)، في تفسير هذه الآية : قال ابن عباس:

(١) مختصر مجمع البيان : محمد باقر، الناصري ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم ، ط ٢ ، ١٤١٣ هـ ، (٣٤٦ / ٢) .

(٢) سورة البقرة : آية ١٥٢ .

(٣) مختصر مجمع البيان : محمد باقر الناصري (ت : ١٤٤١ هـ) ، (٩٨ / ١) .

اذكروني بطاعتي، أذكركم بمعونتي، وقال سعيد بن جبير: (اذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي بل)، أي: اذكروني في النعمة والرخاء، أذكركم في الشدة والبلاء^(١)، ويتضح أن الآية تدعو إلى ذكر الله سبحانه وتعالى، وهو من أعظم الأعمال الصالحة وأيسرها، لأن الذكر يقوي العلاقة بالله ويجلب البركة والخير، وفيها دعوة للمبادرة في الشكر لله سبحانه وتعالى، وهو نوع من المسارعة في الطاعات، لأن الشكر يزيد النعم كما قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(٢)، عدم الكفران هنا لا يقتصر على الإيمان فقط، بل يشمل عدم جحود نعم الله سبحانه وتعالى والمسارعة في استخدامها في الخير، ووجه الانفراج، هو الوعد الإلهي ﴿فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ هو أعظم انفراج، لأن ذكر الله سبحانه وتعالى لعبده يعني توفيقه، رعايته، وهدايته، مما يفتح له أبواب الرحمة والرزق والتيسير في الأمور، والشكر طريق إلى زيادة النعم ، وهذا بحد ذاته انفراج للمؤمن، لأنه يُبَشِّرُ بالمزيد من الخير والفضل من الله سبحانه وتعالى، والابتعاد عن الكفران والشكر لله سبحانه وتعالى مما يجعل الإنسان في حالة من الطمأنينة، وهذا نوع من الانفراج النفسي والروحي، والخاصة، أن الآية تحمل دعوة قوية إلى المسارعة في الخيرات من خلال الذكر والشكر، وتعد بانفراج عظيم، حيث يذكر الله سبحانه وتعالى عباده الذاكرين ويزيد من خير الشاكرين، مما يمنح الإنسان شعورًا بالأمان والطمأنينة والتيسير في حياته.

نلاحظ : أن الآية عرضت عدة مطالب وهي :

١- فضل الذكر في الروايات :

يعد الانبياء (عليهم السلام) والاولياء وأصحاب المعرفة الذين هم أكثر الناس معرفة بفضل الذكر وآثاره وفوائده، وهذه بعض الروايات التي ذكرت فضل الذكر:

أ - ورد عن النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) : (ألا أخبركم بخير أعمالكم أرفعها في درجاتكم وأزكاها عند مليكمم وخير لكم من الدينار والدرهم وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتقتلوهم ويقتلوكم، فقالوا بلى فقال ذكر الله كثيرا)^(٣)

ب - جاء في الحديث القدسي : (أيما عبد اطلعت على قلبه، فرأيت الغالب عليه التمسك بذكرني توليت سياسته، وكنت جليسه، ومحادثه، وأنيسه)^(٤) .

ج - عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) (قَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ مَنْ شَغِلَ بِذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن : أبي محمد حسين بن مسعود البغوي ، تح : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١، ١٤٢٠هـ ، (١ / ١٨٣) .

(٢) سورة إبراهيم : آية ٧ .

(٣) وسائل الشيعة : محمد بن الحسن الحر العاملي (ت : ١١٠٤ هـ)، تح: عبد الرحيم الرباني الشيرازي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، لبنان ، ط٥ ، ١٤٠٣هـ ، (٤ / ١١٨٢) .

(٤) ميزان الحكمة : محمدي الري شهري (ت : ١٤٤٣ هـ) تح : دار الحديث ، ط١، دت ، (٢ / ٩٦٩) .

أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِيَ مَنْ سَأَلَنِي (١) .

قال القرطبي في بيان دلالة الآية : (اذكروني بالطاعة أذكركم بالثواب والمغفرة، وقال أيضا الذكر طاعة الله، فمن لم يطعه لم يذكره وإن أكثر من التسبيح والتهليل وقراءة القرآن) (٢)، وعن محمد بن الحسن، عن الصفار، عن مروان بن مسلم، عن مسعدة ابن زياد ، عن الصادق عن آبائه (عليهم السلام) أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : (من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قلت صلواته وصيامه وتلاوته للقرآن، ومن عصى الله فقد نسي الله وإن كثرت صلواته وصيامه وتلاوته للقرآن) (٣)

٢- اثار الذكر على الانسان :

يتميز الذكر بطاقة ايجابية عظيمة لا يمكن وصف تأثيرها على الانسان ولكن بشكل عام فهو يحيي كل من القلب والروح والنفس ويثبت الانسان بالتواصل مع الله سبحانه وتعالى، ولكن شريطة الاستمرار بالذكر، وكذلك الاستعمال الصحيح للذكر، فالأذكار عامة وخاصة، فهو كالدواء، فليس كل ذكر يمكن أن يفيد الناس، بل كل ذكر له خواص تختلف في طبيعتها باختلاف الاشخاص والأزمان، كما قال الإمام علي (عليه السلام) في آثار الذكر :

١- قال (عليه السلام) (مداومة الذكر قوت الأرواح ومفتاح الصلاح) (٤)

٢- قال (عليه السلام) (أذكروا الله ذكراً خالصاً؛ تحيوا به أفضل الحياة، وتسلكوا به طريق النجاة) (٥)

٣- قال (عليه السلام) (ذكر الله قوت النفوس ومجالسة المحبوب) (٦) .

من هنا يتبين آثار الذكر على الإنسان في حياته وروحه ونفسيته وذلك لصلاحها وانتظامها في منهجها وسلوكها مما ينعكس إيجاباً عليه في حياته الدنيوية والأخروية .

(١) فلاح السائل ونجاح المسائل : رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت : ٦٦٤ هـ)، التلخيصات الإسلامية في الحوزة العلمية، قم، إيران، ط١، ١٤٠٦ هـ، (٣٢ / ١) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد، القرطبي (ت : ٦٧١ هـ)، منشورات ناصر خسرو، طهران، ط١، ١٤٠٦ هـ، (١٧١ / ٢) .

(٣) وسائل الشيعة : محمد بن الحسن، الحر العاملي (ت : ١١٠٤ هـ)، تح : مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، قم، ط٢، ١٤١٤ هـ، (٢٥٧ / ١٥) .

(٤) عيون الحكم والمواعظ : علي بن محمد الليثي الواسطي، (ت : توفي في القرن السادس الهجري)، تح: حسين الحسيني البيرجندي، دار الحديث، د.ط، د.ت (٤٨٧ / ١) .

(٥) نهج الذكر : محمد الريشهري، (ت : ١٤٤٣ هـ)، د.ط، د.ت، (٩٣ / ١) .

(٦) ميزان الحكمة : محمدي الري شهري، (٩٦٩ / ٢) .

٣- فلسفة الشكر الالهي :

يمثل الشكر حالة إيجابية ومرموقة للإنسان في حياته عموماً ، وشكر الخالق العظيم لايمثل حالة إيجابية فحسب وإنما توارد النعم عليه من أجل هدايته لكماله اللائق به ، وتوفير ما يحتاج إليه الإنسان من نعم مادية ومعنوية ظاهرة وباطنة ، كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾^(١) ، وقال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾^(٢) ، وقال تعالى : ﴿ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴾^(٣) كل ذلك يستلزم من العاقل والعبد والانسان الشكر له تعالى، وفي هذا المنحى نجد روايات أهل البيت (عليهم السلام) بالتوجه فينقل عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) قوله : (فكيف لي بتحصيل الشكر وشكري إياك يفتقر إلى شكر فكلمنا قلت لك الحمد وجب علي لذلك أن أقول لك الحمد)^(٤) ، وهذا ما أسماه أمير المؤمنين عليه السلام شكر الشكر في قوله : (من شكر الله سبحانه وجب عليه شكر ثانٍ ، إذ وقَّفه لشكره ، وهو شكر الشكر)^(٥) ، وقال : الإمام الصادق (عليه السلام) (أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام ، يا موسى اشكرني حقَّ شكري فقال (عليه السلام) يا ربَّ كيف أشكرك حقَّ شكري ، وليس من شكر أشكرك به إلا وأنت أنعمت به عليَّ فقال: (عزَّ وجلَّ) يا موسى شكرتني حقَّ شكري حين علمت أن ذلك منِّي)^(٦) ، وعنه (عليه السلام) كذلك قوله : (من أنعم الله عليه بنعمة فعرَّفها بقلبه ، فقد أدَّى شكرها)^(٧) ، هذا كلُّه في جانب المعرفة القلبية ، أمَّا في جانب الممارسة العملية لكي يكون العبد شكوراً لله تعالى ولكي لا يُبتلى ببلاء النفاق ، فإنَّه لا بدَّ أن يترجم شكره عملياً ويظهره في سلوكه من خلال تجنُّب محارم الله سبحانه وتعالى ، وعدم اقرار المعاصي والذنوب ، قال: الإمام علي (عليه السلام) (شكر المؤمن يظهر في عمله ، وشكر المنافق لا يتجاوز لسانه)^(٨) ، وعنه (عليه السلام) :

(١) سورة لقمان : آية ٢٠ .

(٢) سورة الجاثية : آية ١٣ .

(٣) سورة إبراهيم : آية ٣٤ .

(٤) بحار الأنوار : محمد باقر بن محمد تقي ، المجلسي ، (ت : ١١١٠ هـ) ، مؤسسة الوفاء ، ط ٢ ، ١٤٠٣ هـ ، (١٤٦ / ٩٤) .

(٥) ميزان الحكمة : محمد الري شهري ، (١٤٨٧ / ٢) .

(٦) قصص الأنبياء : قطب الدين سعيد بن هبة الله ، الراوندي ، (ت : ٥٧٣ هـ) ، تح : الميرزا غلامرضا عرفانيان ، مجمع البحوث الإسلامية ، د . ط ، د . ت ، (١ / ١٦١) .

(٧) الكافي : محمد بن يعقوب بن إسحاق ، الكليني ، (ت : ٣٢٩ هـ) ، تح : غفاري علي أكبر وآخوندي ، محمد ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ، ط ٤ ، ١٤٠٧ هـ ، (٢ / ٩٦) .

(٨) ميزان الحكمة : محمد الري شهري ، (١٤٨٨ / ٢) .

(شُكِرَ كُلُّ نِعْمَةِ الْوَرَعِ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ)^(١)، قال السمرقندي : (ت : ٣٧٣ هـ)، قال تعالى ﴿ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُوا ﴾^(٢)، يعني (اشكروا نعمتي التي أرسلت فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ولا تجحدوا هذه النعمة ويقال النعمة في الحقيقة هي العلم وما سوى ذلك فهو تحويل من راحة إلى راحة وليس الطعام بنعمة لأن الطعام إذا أكله الإنسان فبعد ساعة يطلب منه الفرج والثوب الحسن ربما يمل منه إذا كان يؤذيه الحر أو البرد والعلم لا يمل منه صاحبه بل ربما يطلب له الزيادة فأمر الله تعالى بشكر هذه النعمة التي بعث رسولا ليعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون)^(٣)، ويتضح إن الآيات القرآنية التي ذكرت تكون المسارعة فيها إما صريحة أو مستتبهة، وهذا يعني إن الفرج والانفراج هو عنصر متحرك مشترك في كثير من الآيات القرآنية ؛ لعدم إنحصار أسباب الفرج بالدلالة المطابقة الصريحة في الآيات القرآنية .

(١) مشكاة الأنوار في غرر الأخبار : أبو الفضل بن الحسن ، الطبرسي (ت : ٥٤٨ هـ)، تح : مهدي هوشمند، د. ط، د. ت، (١ / ٧٥) .

(٢) سورة البقرة : آية ١٥٢ .

(٣) بحر العلوم : نصر بن محمد بن أحمد، السمرقندي (ت : ٣٧٣ هـ)، تح : أبو سعيد عمر بن غلام محسن عمري ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١، د . ت ، (١ / ١٠٤) .

المطلب الثالث : الاستغفار والتوبة :

يمثل الإستغفار والتوبة ارتكازات روحية منحها الباري عز وجل لعباده وهي من أهم المناطات العقديّة الظاهرية للفرج بعد كل شدة وكرب وضيق ألا وهي التوبة إلى الله سبحانه وتعالى واستغفاره، وهما من أعظم الظواهر التي يتقرب بهما العبد الى ربه وعند الخوض في هذا المطلب لابد أن بيان هذه الجزئية وهي أن الاستغفار والتوبة سبب لكشف الشدة وتفريجها قبل الحديث عنهما تجد الإشارة الى بيان دلالتها وفضلها ويجري البحث على بيان ماهية هذين المفهومين وعلى النحو الآتي :

الاستغفار لغة : دأب المعجميون على بيان مفردة الإستغفار فهو يراد به طلب الستر والوقاية مأخوذ من العفر وهو الستر والتغطية، ومنه سُمِّيَ المغْفَرُ لما يلبس أثناء الحرب لوقاية الرأس من الضربات، قال الفيروز آبادي : (ت : ٨١٧ هـ) ، (غفره يغفره ستره، واستغفره من ذنبه استغفره إياه، طلب منه غفره والمغْفَرُ زَرَدٌ من الدرع يلبس تحت القلنسوة، أو حلق يتقنع بها المتسلح)^(١).

الاستغفار اصطلاحاً : هو طلب غفران الذنوب من الله تعالى ، بلفظ الاستغفار، كقول : (أستغفر الله) أو دعاء الله تعالى بالمغفرة كقول : (اللهم اغفر لي) .

قيل : (والغفران والمغفرة من الله هو أن يصون العبد من أن يمسه العذاب والاستغفار طلب ذلك بالمقال والفعال)^(٢)، وقيل: (أن الاستغفار هو طلب المغفرة من الله، فإن اقترن به توبة فهو الاستغفار الكامل الذي رتبت عليه المغفرة، وإن لم تقترن به التوبة ، فهو دعاء من العبد لربه أن يغفر له ، فقد يجاب دعاؤه وقد لا يجاب، وهو بنفسه عبادة من العبادات، فهو دعاء عبادة ودعاء مسألة)^(٣)

التوبة لغة : مصدر الفعل، تاب والتوب بمعنى الرجوع والعودة ، قال ابن منظور (ت : ٧١١ هـ) (التوبة الرجوع عن الذنب ، والتوب مثله ، وأصل تاب عاد إلى الله سبحانه وتعالى ورجع ومعنى تاب الله عليه أي عاد عليه بالمغفرة ، وتاب إلى الله يتوب توباً وتوبة ومتاباً أناب، ورجع

(١) القاموس المحيط : العلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب ، تح : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط ٨ ، ١٤٢٦ هـ ، (١ / ٤٥١) .

(٢) مفردات الراغب الأصفهاني ، مع ملاحظات العاملي ، الشيخ علي الكوراني العاملي ، (ت : ١٤٤٥ هـ) ، دار المعروف ، قم ، ط ١ ، ١٤٣٤ هـ ، (٣ / ٥٤٦ هـ) .

(٣) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن : أبو عبد الله ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (ت : ١٣٧٦ هـ) ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ ، (٢ / ٣٦٤) .

عن المعصية إلى الطاعة (١) .

التوبة اصطلاحاً : (فهي الرجوع إلى الله بعد الإعراض عنه ، أو الرجوع إلى صراط الله المستقيم بعد الانحراف عنه) (٢) .

منزلة الاستغفار والتوبة وفضلهما :

جاء ذكر الاستغفار والتوبة في القرآن الكريم على ثلاثة أضرب نأخذ بعض هذه الآيات وهي:

أولاً : إفراد الاستغفار كقوله تعالى : ﴿ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (٣)

ثانياً : إفراد التوبة كقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ (٤)

ثالثاً : قد جاء ذكرهما مقترنين كقوله تعالى : ﴿ وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ ﴾ (٥) .

ويتضح عندنا عند النظر إلى الآيات الثلاث ، نجد أن كلاً منها تتناول الاستغفار والتوبة ، سواء أكانا مذكورين بشكل منفرد أو مقترنين، مما يوضح بعض الفروق لدقيقة بينهما، ففي الآية الأولى، هنا ورد الاستغفار منفرداً دون ذكر التوبة ، وهذا يشير إلى أن الاستغفار مطلوب حتى دون شرط التوبة ، فقد يكون المرء محتاجاً لطلب المغفرة من ذنب معين أو تقصير عام، حتى لو لم يصل بعد إلى مقام التوبة النصوح، والاستغفار طلب للصفح والرحمة، وقد يكون للكبير والصغير من الذنوب، بل حتى لرفع الدرجات، وفي الآية الثانية هنا وردت التوبة منفردة دون ذكر الاستغفار، والتوبة هي رجوع إلى الله سبحانه وتعالى بعزم صادق على عدم العودة للذنب وتحقيق الشروط المعروفة من الندم والإقلاع والعزم، ولم يُذكر الاستغفار هنا، مما قد يشير إلى أن التوبة النصوح تغني عن الاستغفار، لأنها تتضمنه ضمناً، وفي الآية الثالثة، جاء الاستغفار والتوبة مقترنين، مما يدل على تكامل المعنيين، بدأ بالاستغفار ثم التوبة، مما يوحي بأن طلب المغفرة يسبق التوبة، فالاستغفار قد يكون استرضاءً للرحمة الإلهية قبل أن يصل العبد إلى مقام التوبة الكاملة، والاستغفار يتعلق بطلب المغفرة من الذنب الماضي، بينما التوبة تتعلق بالعزم على عدم العود .

(١) لسان العرب : محمد بن مكرم بن علي ، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي، دار صادر، بيروت ، ط ٣ ، ١٤١٤ هـ ، (١ / ٢٣٣) .

(٢) رسائل فقهية : الشيخ مرتضى بن محمد أمين بن مرتضى الانصاري (ت : ١٢٨١ هـ) ، د . ط ، د . ت ، (١ / ٥٥) .

(٣) سورة النساء : آية ١٠٦ .

(٤) سورة التحريم : آية ٨ .

(٥) سورة هود : آية ٣ .

وبينما حفل القرآن الكريم بأيات كثيرة تبين منزلة الاستغفار والتوبة وفضلهما منها :

١- تكفير الذنوب ومحوها، إذ ورد ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾^(١)، معنى هذه الآية : هو أن الذي يقترف ذنبا، وهو السوء أو يقوم بظلم نفسه وذلك من خلال إكتساب المعاصي التي يستحق بها العقوبة من الله سبحانه وتعالى : ﴿ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ ﴾، يعني يتوب الى الله سبحانه وتعالى ويرجع إليه وترك مما عمل من المعاصي، ويراجعه بكل خطواته فعندها ﴿ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾، ومعناه يعلمه ساترا عليه ذنبه بصفحة له من عقوبة جرمه، ﴿ رَحِيمًا ﴾ به^(٢)، والآية تشير إلى أن الباري عز وجل يؤكد على أن من استغفر وتاب وعمل صالحا، أنه سبحانه وتعالى يبذل سيئات الإنسان الى حسنات، كما ذكر في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾^(٣)، وقيل معنى هذه الآية : (هو أن الله سبحانه وتعالى يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة، ويثبت مكانها لواحق طاعتهم، أو يبذل ملكة المعصية في النفس بملكة الطاعة، أو يبذل الله سبحانه وتعالى كل عقاب ثوابا)^(٤)، ويتضح في هاتين الآيتين بيان واضح لعظمة الاستغفار والتوبة، وبشارة بانفراج الكرب وتبدل الحال إلى الأفضل لمن أقبل على الله تعالى بصدق، فالآية الأولى تعطي وعدًا مطلقًا لكل من ارتكب سوءًا أو ظلم نفسه، أنه بمجرد استغفاره يجد الله سبحانه وتعالى غفورًا رحيمًا، ولم تضع الآية قيدًا للذنوب، بل شملت كل سوء وكل ظلم، مما يدل على سعة رحمة الله سبحانه وتعالى، فقول الله سبحانه وتعالى (يجد الله غفورًا رحيمًا) فيه تأكيد أن الغفران ليس احتمالًا بل وعدًا محققًا، والآية الثانية هي أعظم في البشارة، لأنها لا تكتفي بمغفرة الذنوب، بل تبشر بأن الله سبحانه وتعالى يبذل السيئات إلى حسنات، وهذا يدل على أن التوبة النصوح ليست فقط محوًا للذنوب، بل تحولًا روحيًا يجعل العبد في مقام من الخير لم يكن فيه قبل التوبة، والآية تؤكد على ثلاثة شروط: التوبة، والإيمان والعمل الصالح، وهذا يعني أن التوبة ليست مجرد قول باللسان، بل تغيير حقيقي في السلوك ووجه الانفراج في هاتين الآيتين يتمثل في زوال ثقل الذنوب عن القلب، لأن الله سبحانه وتعالى وعد بالمغفرة لمن يستغفر بصدق، وإن التوبة الصادقة تحول السيئات إلى حسنات، مما يعني تغيير الحال إلى الأفضل وفتح صفحة جديدة مليئة بالأمل، فلا يبقى الإنسان محاصرًا بالماضي

(١) سورة النساء : آية ١١٠ .

(٢) ينظر : التبيين في تفسير القرآن : محمد بن الحسن الطوسي ، (٣ / ٣٢١) .

(٣) سورة الفرقان : آية ٧٠ .

(٤) تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب : محمد بن محمد رضا ، القمي المشهدي (ت : ١١٢٥ هـ) ، تح : حسين دركاهي ، مؤسسة الطباعة والنشر في وزارة الإرشاد الإسلامي ، طهران ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ ، (٩ / ٤٣١) .

بل ينطلق بروح مطمئنة وعلاقة قوية مع الله سبحانه وتعالى ، مدرِّكاً أن الرحمة مفتوحة دائماً .
٢- إن التوبة هي سبب الفلاح في الدنيا والآخرة، كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾^(١)، إن الله تعالى قد أرشد عباده الى التوبة من المعاصي فقال لهم ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ، ذلك مما قد وقع عليكم من النظر المحرم أو الممنوع منه ومن غيره ، فهنا وجب الأمر بالتوبة ولا يوجد أي خلاف بين المسلمين في وجوب التوبة بل هي فرض من فرائض الدين والعقيدة ، والمراد أيضاً بالتوبة هو عما كانوا يفعلونه بالجاهلية، وإن ظاهر الآية تدل على أن العصيان لا ينافي الإيمان، وبعدها ذكر ما يرغبهم في التوبة فقال: ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ أي: تفوزون بسعادة الدنيا والآخرة، أو قد تنجون عند قبول التوبة^(٢)، وإن الإعراض عن التوبة هو ظلم عظيم وخسارة كبيرة، وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾^(٣)، قال : الهواري (ت : ٢٥٠ - ٣٠٠ هـ) : الظلم هو ظلم النفاق وليس ظلم الشرك، وهو ظلم دون ظلم، وظلم فوق ظلم^(٤)، وذكر المعنى: إن الذين يقتربون المعاصي بعد ورود النهي عنها ولم يتوبوا بعد إرتكاب المعاصي ولم يندموا ولم يرجعوا الى الله سبحانه وتعالى بتركها ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ حقاً، وقوله : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ ﴾ فهو إشعار الى من كان يقترب المعاصي من المؤمنين^(٥)، ويتبين أن الآية تتناول أحكام الحجاب وغيض البصر، وتأمير النساء بالحفاظ على العفة، مع استثناءات لمن يجوز لهن إبداء زينتهن أمامهم، وختمت الآية بالدعوة إلى التوبة، مما يدل على أن الامتثال للأوامر الإلهية قد يشوبه تقصير، وأن التوبة مفتوحة للجميع، وربط الفلاح بالتوبة يشير إلى أنها ليست مجرد وسيلة لغفران الذنوب، بل هي باب للفوز والنجاح في الدنيا والآخرة، ووجه الانفراج في الآية : وهي التوبة بحيث تعتبر طريق للخلاص من الذنوب والضيق، فهي تفتح أبواب الرحمة الإلهية وتزيل آثار التقصير، والآية تؤكد أهمية العفة، وتبرز التوبة كسبيل أساسي للفلاح، مما يدل على أن الانضباط الشرعي يقترن دائماً بفرصة الرجوع إلى الله، وهذا من أعظم أسباب الانفراج والرحمة.

(١) سورة النور : آية ٣١ .

(٢) ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن : السيد محمد صديق، القنوجي (ت : ١٣٠٧ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ ، (٥٨٢ / ٤) .

(٣) سورة الحجرات : آية ١١ .

(٤) تفسير كتاب الله العزيز : الهواري ، هود بن محكم ، دار البصائر، الجزائر، ط ١ ، ١٤٢٦ هـ (١٧٥ / ٤) .

(٥) ينظر: مختصر الميزان في تفسير القرآن : الطباطبائي ، السيد محمد حسين وإلياس كلانترى ، منشورات أسوة (التابعة بمنظمة الأوقاف والشؤون الخيرية) ، طهران ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ ، (١٩ / ٦) .

٣- تعدان من صفات الأنبياء (عليهم السلام) ومن أتباعهم المؤمنين، كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴾^(١)، المعنى أي: يكون رقيق القلب وقوي الإيمان وثابت الدين وكثير التأوه والدعاء ﴿ مُنِيبٌ ﴾، وهو الذي يرجع الى الله سبحانه وتعالى في كل أمر^(٢)، وقوله تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾^(٣)، أي : أنعمنا به عليه ﴿ نِعَمَ الْعَبْدِ ﴾ وهو سليمان (عليه السلام) فهو اتصف بما يوجب المدح وهو ﴿ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ أي : رجع الى الله سبحانه وتعالى في كل أموره وأحواله ويكون بالمحبة والذكر والدعاء والتضرع ، وأن يجتهد في مرضاة الله سبحانه وتعالى وأن يقدم رضا الله تعالى على كل شيء^(٤)، وقال الله تعالى عن المؤمنين المتقين ﴿ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾^(٥)، قيل أي : (يصلون عند السحر أو يصلون بالليل، ويستغفرون عند السحر عن كل ذنوبهم)^(٦)، وقوله تعالى: ﴿ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾^(٧)، بيان معنى هذه الآية : هم الذين يصبرون على كل الطاعات ولا يفارقونها وعلى المكروه لا يتسخطون، ولا يقارفون المعاصي وهم صادقون كل الصدق في إيمانهم وأقوالهم وأعمالهم، وهم القانتين العابدين لله سبحانه وتعالى والمحسنين والداعين والضارعين، وهم المؤدين بنفقتهم للزكاة والمتصدقين بفضول أموالهم، وهم الذين يستغفرون في وقت الأسحار ويسألون ربهم بأن يغفر لهم وهو وقت السحور، ويتهدجون آخر الليل وقبيل طلوع الفجر يكثر من الاستغفار وهو طلب المغفرة^(٨)، وروي عن أبي عبد الله (عليه السلام) (أن من استغفر الله سبعين مرة في وقت السحر فهو من أهل هذه الآية)^(٩) وروى أنس عن النبي (صلى الله عليه وآله)، أنه قال: إن الله تعالى يقول (إنني لأهم بأهل الأرض عذابا فإذا نظرت إلى عمار بيوتي، وإلى المتجهدين، وإلى المتحابين في الله سبحانه وتعالى، وإلى المستغفرين بالاسحار، صرفته عنهم انتهى)^(١٠)، ولفظ الآية شمل كل مستغفر في السحر .

(١) سورة هود : آية ٧٥

(٢) ينظر: التفسير المبين : محمد جواد مغنية ، مؤسسة البعثة ، قم ، ط ٣ ، د.ت ، (١ / ٢٩٥) .

(٣) سورة ص : آية ٣٠ .

(٤) ينظر: تيسير الكريم الرحمن : عبد الرحمن بن ناصر ، (١ / ٨٥٧) .

(٥) سورة الذاريات : آية ١٨ .

(٦) بحر العلوم : نصر بن محمد بن أحمد ، (٣ / ٣٤٣) .

(٧) سورة آل عمران : آية ١٧ .

(٨) ينظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير : أبو بكر جابر ، الجزائري ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة، المنورة، ط ١، ١٤١٦ هـ، (١ / ٢٩٤ - ٢٩٥) .

(٩) بحار الأنوار : محمد باقر بن محمد تقي المجلسي ، (ت : ١١١١ هـ) مؤسسة الوفاء ، ١٤٠٣ هـ ، ط ٢ ، د.ت ، (٨٧ / ١٢٠) .

(١٠) المصدر نفسه .

٤- التوبة سبب نيل محبة الله سبحانه وتعالى ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النَّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾^(١)، ومعنى هذه الآية : (أن التواب هو كثير كثير المراجعة والرجوع الى الله سبحانه وتعالى وأن تكونوا كثيري النظر الى الأمر وأن ترجعوا في جميع أحوالكم الى الله تعالى والى أمره حتى في أخس أحوالكم)^(٢)، ويتبين إن الآية الآية تُظهر أهمية التوبة والطهارة في الحياة اليومية للمؤمنين، تُذكر التوبة من خلال حب الله سبحانه وتعالى للمتطهرين والمتطهرات، وتدل على أن التوبة هي خطوة أساسية للنقاء الروحي، والتوبة هنا تتعلق بالتحويلات الطقسية والشرعية التي يعينها الإسلام لتحقيق الطهارة البدنية والروحية . ووجه الانفراج يظهر في الربط بين التوبة والطهارة، فالتوبة تفتح باباً للرحمة الإلهية، وبالتالي تحقيق الراحة النفسية، والطهارة الجسدية (بعد الحيض) تعكس الطهارة الروحية، ما يعكس التوازن بين الجسد والروح، وخلاصة الكلام هو أن الآية تشير إلى أن التوبة والطهارة أمران مكملان، وأن الإنسان عندما يتوب ويظهر نفسه، يكون قد فتح لنفسه باباً للرحمة والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى، وهو ما يؤدي إلى الانفراج الروحي والنفسى.

٥- أن التوبة والاستغفار سبب للفرج بعد الشدة، كما قال: الإمام علي (عليه السلام) (وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ تَنَاهِي الشَّدَّةِ تَكُونُ الْفَرَجَةُ - وَعِنْدَ تَصَائِقِ حَلْقِ الْبَلَاءِ يَكُونُ الرَّخَاءُ)^(٣).

التوبة والاستغفار سببا للفرج بعد كل شدة :

إن قضية التوبة والاستغفار تُعدُّ من بديهيات الانفراج بعد الشدائد والصعاب وهذا يتبين لكل فرد يريد أن يتدبر القرآن الكريم، ويرد هذا الحال في عدة مواضع منه :

أولاً : توبة يونس (عليه السلام) التي كانت هي سببا في نجاته من الشدة التي مرت عليه، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمَمِ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٤) إن معنى هذه الآية : إن الغضب الذي حال بنبي الله يونس (عليه السلام) هو ليس الغضب من الله سبحانه وتعالى وهو المحيط بكل شيء والى أين المفر من الله تعالى وإنما كان مغاضباً مع من كانوا معه في قريته، وغضب عليه قومه لتكرار دعوته وصموده في

(١) سورة البقرة : آية ٢٢٢ .

(٢) تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة : السلطان محمد ، كئابادي ، (ت : ١٣٢٧ هـ) مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٨ هـ ، (١ / ١٩٩) .

(٣) نهج البلاغة : أبو الحسن محمد الرضي بن الحسن الموسوي ، السيد الرضي (ت : ٤٠٦ هـ) تح : د . صبحي الصالح ، دار الكتب اللبناني ، د . ط ، د . ت ، (١ / ٥٣٦) .

(٤) سورة الأنبياء : آية ٨٧ - ٨٨ .

دعايته فأيس منهم وغضب عليهم ف ﴿ ذَهَبَ مُغَاضِبًا ﴾ ، وهو غضبان على قومه في ذات الله سبحانه وتعالى إذ غضبوا عليه لدعوته الدائبة الى الله تعالى فعندما أيس من إيمانهم بالله تعالى ولكن كان لديهم استعداد للإيمان ماكان يعلمه يونس (عليه السلام) ولا رجاء^(١)، ومعنى هذه الآية : إن الله سبحانه وتعالى قد أرسل نبيه يونس (عليه السلام) الى قومه فدعاهم ، فلم يؤمنوا، فوعدهم بنزول العذاب عليهم ، فجاءهم العذاب ورأوه بأعينهم ، فعجوا وضجوا وتابوا الى الله سبحانه وتعالى، فعندما رفع الله سبحانه وتعالى عنهم العذاب، فأقر الله تعالى بكمال الألوهية، ونزله عن كل عيب وأفة ونقص، وقوله تعالى : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ ﴾ أي نجيناه من الشدة والكرب الذي قد وقع فيه ﴿ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ فهذا وعد وبشارة من الله تعالى لكل مؤمن قد وقع في شدة وغم وكرب، فسوف ينجيه الله سبحانه وتعالى منها ويزيل ويكشف عنه البلاء ويخفف لإيمانه، كما فعل في نبيه يونس (عليه السلام)^(٢)، وذكر معنى آخر: من قال أن يونس (عليه السلام) ظن أن الله لايقدر عليه من القدرة فقد كفر، بل عوتب على ذلك، لأنه قد خرج مغاضبا عليهم قبل أن يؤذن له، فكانت خطيئة له من جهة تأويله أنه يجوز له ذلك وقد كان مندوبا الى المقام، فلم يكن ذلك محظوراً وإنما هو كان ترك الأولى، وقوله تعالى : ﴿ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ أي: كنت من الباطسين نفسي ثوابها لو أقت، لأنه كان ذلك مندوبا إليه، ومن قال بجواز الصغائر على الأنبياء، قال كان ذلك صغيرة نقصت ثوابه فأما الظلم الذي هو كبيرة فلا يجوزها عليهم إلا الحشوية الجهال الذين لايعرفون مقادير الأنبياء الذين قد وصفهم الله سبحانه وتعالى بأنه اصطفاهم واختارهم^(٣)، ويتضح من الآيتين: إن نبي الله يونس (عليه السلام) وقع في كرب عظيم عندما ابتلعه الحوت، لكنه لجأ إلى الله تعالى بالدعاء والاستغفار، واعترافه بخطئه وقوله : ﴿ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ كان مفتاح النجاة من الغم، الله سبحانه وتعالى استجاب له ونجاه، مما يؤكد أن التوبة الصادقة تزيل الشدائد وتجلب الفرج ووجه الانفراج في الآيتين : هو الدعاء والتوبة يفتحان باب الرحمة الإلهية حتى في أشد الأزمان، وتختتم بقاعدة عامة ﴿ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي : أن مؤمن يمر بضيق يمكنه أن يتبع طريق الاستغفار والتوبة لينال الفرج كما ناله يونس (عليه السلام)، وخلاصة الكلام : أن الآيتان تؤكدان أن التوبة والاستغفار من أقوى أسباب الفرج بعد الشدة، وأن الإخلاص في

(١) ينظر : الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن : محمد الصادقي، الطهراني ، منشورات الثقافية الإسلامية ، قم ، ط ٢، ١٤٠٧ هـ، (١٩ / ٣٤٦ - ٣٤٧) .

(٢) ينظر : تيسير الكريم الرحمن : عبد الرحمن بن ناصر، آل سعدي ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت، ط ٢، ١٤٠٨ هـ، (١ / ٦٢٢ - ٦٢٣) .

(٣) ينظر : المنتخب من تفسير التبيان : أبو عبدالله محمد بن أحمد، ابن إدريس الحلبي (ت : ٥٩٨ هـ)، تح : السيد مهدي الرجائي ، مكتبة آية الله النجفي المرعشي ، قم ، ط ١، ١٣١٨ - ١٤٠٩ هـ، (٢ / ١٢٤ - ١٢٥)

الدعاء واللجوء إلى الله سبحانه وتعالى يفتح أبواب النجاة .

ثانيا : الآيات القرآنية التي تدل على أن الاستغفار هو سبب لنزول الخيرات والبركات وانتشارها وهطول الأمطار، والإمداد بالأموال والبنين، كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾^(٢)، فقد رتب على الشرط هو الاستغفار والتوبة، والجزاء هو المتاع الحسن وإرسال السماء بالأمطار ويسارع بزيادة القوة والإمداد بالأموال والبنين، ونوضح بعض هذه الآيات المباركة عند المفسرين وهي :

قال ابن كثير: في قوله تعالى : ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴾ ، (أمرهم بالاستغفار الذي يكون فيه تكفير للذنوب السالفة، وبالتوبة عما يستقبلون من الأعمال السابقة ومن اتصف بهذه الصفة يسر الله عليه رزقه وسهل عليه أمره وحفظ عليه شأنه وقوته)^(٤)، وإن من المعلوم بأن المطر بعد القحط والجذب، وإن الرزق يكون بعد المسغبة ووهب الأولاد بعد العقم وتأخير الإنجاب، وزيادة القوة وقت الحاجة إليها، وكل هذه الأمور التي ذكرناها هي من الفرج بعد كل شدة، وإن دليل ذلك هو ذكركم الآيات التي دلت على الاستغفار والتوبة وهي سببا لوجود كل هذه الأشياء، وتبين أن الاستغفار والتوبة هما جالبان لنا المنافع ودافعان عنا كل المكاره، ويكونان من أعظم أسباب الفرج بعد الشدة وأسرعها أثراً؛ وخاصة إذا كانت عند الإنسان شدة وسببها الذنب، وأن ما أصيب به هو عقوبة لذنوب قد فعله وارتكبه أو يكون واقعاً في الذنوب التي يكون مصراً ومعانداً عليها وهو في هذه الشدة، فإن توبته إلى الله سبحانه وتعالى من ذلك الذنب ، واستغفار ربه ومولاه هو سبب محقق لكشف الكرب وإزالة الغمة .

(١) سورة هود : آية ٣ .

(٢) سورة هود : آية ٥٢ .

(٣) سورة نوح : آية ١١ .

(٤) تفسير القرآن العظيم : إسماعيل بن عمر ، ابن كثير (ت : ٧٧٤ هـ) ، تح : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ ، (٢٨٥ / ٤) .

المبحث الثاني : العوامل الباطنية للانفراج في القرآن الكريم :

العوامل الباطنية مثل الخوف من الله سبحانه وتعالى ، والرجاء ، والصبر، والإيمان والصدق تؤدي دورًا رئيسيًا في تحقيق الانفراج والتيسير في حياة الإنسان ، لأنها ترتبط بتوجيه القلب إلى الله سبحانه وتعالى والثقة برحمته ، فالخوف من الله سبحانه وتعالى يجعل الإنسان يجتنب المعاصي، مما يحفظه من المصائب ، بينما الرجاء يمنحه الأمل بعد الشدة ، أما الصبر فهو سر تجاوز المحن بثبات، حيث وعد الله سبحانه وتعالى الصابرين بالأجر والفرج، والإيمان يمنح صاحبه الطمأنينة والثبات أمام الأزمات، في حين أن الصدق يجلب البركة والنجاة، فإن هذه العوامل ليست مجرد مشاعر، بل هي قوانين إلهية تؤدي إلى تغيير واقع الإنسان نحو الأفضل فتكون سببًا في رفع البلاء وجلب التيسير .

المطلب الأول : الخوف والرجاء :

وهما من عوامل الفرج من كل شدة ، لأنهما من أعمال القلب وعباداته الجليلة ، كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾^(١)، وقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾^(٢) ، وقد اجتمع الخوف والرجاء في آية واحدة، كما في قوله تعالى : ﴿ يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾^(٣) .

الخوف لغة : وهو (الذي يدل على الفزع والذعر)^(٤) .

الخوف اصطلاحاً : توقع مكروه عن أمانة مظنونة ، أو معلومة^(٥) ، وعرف أيضاً: هو توقع العقوبة على مجاري الأنفاس ، وإن الوجل والخوف والخشية والرغبة هما ألفاظ متقاربة غير مترادفة وقد عُرِّفَ الخوف اصطلاحاً بعدة تعريفات، ومفادُ هذه التعريفات أن الخوف حالة قلبية تنشأ عن توقع العقوبة ، تمنع صاحبها من ترك الطاعة أو ارتكاب المعصية ، سعياً لرضا الله تعالى^(٦) والخوف ألفاظ ذات صلة وهي (الرغبة والخشية والوجل) وهي ألفاظ متقاربة لمفردة الخوف وكلها جاءت في كتاب الله سبحانه وتعالى، فالرغبة وردت في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ اللَّهُ

(١) سورة البقرة : آية ٤٠ .

(٢) سورة الممتحنة : آية ٦ .

(٣) سورة الإسراء : آية ٥٧ .

(٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة : أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي ، أبو الحسين ، (ت : ٣٩٥ هـ)
تح : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ١٣٩٩ هـ ، د. ط ، د. ت ، (٤ / ٤٣٩) .

(٥) المفردات في غريب القرآن : أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت : ٥٠٢ هـ)
تح : صفوان عدنان الداودي ، دار القلم ، دار الشامية - دمشق بيروت ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ ، (١ / ٣٠٣) .

(٦) ينظر : المصدر نفسه ، (١ / ٥٠٧) .

لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿١﴾ ، ومفردة الخشية وردت في قوله تعالى: ﴿سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ (٢) ، والوجل ورد في قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (٣) والفرق بين الوجل والخوف أن الوجل هو استشعار الخوف أشد من الخوف إذ فيه نوع من الاضطراب وتعظيم للمخوف منه، وأما الخشية فهي أخص من الخوف كونها خوف مقرون بمعرفة وعلم، ويقين بعظمة من تخشاه وأما الخوف فيمكن حدوثه بسبب تسلط وقهر من غير استلزام تعظيم المخوف منه والرهبة بمعنى الخوف، ومنه قولهم : ترهيب وترغيب ، بمعنى الخوف والرجاء (٤) .

الرجاء لغة : فهو ضد اليأس ، وكذلك يطلق على الأمل، ففي اللسان عرف : الرجاء من الأمل نقيض البأس ممدود رجاه يرجوه رجوا ورجاء (٥) .

الرجاء اصطلاحاً : هو (أن ترجو لنفسك الرحمة ، وتخشى لأهل الغفلة النعمة ، ولكن ارج لهم الرحمة، واخش على نفسك النعمة) (٦) ، وقال أيضاً : الرجاء : هو (الاستبشار بجود وفضل الرب تبارك وتعالى، والارتياح لمطالعة كرمه سبحانه وتعالى) (٧) ، وقيل : (هو توقع محبوب عن أمارة مظنونة أو معلومة) (٨) ، وإذا لم يوقن المسلم أو المؤمن بما لدى الله سبحانه وتعالى، فقد أساء الظن به، وعن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قال : (أَحْسِنِ الظَّنَّ بِاللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ بِي إِنْ خَيْرًا فَخَيْرًا وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا) (٩) ، وإن لم يأت المسلم أو المؤمن بأسباب حصول ما يطمع فيه ، فعندها يكون متمنياً ويكون الفرق بين التمني والرجاء هو أن التمني يكون مع التواني والكسل والتفريط في العمل أو انعدامه، وبينما الرجاء يكون مع الجد وبذل الجهد وحسن التوكل (١٠) ، وبينما يقارب لفظ الرجاء في المعنى هو كل من

(١) سورة النحل : آية ٥١ .

(٢) سورة الأعلى : آية ٧ .

(٣) سورة الحج : آية ٣٥ .

(٤) ينظر: المفردات في غريب القرآن : أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢ هـ) تح : صفوان عدنان الداودي ، دار القلم ، الدار الشامية - دمشق بيروت ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ ، (١ / ٨٥٥) .

(٥) ينظر: لسان العرب : محمد بن مكرم بن علي ، أبو الفضل ، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت : ٧١١ هـ) ، دار صادر - بيروت ، ط ٣ ، ١٤١٤ هـ ، (١٤ / ٣٠٩) .

(٦) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت : ٧٥١ هـ) تح : محمد المعتصم بالله البغدادي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤١٦ هـ ، (١ / ٤٣٧) .

(٧) المصدر نفسه ، (٢ / ٣٦) .

(٨) المفردات في غريب القرآن : الراغب الأصفهاني ، (١ / ٣٠٣) .

(٩) الكافي : الشيخ الكليني ، (ت : ٣٢٩ هـ) ، (٢ / ٧٢) .

(١٠) ينظر : مدارج السالكين : ابن القيم ، (٢ / ٣٧) .

الرغبة والطمع كما في قوله تعالى : ﴿ وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾^(١)، وقوله : ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾^(٢)

فضل الخوف والرجاء :

إن الله سبحانه وتعالى قد أمر في كتابه الكريم برجائه والخوف منه، كما بين فضلها وأهميتها في حياة العبد، فقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾^(٣)، أي طمعا في رحمته ومغفرته، يعبد الرب أو الأرباب من أحدهما وهما طريق الخوف وطريق الرجاء فإن قوما كانوا يتخذون الأرباب خوفا فيعبدونهم ليسلموا من شرورهم، وكان قوما يتخذون الأرباب طمعا فيعبدونهم لينالوا خيرهم وبركتهم لكن العبادة عن محض الخوف ربما ساق الإنسان إلى اليأس والقنوط فدعاه إلى ترك العبادة، والعبادة عن محض الطمع ربما قاد إلى استرسال الوقاحة وزوال زي العبودية فدعاه إلى ترك العبادة، وقد شوهد أيضا كثيرا فجمع الله سبحانه وتعالى بينهما ودعا إلى الدعاء باستعمالهما معا فقال : ﴿ وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ ليصلح كل من الصفتين ما يمكن أن تفسده الأخرى^(٤)، وإن للخوف والرجاء منزلة كبيرة في نطاق الإيمان والورع بالنسبة للإنسان المسلم، ولهما فضلها وأهميتها في حياته لأن خوف الإنسان من ربه يكون رادعا له عن كل فعل نهى الله سبحانه وتعالى عنه أو تركه، فضلا عن أن رجاء العبد لربه يعد دافعا له لترك ما نهى عنه، وفعل ما أمر به ، إذ إن الخوف فيه زجر والرجاء فيه حث .

الخوف والرجاء سببا للفرج بعد شدة :

تمثل حالتي الخوف والرجاء مصداقا للإيمان الرصين وذلك لما يترتب عليها من النتائج المثمرة في الحياة، فضلا عما يتحقق منها من إنفراج، وطالما العبد يكون في حالة التزام بالخوف من الله سبحانه وتعالى، وكذلك أيضا يكون في حالة الرجاء فينتج عنهما الإنفراج وزوال الشدة كما قال الله سبحانه وتعالى في بيانه للأية: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾^(٥)، قال الطبري : وقوله : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ﴾ يقول الله تعالى إن الذين سميانهم، يعني زكريا وزوجه ويحيى، كانوا يسارعون في الخيرات في طاعتنا، والعمل بما يفرّبهم إلينا، وقوله: ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ يقول تعالى ذكره وكانوا يعبدوننا رغبا ورهبا وعنى بالدعاء في هذا الموضع العبادة، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَعْتَزِلْكُمْ وَمَا

(١) سورة الأعراف : آية ٥٦ .

(٢) سورة الأنبياء : آية ٩٠ .

(٣) سورة الأعراف : آية ٥٦ .

(٤) الميزان في تفسير القرآن : الطباطبائي ، (٨ / ١٦٠) .

(٥) سورة الأنبياء : آية ٩٠ .

تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿١﴾، ويعنى بقوله ﴿رَغَبًا﴾ أنهم كانوا يعبدونه رغبة منهم فيما يرجون منه من رحمته وفضله ﴿وَرَهَبًا﴾ يعنى رهبة منهم من عذابه وعقابه، بتركهم عبادته وركوبهم معصيته (٢)، لذا يتضح أن الرهب هو الخوف، وهو رادع للعبد من أن يرتكب ما نهاه الله سبحانه عنه أو يترك ما أمره الله تعالى به ، وأن الرغب هو الرجاء، وهو دافع للعبد أن يمتثل بما أمره الله سبحانه به ويجتنب ما نهاه الله سبحانه وتعالى عنه، وهذا هو حقيقة التقوى، وأيضاً فإن في وصفهم بهذه الأوصاف، دليلاً على أنهم استحقوا ما استحقوه بسببها، وقال أبو السعود : ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾، أي ذوي رغب ورهب وراغبين في الثواب راجين للإجابة، وخائفين من العقاب وإرتكاب المعصية والمعنى أنهم قد نالوا من الله تعالى ما نالوا بسبب اتصافهم بهذه الخصال الحميدة (٣)، وقال الطوسي في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ ، أي بمعنى يبادرون في فعل الطاعات ويدعون الله تعالى رغبة في ثوابه، ورهبة من عقابه وكانوا لله خاشعين متواضعين (٤)، ويتبين إن الخوف والرجاء من الله تعالى يعدان من أعظم أسباب الفرج بعد الشدة، فالعبد إذا وقع في بلية أو ضيق، وكان في قلبه خوفٌ من الله سبحانه وتعالى ، فإن هذا الخوف يدفعه إلى محاسبة نفسه، وبتهمها بالتقصير في حق الله تعالى وحقوق عباده، فيرجع إلى ربه بالتوبة والاستغفار وهما من أعظم أبواب الفرج فحين يستشعر الإنسان أن ما نزل به من شدة لم يكن عبثاً، بل نتيجة لخلل في سلوكه أو انحراف في طريقه، يكون هذا الشعور باعثاً له على التصحيح والعودة إلى جادة الصواب، فيجد في التوبة مخرجاً، وفي الاستغفار انشراحاً، كما أن الأثر العميق للخوف والرجاء يظهر في حياة الإنسان الروحية، فيدفعه خوفه إلى الحذر من معصية الله تعالى، ويرجوه لنيل رحمته ومغفرته، فيعيش متوازناً بين الهيبة والطمع في رحمة الله تعالى وهذا التوازن يثمر إقبالاً صادقاً على الله سبحانه وتعالى، وسعيًا حثيثاً لنيل مرضاته، وطلب شفاعته من أذن لهم أن يشفعوا، كالنبيين والصالحين، ووجه الانفراج هنا يكمن في أن الخوف يولد الانكسار، والانكسار يقود إلى التوبة، والتوبة سبب في رفع البلاء، بينما الرجاء يفتح للعبد باب الأمل، ويبعث في قلبه الاطمئنان بأن الله رحمةً وسعةً لا تضيق، فيطمئن قلبه، وينشرح صدره، ويجد الفرج من حيث لا يحتسب .

(١) سورة مريم: آية ٤٨ .

(٢) جامع البيان : ابن جرير الطبري، (١٨ / ٥٢١) .

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم : أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (٩٨٢) ، (٦ / ٨٣) .

(٤) التبيان في تفسير القرآن : محمد بن الحسن الطوسي ، (٧ / ٢٧٥) .

المطلب الثاني : الصبر والإيمان :

يمثل مفهومي الصبر والإيمان إرتكازا أساسيا للمؤمن في مختلف سلوكيات حياته لما لها من أثر إيجابي عليّة في رفع قدره وتفريج همومه وكربه وهذه وقفه على بيانهما، يعد الصبر من أعظم أسباب الإنفراج للشدائد والكروب، وهو من مراتب الإيمان المثلى ودرجاته العليا وركيزته الفضلى، ونال هذا المفهوم إهتمام القرآن فوردت الكثير من الآيات في طياتها كقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾^(١)، وقوله تعالى ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾^(٢)، وهنا لابد من وقفه على بيان المضمون بدلالاته المتعددة لمفهوم الصبر .

أولا : الصبر لغة : يراد به المنع والحبس، وهو نقيض الجزع، قال ابن فارس: (الصاد والباء والراء) أصول ثلاثة، الأول الحبس، والثاني أعالي الشيء والثالث جنس من الحجارة^(٣) والصبر: (هو الحَبْس يقال صَبَرْتُ نفسي على ذلك الأمر، أي حبستها)^(٤)، وفي القاموس: الصبر نقيض الجزع^(٥)، وفي اللسان: (وأصل الصَّبْرِ الحَبْس وكل من حبس شيئا فقد صبره)^(٦) .

ثانيا : الصبر اصطلاحاً : يعرف العلماء مفهوم الصبر تعريفات عدة منها ما ذكره، الراغب الإصفهاني: (يراد به الإمساك في ضيق، وإمساك النفس على ما يقتضيه العقل والشرع، أو عما يقتضيان حبسها عنه)^(٧)، والصبر من واجبات الدين، وقال ابن القيم: (هو حبس النفس عن الجزع والتسخيط، وحبس اللسان عن الشكوى وحبس الشكوى عن التشويش)^(٨)، وقال ابن القيم: (الصبر: هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب)^(٩)، وقال الجرجاني : (هو ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله لا إلى الله)^(١٠)، وإن العبد محتاج إلى الصبر في كل حياته ، وفي طاعته لربه، وفي اجتناب معصية مولاه، وفيما يعرض له من أقدار الله تعالى .

(١) سورة البقرة : آية ٤٥ .

(٢) سورة العصر: آية ٣ .

(٣) معجم مقاييس اللغة : أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي ، أبو الحسين ، (٣ / ٣٢٩) .

(٤) المصدر نفسه : (٣ / ٣٢٩) .

(٥) ينظر: القاموس المحيط : مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، (١ / ٧٠٩) .

(٦) لسان العرب : ابن منظور، (٤ / ٤٣٨) .

(٧) مفردات ألفاظ القرآن : الراغب الإصفهاني ، (١ / ١٧٧) .

(٨) مدارج السالكين : ابن القيم ، (٢ / ١٥٥) .

(٩) المصدر نفسه : (٢ / ١٥٧) .

(١٠) التعريفات : الجرجاني ، (١ / ١٣١) .

الصبر سببٌ لكل فرجٍ بعد الشدة :

لاغرو أن يكون الصبر مفتاحاً لمغاليق الحياة وباباً من أبواب الإنفراج وقت الشدائد والصعاب، وذلك لما ورد في مواضع متعددة من كتاب الله سبحانه وتعالى:

أولاً : محبة الله تعالى وثبوتها ومعيتها للصابرين، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾^(١)، وقوله تعالى : ﴿ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾^(٢)، إن هذه الآيات تضمنت الأمر بجهد الأعداء، والإرشاد إلى الأسباب التي ينبغي للجيوش والمجاهدين الأخذ بها، فمن أعظمها وأهمها هما أمران :

أولاً : الصبر وهو الثبات التام وإبداء كل مالمديه من مجهود في تحصيل ذلك .

الثاني : التوكل على الله تعالى، والتضرع إليه والإكثار من ذكره دائماً، فمتى اجتمع هذان الأمران على وجه الكمال والتكميل فقد أتى المجاهدون بالأسباب الوحيدة للنصر والفلاح فليبشروا بنصر الله وليثقوا بوعده^(٣) .

ثانياً : ذكر الله سبحانه وتعالى ما جرى على نبي الله أيوب (عليه السلام) أنه قد فرج عنه الشدة والبلاء التي ابتلي بها وذلك بسبب صبره على الابتلاء، وبين ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَأَنْذِرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْتًا قَاصِرًا بِهِ وَلَا تَحْنُتْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾^(٤)، قال ابن كثير : (ت : ٧٧٤ هـ) : في بيانه لقوله تعالى : ﴿ رَحْمَةً مِنَّا ﴾ التي تشير الى الفرج بعد المرض أي رحمة منه تعالى بنبية على صبره وثباته وإنابته وتواضعه واستكانته واعتبر ذلك شاهداً على رعاية للصابرين، فقال تعالى: ﴿ وَذَكَرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ أي : لذوي العقول ليعلموا أن عاقبة الصبر الفرج والمخرج والراحة وهذا من الفرج والمخرج من الشدة لمن اتقى الله وأناب إليه ولهذا قال تعالى: ﴿ إِنَّا

(١) سورة آل عمران : آية ١٤٦ .

(٢) سورة الأنفال : آية ٤٦ .

(٣) ينظر : تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن : أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (ت : ١٣٧٦ هـ) ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ ، (١ / ١١٠) .

(٤) سورة ص : آية ٤٤ .

وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١﴾، وقال السعدي (ت : ١٣٧٦ هـ) في بيان هذه الآية: ﴿ وَذَكَرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ ، أي: ليتذكر أولو العقول بحالة أيوب (عليه السلام) ويعتبروا فيعلموا أن من صبر على الضر، فإن الله تعالى يثيبه ثواباً عاجلاً وأجلاً ويستجيب دعاءه إذا دعاه (٢)، ولم يقف النص على بيان التذكير لأصحاب العقول بل إمتد إلى تذكير العابدين قال تعالى: ﴿ وَذَكَرَى لِلْعَابِدِينَ ﴾ (٣) قيل أي: (جعلناه عبرة للعبدين، الذين ينتفعون بالصبر، فإذا رأوا ما أصابه أيوب (عليه السلام) ، من البلاء، ثم ما أثابه الله تعالى بعد زواله، ونظروا السبب؛ فوجدوه يتجلى بالصبر، ولهذا أثنى الله تعالى عليه به في قوله : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ فجعلوه أسوة وقدوة عندما يصيبهم الضر(٤) .

الثالث : ما قصه الله سبحانه وتعالى علينا في قصة طالوت وأنهم لما برزوا لجالوت وجنوده قالوا : ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (٥)، تبين هذه الآية : أنهم قد طلبوا وسألوا من الله سبحانه وتعالى إفراغ ونزول الصبر في قلوبهم وهو الذي ملاك الأمر، ومن ثم طلبوا منه ثبات القدم أو الأقدام في مداحض الحرب المسبب عنه، وأيضا طلبوا النصر على العدو المترتب عليهما، وإن الواقع بان الدعاء الأول قد أخذ سمة الطلب النفسي والباطني، وإن هذا الدعاء له جنبه ظاهرية وخارجية، وأن من المسلم أن ثبات القدم هو من نتائج روح الإستقامة والصبر، ومن الأمور التي طلبها جيش طالوت هو قوله ﴿ وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ وإن الواقع هو الهدف الأصلي من الجهاد(٦) تبين هذه الآية تصوّر موقف المؤمنين عندما واجهوا جيش جالوت فكانوا أقل عدداً وأضعف عدة لكنهم لم يعتمدوا على قوتهم بل لجأوا إلى الله تعالى بالدعاء فطلبوا منه أن يفيض عليهم الصبر حتى يتمكنوا من تحمل الشدائد دون ضعف وأن يثبت أقدامهم فلا يتزعزعوا أمام العدو ثم طلبوا النصر لأن القوة وحدها لا تكفي دون عون الله تعالى فكان الفرج بأن الله تعالى استجاب لهم فهزموا عدوهم بإذنه وهذا يدل على أن الصبر والثبات والاعتماد على الله تعالى هي مفاتيح

(١) تفسير القرآن العظيم : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت : ٧٧٤ هـ)، تح : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، منشورات محمد علي بيضون ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ ، (٦٦ / ٧) .

(٢) تيسير الكريم الرحمن : السعدي، (٨٥٩ / ١) .

(٣) سورة الأنبياء: آية ٨٤.

(٤) تيسير الكريم الرحمن : السعدي، (٦٢٢ / ١) .

(٥) سورة البقرة: آية ٢٥٠.

(٦) ينظر: تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب : محمد بن محمد رضا ، المشهدي ، القمي، سنة وفاته تتراوح (ت : ١٠٧٤ - ١١٠٧ هـ)، تح : حسين دركاهي ، مؤسسة الطباعة والنشر في وزارة الإرشاد الإسلامي ، طهران ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ ، (٣٨٨ / ٢)

الفرج في أصعب المواقف .

رابعا : إن الله سبحانه وتعالى قد أمر في هاتين الآيتين الاستعانة بالصبر والصلاة وذلك لما لهما من أثر في زوال المكروه وهما :

١- قوله تعالى : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾^(١) .

٢- قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾^(٢) .

في تفسير الآية الأولى : أمرهم الله سبحانه وتعالى بأن يستعينوا في أمورهم كلها بالصبر وبأنواعه وهو الصبر على طاعة الله سبحانه وتعالى حتى يؤديها، والصبر عن معصية الله جل وعلا حتى يتركها، والصبر على أقدار الله تعالى المؤلمة فلا يتسخطها، فالصبر وحبس النفس على ما أمر الله بالصبر عليه، معونة عظيمة على كل أمر من الأمور، ومن يتصبر يصبره الله تعالى، وذهب أيضاً عند الآية الثانية : وقد أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بالاستعانة على أمورهم الدينية والدينية بالصبر والصلاة، فالصبر: هو حبس النفس وكفها عما تكره فالصبر هو المعونة على كل أمر، فلا سبيل لغير الصابر، بأن يدرك مطلوبة، وخصوصاً الطاعات الشاقة المستمرة ، فهي مفتقرة أشد الافتقار إلى تحمل الصبر وتجرح المرارة الشاقة العصبية، فإذا لازم صاحبها الصبر، فاز بالنجاح والتفوق، وإن المعصية التي تشتت بها دواعي النفس ونوازعها إليها وهي في محل قدرة العبد، فلا يمكن تركها إلا بصبر عظيم وقدرة كبيرة وكف لدواعي قلبه ونوازعها لله سبحانه وتعالى واستعانة بالله على العصمة منها ، فإنها من الفتن الكبار وكذلك البلاء الشاق وخصوصاً إن استمر فهذا تضعف معه القوى النفسانية والجسدية، إن لم يقاومها صاحبها بالصبر لله تعالى والتوكل عليه واللجأ إليه والافتقار على الدوام^(٣)، وعليه ففي الآيتين من سورة البقرة ، نجد توجيهاً من الله سبحانه وتعالى للمؤمنين بالاستعانة بالصبر والصلاة في أوقات الشدة والمحن ، ففي سورة البقرة الآية ٤٥ ، قال تعالى: ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾ ، وهذا يشير إلى أن الصبر يساعد على تحمل الصعاب، بينما الصلاة تُعد وسيلة قوية للتواصل مع الله تعالى وطلب العون منه ، كما توضح الآية أن الصلاة قد تكون ثقيلة على من لا يخشع فيها، لكن الخشوع يجعلها مصدر راحة وطمأنينة ، فتصبح وسيلة فعّالة للتغلب

(١) سورة البقرة : آية ٤٥ .

(٢) سورة البقرة : آية ١٥٣ .

(٣) ينظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : السعدي ، (١ / ٧٤) .

على المتاعب، أما في سورة البقرة الآية ١٥٣، فنجد تكرار الدعوة للاستعانة بالصبر والصلاة مقروناً بوعد إلهي واضح : ﴿ إن الله مع الصابرين ﴾ ، ما يدل على أن الله تعالى يكون مع عباده الذين يتحلون بالصبر، يمدهم بالقوة ويغمرهم بالسكينة ، ومن خلال الآيتين يتبين لنا أن الصبر والصلاة هما مفتاح الفرج والنجاح في الأوقات العصيبة ؛ فالصلاة تمنح النفس طاقة روحية وسلاماً داخلياً والصبر يوفر الثبات والاستمرارية، أما وعد الله تعالى بأن يكون مع الصابرين فهو في حد ذاته مبعث أمل وطمأنينة بأن الفرج قريب ، مهما بلغت شدة الموقف .

ثانياً : الإيمان : الإيمان في المنهج العقدي يقوم على التصديق القلبي، والإقرار اللساني، والعمل بالجوارح، وهو قابل للزيادة والنقصان بحسب الطاعة والمعصية، ويُعدّ العمل جزءاً من كمال الإيمان، دون أن يكون شرطاً في أصل تحققه، وأما من حيث الانفراج، فالباب مفتوح للتوبة ولا يُحكم بالكفر على من قصر في العمل ما دام معتقداً بالأصول الحقّة، بل يبقى في دائرة الإيمان، مع استحقاقه للعقاب أو المغفرة وفقاً للميزان الإلهي، ولا بد من التعريف بالإيمان ونذكر ما يبين فضله وحاجة العبد له.

أولاً : الإيمان لغة : وَمَعْنَاهُ التَّصْدِيقُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾^(١)، وقيل :الإيمان إظهارُ الخُضُوعِ والقبولِ للشريعة ولما أتى به النبي (صلى الله عليه واله وسلم) ، واعتقاده وتصديقه بألقاب^(٢) .

ثانياً : الإيمان اصطلاحاً : هو ان تتكيف^(٣)، النفس بصفة اليقين بوجود ذات مقدّسة عن كل صفة نقص من صفات المخلوقين متصفة بكل صفات الكمال والغنى^(٤)، ويقول السبحاني : اذا كان الإيمان بمعنى التصديق: فيقع الكلام في كفاية أي قسم منه فإن للتصديق مظاهر مختلفة فالمحتملات أربعة^(٥) .

- ١- الإيمان هو الإقرار باللسان وإن اعتقد الكفر بقلبه، وهو قول (محمد بن كزّام السجستاني) .
- ٢- التصديق القلبي وإن اظهر الكفر بلسانه ، وهذا هو المنسوب الى (جهّم ابن صفوان) .
- ٣- الإيمان هو التصديق القلبي منضمّاً إلى التصديق باللسان، وأما العمل فهو من ثمراته غير

(١) سورة الحجرات : آية ١٤ .

(٢) لسان العرب : ابن منظور ، (٢٣ / ١٣) .

(٣) تكليف النفس باليقين تصبير اليقين كيفية من كفيّاتها وملكة من ملكاتها بحيث لا تفارقها ولا تنفك عنها مثل ملكة الجود والشجاعة وامثاله .

(٤) مبادئ الإيمان : محمد حسين كاشف الغطاء (ت : ١٣٧٣ هـ) مؤسسة كاشف الغطاء ، د . ط ، د . ت ، (٢٤ / ١)

(٥) الإيمان والكفر : السبحاني الشيخ جعفر، الناشر : مؤسسة الامام الصادق عليه السلام ، د . ط ، د . ت ، (١٢ / ١) .

داخل في صميم الإيمان، وهو المنسوب إلى مشاهير المتكلمين والفقهاء .
٤- الإيمان هو التصديق القلبي منضما إلى الإقرار باللسان والعمل بالجوارح ، وهو قول المعتزلة والأباضية ، وجمع من القدامى .

فضل الإيمان واهميته في حياة العبد :

إن للإيمان الصادق فضلاً عظيماً وشأنه كبير ومعطاته كثيرة وبركاته وثمراته واسعة وجليلة لاتعد ولا تحصى في الدنيا والآخرة ومن فضل وشرف الإيمان فهو سبب لولاية الرحمان ودخول الجنان وإن هذه هي الحكمة في أن الله سبحانه وتعالى قد خص أوليائه بالبشرى بجمال ما سيكرمهم به من مقام القرب ومنزلة الزلفى^(١)، كما في كقوله تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾^(٢)، ومن حقق الإيمان فهو خير المكلفين وخيرهم في ذاته وحياته وماله، ومن عدمه فهو شر المكلفين، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾^(٣)، إن بيان هذه الآيه هو انتظار أهل الكتاب والمشركين لبينة قد تأتيهم من الله سبحانه وتعالى ولكنهم قد تفرقوا من بعد ماجاءتهم البينة وإن هذه الآيات تذكر لنا مجموعتين من هؤلاء الناس مختلفتين بموقفهما من الدعوة وهي (كافرة ومؤمنة) وعندما قال ﴿ كَفَرُوا ﴾ هم لكفرهم بالدين المبين، وقوله: ﴿ أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾ وهي تعني لايوجد بين الأحياء وغير الأحياء موجود أضل وأسوأ من الذين تركوا وابتعدوا كل البعد عن الطريق المستقيم الواضح وذلك بعد وضوح الحق وإتمام الحجة، وساروا واتجهوا نحو طريق الضلال والمجموعة الثانية وهم المؤمنون كما في قولة تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾، وإن كل ماديهم هؤلاء من الثواب الكبير عند الله سبحانه وتعالى، وهو مقرون بذكر الأعمال الصالحة ، وإن من آمن بالله سبحانه وتعالى إيماناً صحيحاً فقد نال به كل الخير والثوبة في دنياه وأخراه، بالدنيا يحيا به حياة طيبة كريمه وراحة نفسية مطمئنة، بعيداً عن الحياة اليائسة وضنك المعيشة^(٤)، كما قال الله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(٥)، وقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن : السيد محمد حسين الطباطبائي (ت : ١٤٠٢ هـ) ، (١١ / ٧٨) .

(٢) سورة يونس : آية ٦٢-٦٣ .

(٣) سورة البينة : آية ٦-٧ .

(٤) ينظر: الأمل في تفسير كتاب الله المنزل : ناصر مكارم الشيرازي ، (٢٠ / ٣٦٤) .

(٥) سورة النحل : آية ٩٧ .

اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ^(١)، ويتبين من ذلك أنَّ الإيمان بالله سبحانه وتعالى هو من أعلى المراتب وأجل المطالب ومن أعظم الغايات وأنبأ المقاصد ولا يوجد خير إلا بسببه ولا يوجد شر إلا بفقده والتصديق لكل عبد بعلم فضائل الإيمان ومحاسنه وثمراته وفوائده، وفهم أنه الواجب على كل مكلف وأدرك أن الإيمان طريق الجنة وإن ضده هو طريق النار البائس، وأن المؤمنين أولياء الرحمن وإن الكفار هم أولياء الشيطان ألا تطرف عينه، إلا وهو يؤمن بالله سبحانه وتعالى رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد (صلى الله عليه واله) نبياً ، وأن يجتهد في تحقيق الإيمان بأركانه العظام ، ومن فضل الإيمان وأهميته أيضاً، كونه سبباً لدفع الشدائد وتفريجها، وكشف الكروب وتنقيتها وأيضاً يعتبر الإيمان هو نوع من أنواع الفرج .

هل الإيمان سبب للفرج بعد كل شدة :

إن من أقوى الأسباب لتفريج الشدة ورفع المصائب ولتيسير الصعاب وتنقيس الكربة هو الإيمان ويدل لها عدة مواضع في القرآن الكريم :

أولاً : إن عموم الآيات التي تدل على أن الله تعالى مع المؤمنين، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٢)، بيان المعنى : إن الله سبحانه وتعالى يكون دائماً وابدأ مع المؤمنين المخلصين والطائعين لأوامره وأوامر نبيه محمد (صلى الله عليه واله)^(٣)، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٤)، قال الطبري، أي : (وإنه ناصرهم، أي نصر المؤمنين على الكافرين، ونحن ناصرهم ومن أمن بك على من كفر بك ومظفروك بهم)^(٥)، وإن وإن الآيات التي يكون فيها وعد لهم بالأمن بعد الخوف وبالتمكين بعد الاستضعاف، كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾^(٦) وقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾^(٧) وقوله سبحانه: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا

(١) سورة طه : آية ١٢٣ - ١٢٤ .

(٢) سورة الأنفال : آية ١٩ .

(٣) ينظر : الأمل في تفسير كتاب الله المنزل : ناصر مكارم الشيرازي، (٥ / ٣٨٨) .

(٤) سورة الروم : آية ٤٧ .

(٥) جامع البيان في تفسير القرآن : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت : ٣١٠ هـ)، دار المعرفة، ط ١،

١٤١٢ هـ، (٢١ / ٣٤) .

(٦) سورة يونس : آية ٦٢-٦٣ .

(٧) سورة الأنعام : آية ٨٢ .

يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١﴾ .

إن هذه الآيات لها معنى وهو أن أولياء الله تعالى الذين صدق إيمانهم، وحسن عملهم، فهم لاخوف عليهم من أهوال الموقف يوم الحساب وعذاب الآخرة، ولا هم يحزنون على ماتركوا من ورثتهم من الدنيا، لأن مقصدهم الأسمى والأهم هو رضا الله سبحانه وتعالى، فمتى ما فعلوا ما يؤدي الى ذلك فقد هان كل ماسواه وإن أولياء الله تعالى هم الذين توفر فيهم الإيمان الصادق الحقيقي الثابت، والإبتعاد عن كل مانهى الله سبحانه وتعالى عنه (٢)، ويتبين أن هذه الآيات تدل على أن المؤمن الحقيقي الثابت الإيمان إذا مر في شدة وبلاء سواء كان من خوف أو فقر أو استضعاف أوقهر فيكون الله سبحانه وتعالى معه، وهو ناصره ومبذل خوفه أمانة، واستضعافه تمكيناً، وفقره وضيقه غنى ورخاء، فدللت هذه الآيات بعمومها على أن الإيمان هو سبب للفرج بعد كل شدة .

ثانياً : ما حدث لنبي الله موسى (عليه السلام) عندما كشف عنه البلاء الذي أحاط به وبقومه ونجاتهم من فرعون بعد أن كاد يدركهم، فقد نجو بسبب توكل موسى (عليه السلام) على الله سبحانه وتعالى وتصديقه بوعدده، وإيمانه بأسمائه وصفاته، وكان الله تعالى لما أرسل موسى (عليه السلام) وأخاه هارون إلى فرعون وخاف أن ينالهما بأذى طمأنهما ربهما ونفى أن يصلهما فرعون بسوء، ونهاهما عن الخوف من فرعون ووعدهما بأنه معهما يسمع كلامهما ويرى مكانهما وقال تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ (٣)، ومعنى الآية : أن الله تعالى يقول لنبيه (موسى و هارون) عليهما السلام إنني معكما أسمع وأرى فلا تخافا من فرعون أن يفرط عليكما، أو يتعدى حدوده فيطغى، بل اعلمنا أن معيتي الخاصة بعبادي المؤمنين وأوليائي المتقين، هي مصاحبة لكما أينما ذهبتما وحيثما كنتما، فزال الخوف عنهما واطمأنت قلوبهما بوعد ربهما (٤)، ويتبين من هذه الآية عدّة معانٍ عظيمة منها :

- ١- التثبيت الإلهي : طمأن الله تعالى نبيه موسى و هارون (عليهما السلام) ، وأزال عنهما الخوف قبل مواجهة فرعون ، مما يبين أن الاعتماد على الله تعالى يُزيل الرهبة من الظالمين .
- ٢- المعية الإلهية : قوله : ﴿ إِنِّي مَعَكُمَا ﴾ يدلّ على معية الله تعالى الخاصة التي تحمل معاني الحفظ، والنصرة ، والتأييد لعباده المرسلين والمؤمنين المتوكلين عليه .

(١) سورة النور : آية ٥٥ .

(٢) ينظر : التفسير الوسيط للقران الكريم : السيد محمد ، الطنطاوي (ت : ١٤٣١ هـ) ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة ، ط ١ ، د . ت ، (٩٥ / ٧) .

(٣) سورة طه : آية ٤٦ .

(٤) ينظر : جامع البيان : الطبري (١٦ / ٧٧) .

٣- إحاطة الله بكل شيء : قوله : ﴿ أَسْمِعْ وَأَرَى ﴾ يُبرز علم الله تعالى الشامل بكل ما يدور، فهو يسمع أقوال الظالمين ويرى أفعالهم ، مما يُعزّز في القلوب اليقين بعدله وحكمته .
ووجه الانفراج فيها إذ تحمل هذه الآية بشرى للمؤمنين بأن سبحانه وتعالى معهم في شداوندهم يسمع دعاءهم ، ويرى حالهم ، ولن يخذلهم ما داموا في طاعته .

ثالثاً : ما حصل لقوم يونس (عليه السلام) فإنهم كانوا كفاراً ولما أنذرهم يونس وتوعدهم بنزول العذاب ورأوا بوادره خافوا وكانوا ممن سبقت لهم السعادة فتابوا إلى الله تعالى وأمنوا وأنابوا إلى ربهم وأسلموا، قبل نزول العذاب عليهما إيماناً اختيارياً فنفعهم إيمانهم، ولما أمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم في الحياة الدنيا إلى حين وصول أجلهم الطبيعي المعهود^(١)، كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيَّةً آمَنْتَ فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾^(٢)، فكان إيمانهم بالله سبب لكشف العذاب عنهم ، بعد ما كاد أن يحل بساحتهم ويقطع دابرهم ، والآية تُبيّن أن القرى لا ينفعها الإيمان عند نزول العذاب، إلا قوم يونس، فقد آمنوا قبل وقوعه، فرفعه الله تعالى عنهم، وهذا يدل على أن التوبة الصادقة تُغيّر المصير، وتكشف العذاب، وتفتح باب الفرج، حتى بعد استحقاق العقوبة، ويتجلى وجه الانفراج في هذه الآية من خلال ما تفتحه من باب الأمل والتفاؤل، بأن العذاب ليس قدراً حتمياً إن بادرت القلوب إلى الإيمان والتوبة الصادقة، فهي رسالة للناس أن الرجوع إلى الله تعالى يمكن أن يجلب الفرج حتى في أشد الظروف .

رابعاً : ما أخبر الله سبحانه وتعالى به من مدافعتة عن المؤمنين، في قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾^(٣)، هذا إخبار ووعد وبشارة من الله تعالى للذين آمنوا أن الله تعالى يدفع عنهم كل مكروه وشر بسبب إيمانهم من شر وسوسة الشيطان وشر الكفار، وشرور أنفسهم وسيئات أعمالهم، ويحمل عنهم عند نزول المكاره، ما لا يتحملون، فيخفف عنهم غاية التخفيف وكل مؤمن له من هذه المدافعة والفضيلة كل حسب إيمانه، فمستقل ومستكثر^(٤) .

فإن الآية دلت على أن الله سبحانه وتعالى يدافع عن المؤمن، الشر والسوء فيكشفه عنه وذلك

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن : الطباطبائي ، (١٠ / ١٢٦) .

(٢) سورة يونس : آية ٩٨ .

(٣) سورة الحج : آية ٣٨ .

(٤) ينظر: تيسير الكريم الرحمان : السعدي (١ / ٦٣٥) .

لأن الإيمان بالله تعالى هو أعظم أسباب دفع المكاره^(١)، ويتبين أن الله سبحانه يتولى حماية المؤمنين ويدافع عنهم، مما يدل على أن الإيمان ليس مجرد اعتقاد قلبي، بل هو موقف عملي يصاحبه نصر إلهي ورعاية ربانية، كما تؤكد الآية أن الله تعالى لا يحب الخيانة والجحود، وهو ما يفيد أن هذا الدفاع الإلهي مشروط بصدق الإيمان واستقامة السلوك، ووجه الانفراج في الآية يظهر في كونها تحمل بشرى عظيمة للمؤمنين، بأن الله تعالى نفسه يتكفل بالدفاع عنهم، الأمر الذي يمنحهم الطمأنينة واليقين بأن ما يصيبهم من ظلم أو أذى لن يدوم، وأن الله سيكشف الضر عنهم في الوقت المناسب.

خامسا : وعد الله سبحانه وتعالى به عباده المؤمنين أن ينجيهم مما أهمهم ، كما نجى عبده يونس (عليه السلام) من الغم ، قال تعالى : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٢) إن بيان هذه الآية واضح : هو أن الإيمان سبب للنجاة من الغم ، وأن من وقع من المؤمنين في كرب وشدة وغم ، فإنه موعود بالنجاة ، بصريح الآية ، وقال السعدي : (ت : ١٣٧٦ هـ) وهذا وعد وبشارة لكل مؤمن وقع في شدة وغم، أن الله سبحانه وتعالى سينجيه منها ويكشف عنه ويخفف لإيمانه، كما فعل بيونس (عليه السلام)^(٣)، وقال : معدداً بعض الفوائد من قصة يونس (عليه السلام) : (وفيها أن الإيمان ينجي من الأهوال والشدائد)^(٤)، لقوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٥) أي : إذا وقعوا فيها لإيمانهم ، ويتبين أن الآية الكريمة تُطمئن كل مبتلى بأن الله تعالى يُنجي المؤمنين كما نجى يونس (عليه السلام) ، شرط اللجوء إليه بالدعاء والإخلاص مما يفتح أبواب الفرج حتى في أصعب الأزمات ، وأن الإيمان بالله سبحانه وتعالى يأتي بكل خير ونعمة ودافع كل شر ونقمة .

(١) أضواء البيان : محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي ، (ت : ١٢٩٣ هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان ، د . ط ، ١٤١٥ هـ ، (٢٦١ / ٥)

(٢) سورة الأنبياء : آية ٨٨ .

(٣) تيسير الكريم الرحمن : السعدي (١ / ٦٢٣)

(٤) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن : أبو عبد الله ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (ت : ١٣٧٦ هـ) ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ ، (٢٣٩ / ١) .

(٥) سورة الأنبياء : آية ٨٨ .

المطلب الثالث : الصدق والكذب :

الصدق والكذب يعدان من الموضوعات التي تكررت في القرآن الكريم بشكلٍ واضحٍ ومؤثرٍ، حيث ارتبط الصدق بكونه من صفات المؤمنين الذين يسعون للتمسك بالحق واتباعه بينما اعتُبر الكذب من أخلاق المنافقين والمجرمين الذين يبتعدون عن الحق ويضلون الآخرين فقد جاء في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تحت على الصدق وتذم الكذب، الصدق في القرآن يُعتبر من القيم الأساسية التي تقود الإنسان إلى النجاة، قال الله تعالى : ﴿ وَقُلْ رَبُّ إِنْى مَكَّنْتُ قَلْبى لِرَحْمَتِكَ وَوَقَّنَى لىصِدْقِكَ ﴾^(١)، أما الكذب فقد حذر الله تعالى منه بشدة، ووصفه بأنه من أفعال أهل الضلال والنفاق، فقال عز وجل : ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾^(٢)، من خلال هذا التوازن بين الصدق والكذب في القرآن، يتضح أن الصدق يمثل جسراً يؤدي إلى رضا الله تعالى، بينما الكذب هو طريقٌ يؤدي إلى الفساد في الأرض وزوال الثقة بين الناس، ومن الوسائل الانفراجية بعد كل شدة هي الصدق، وبعد تعريفه بإيجاز وبيان وتوضيح فضله يعود الكلام لبيان كونه سببا للفرج .

أولاً : الصدق :

١- الصدق لغة : هو مطابقة الحكم للواقع، وعرف بأنه نقيض الكذب، قال : ابن منظور (الصدق نقيض الكذب صَدَقَ يَصْدُقُ صَدَقًا وَصِدْقًا وَتَصَدَّقًا وَصَدَقَهُ قَبْلَ قَوْلِهِ، وَصَدَقَهُ الْحَدِيثُ أَنْبَأَهُ بِالصِّدْقِ)^(٣)، قال الفيروز آبادي (ت : ٨١٧ هـ) : (الصدق بالكسر والفتح، وهو ضد الكذب)^(٤)، وقال المناوي : (ت : ١٠٣١ هـ) : (الصدق هو صدق الحكم مطابقته للواقع)^(٥)

(١) سورة يوسف : آية ٥٣ .

(٢) سورة البقرة : آية ٦١ .

(٣) لسان العرب : ابن منظور، (١٠ / ٢٣١ ، ٢٣٢) .

(٤) القاموس المحيط : الفيروز آبادي ، (١ / ٩٠٠) .

(٥) التوقيف على مهمات التعاريف : زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري ، نشر : عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ ، (١ / ١٤٣)

فالصدق ليس خاصاً بالقول أو الخبر، بل الصدق يصح أن يوصف به كل فعل الإنسان، قال الراغب (ت : ٥٠٢ هـ) : (وقد يستعمل الصدق والكذب في كل ما يحق ويحصل في الاعتقاد نحو: صدق ظني وكذب ، ويستعملان في أفعال الجوارح، فيقال: صدق في القتال إذا وقى حقه وفعل ما يجب وكما يجب ، وكذب في القتال: إذا كان بخلاف ذلك)^(١)، قال : ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾^(٢) .

٢- الصدق اصطلاحاً : وهو لا ينحصر بالقول فقط، بل يكون الصدق في الفعل والعمل وفي كل الممارسات والمواقف، ويشمل كل من الأمانة والأخلاص^(٣)، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾^(٤)، قال ابن القيم (ت : ٧٥١ هـ) : (فالذي جاء بالصدق: هو من شأنه الصدق في قوله وعمله وحاله، فالصدق في الأقوال استواء اللسان على الأقوال كاستواء السنبلة على ساقها، والصدق في الأعمال ، استواء الأفعال على الأمر والمتابعة كاستواء الرأس على الجسد، والصدق في الأحوال استواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص واستفراغ الوسع وبذل الطاقة، فبذلك يكون العبد من الذين جاءوا بالصدق، وبحسب كمال هذه الأمور فيه وقيامها به تكون صديقيته، والصديق أبلغ من الصدوق، والصدوق أبلغ من الصادق فأعلى مراتب الصدق، مرتبة الصديقية، وهي كمال الانقياد للرسول مع كمال الإخلاص للمرسل^(٥) وقال ابن القيم : (الصدق: هو حصول الشيء وتمامه وكمال قوته واجتماع أجزائه، كما يقال عزيمة صادقة إذا كانت قوية تامة ومحبة صادقة وإرادة صادقة وحلاوة صادقة إذا كانت قوية تامة ثابتة الحقيقة لم ينقص منها شيء)^(٦) .

ما أهمية الصدق ومنزلته في حياة المسلمين :

الصدق منزلة رفيعة في الإسلام، فهو أساس الأخلاق الفاضلة، وبه يبلغ العبد مراتب الكمال وقد جعله الله تعالى صفة الأنبياء والصالحين، ومدح أهله في مواضع كثيرة من كتابه العزيز، فقال تعالى: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾^(٧)، فالصدق عنوان

(١) المفردات في غريب القرآن : أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت : ٥٠٢ هـ) ، تح : صفوان عدنان الداودي ، دار القلم ، الدار الشامية - دمشق بيروت ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ ، (١ / ٤٧٩) .

(٢) سورة الأحزاب : آية ٢٣ .

(٣) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ناصر مكارم الشيرازي ، (٣ / ٣١٤) .

(٤) سورة الزمر : آية ٣٣ .

(٥) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم قيم الجوزية (ت : ٧٥١ هـ)، تح : محمد المعتصم بالله البغدادي ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط ٣ ، ١٤١٦ هـ ، (٢ / ٢٥٨) .

(٦) المصدر نفسه ، (٢ / ٢٦٧) .

(٧) سورة الزمر : آية ٣٣ .

التقوى وطريقُ النجاةِ ، ومفتاحُ القلوبِ ، وهو زادُ السائرينَ إلى الله تعالى في الدنيا والآخرة .
 ١- إن من الثمار المهمة للصدق هو الوصول الى أعلى درجة من الدرجات وهي درجة الصديقين التي تلي درجة النبوة، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾^(١)

يبين الله سبحانه وتعالى حال المطيعين له ولرسوله (صلى الله عليه واله)، وهو الانقياد بأمره ونهيه وإتباع شريعة الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) ، والرضا بحكمه ، فأولئك يكونون مع الذين أنعم الله تعالى عليهم ، وهم كرماء ورفقاء أعظم مخلوق في الكون وأعظم قدرا عند الله تعالى في اعلى عليين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وهم الأنبياء الفائزون بكمال العلم والعمل، وثم الصديقون ومن ثم الشهداء الذين بذلوا مهجهم في إعلاء كلمة الله تعالى، وثم الصالحون الذين كرسوا أعمالهم في طاعة الله تعالى وبذلوا أموالهم في مرضاة الله تعالى، وإن تسمية الصديقين به وهم المصدقون بكل ما أمر الله تعالى به وبإبنيائه ورسله ويؤيده قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ ﴾^(٢)، فإن الصدق يدخل في كثير من الأعمال القلبية ، كالصبر والتوكل والرضى والخوف والرجاء^(٣) .

٢- إن بالصدق يتميز المؤمنون من المنافقين، كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾^(٤)
 ٣- إن الله سبحانه وتعالى أمر المؤمنين أن يكونوا مع الصادقين كما في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾^(٥) .

٤- أن من صدق الله سبحانه وتعالى وصدق بما جاء من عند الله فقد استجلب الخير، كما في قوله تعالى : ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴾^(٦)

٥- لا ينفع العبد وينجيه من عذاب الله سبحانه يوم القيامة إلا الصدق، كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ

(١) سورة النساء : آية ٦٩ .

(٢) سورة الحديد : آية ١٩ .

(٣) ينظر : زبدة التفاسير : المولى فتح الله ، الكاشاني : (ت : ٩٨٨ هـ) تح : مؤسسة المعارف الإسلامية ، النشر : مؤسسة المعارف الإسلامية ، قم ، ط ١ ، ١٤٢٣ هـ ، (٢ / ٩٩ - ١٠٠) .

(٤) سورة الأحزاب : آية ٢٤ .

(٥) سورة التوبة : آية ١١٩ .

(٦) سورة محمد : آية ٢١ .

فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١﴾ (٢).

ويلاحظ إن من فضائل ومنزلة الصدق واهميته في حياة المسلم أنه هو سبب لإزالة وكشف الكروب وتفريج الشدائد والصعاب، والحصول على الأجر والثواب ونيل المطلوب، وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين أن يكونوا مع الصادقين كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٣)، قيل في معنى هذه الآية (فالصدق يريد الإيمان ودليله ومركبه وسائقه وقائده وحليته ولباسه بل هو لبه وروحه، والكذب يريد الكفر والنفاق ودليله ومركبه وسائقه وقائده وحليته ولباسه ولبه، فمضادة الكذب للإيمان كمضادة الشرك للتوحيد فلا يجتمع الكذب والإيمان إلا ويطرده أحدهما صاحبه ويستقر موضعه فَمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ بَعْدَ الْإِسْلَامِ بِنِعْمَةٍ أَفْضَلَ مِنَ الصَّدَقِ الَّذِي هُوَ غِذَاءُ الْإِسْلَامِ وَحَيَاتِهِ، وَلَا ابْتِلَاءَهُ بِبَلِيَّةٍ أَعْظَمَ مِنَ الْكُذِبِ الَّذِي هُوَ مَرَضُ الْإِسْلَامِ وَفَسَادُهُ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ) (٤).

الصدق سبب للفرج بعد كل شدة :

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٥)

الصادق: هو القائل بالحق، العامل به، لأنه صفة مدح، ولا يطلق إلا على من يستحق المدح على صدقه ، قيل معنى هذه الآية : (خاطب الله سبحانه وتعالى المؤمنين المصدقين بالله تعالى المقرين بنبوته نبيه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ أي: اتقوا معاصي الله واجتنبوها ﴿ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾، الذين يصدقون في كل أخبارهم، ولا يكذبون ومعناه: كونوا على مذهب من يستعمل الصدق في أقواله وأفعاله، وصاحبوهم ورافقوهم وقد وصف الله سبحانه وتعالى الصادقين في سورة البقرة بقوله : ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ إلى قوله ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ فأمر سبحانه بالاعتداء بهؤلاء الصادقين المتقين، والمراد بالصادقين هم الذين ذكروهم الله تعالى في كتابه وهو قوله : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ (٦)، يعني : حمزة بن عبد المطلب ، وجعفر بن أبي طالب ، (ومنهم من

(١) سورة المائدة : آية ١١٩ .

(٢) مدارج السالكين : ابن القيم (٢ / ٢٥٧ - ٢٥٨) .

(٣) سورة التوبة : آية ١١٩ .

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت : ٧٥١ هـ) الناشر : مؤسسة الرسالة ، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية ، الكويت ، ط ٢٧ ، ١٤١٥ هـ

(٣ / ٥١٧)

(٥) سورة التوبة : آية ١١٩ .

(٦) سورة الأحزاب : آية ٢٣ .

ينتظر) يعني علي بن أبي طالب عليه السلام (١)، ذكر بيان هذه الآية : لا بد لنا من أن نرجع الى كتاب الله تعالى القران الكريم نفسه الذي يفسر لنا معنى الصادقين في عدة آيات منها مثلا: قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (٢)، إن في هذه الآية بعد نهى المسلمين عن البحث والمناقشة حول مسألة تغير القبلة، فهي تفسر لهم حقيقة العمل الصالح والبر بأنه الإيمان بالله سبحانه وتعالى ويوم القيامة والملائكة والكتب السماوية والأنبياء، من ثم الأنفاق في سبيل الله تعالى وأيضا مساعدة المحتاجين وكل المحرومين، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والوفاء بالعهد والإستقامة والصمود أمام المشاكل حين الجهاد وبعد أن ذكرنا كل هذه الصفات، عندها نقول إن الذين يتصفون بهذه الصفات هم الصادقون وهم المتقون وبهذا يكون الصادق هو الذي يؤمن بكل هذه المقدرات ويعمل بموجبها من كل النواحي وأيضا في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (٣)، وإن هذه الآية توضح لنا وتعرف الصدق بأنه هو مجموع الإيمان والعمل الذي لاتمسه ولا تشوبه أية شائبة من المخالفة أو التردد وأيضا نقرأ من سورة الحشر قوله تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (٤)، فإن هذه الآية قد عرفت الصادقين بأنهم المؤمنون المحرومون الذين استقاموا وثبتوا رغم كل المشاكل وأخرجوا من ديارهم وأموالهم ولم يكن لهم هدف وغاية سوى رضا الله تعالى ونصرة رسوله (صلى الله عليه واله) وإن من مجموع كل هذه الآيات المباركة قد نحصل على نتيجة وهي أن الصادقين هم الذين يؤدون تعهداتهم أمام الإيمان بالله تعالى على أفضل وأحسن وجه من دون أي تردد أو تماهل ولا يخافون سبل العقبات والمصائب بل بالعكس يثبتون هدف إيمانهم من كل أنواع الفداء والتضحية وإن لهذه الصفات من دون أي شك درجات عليا فيكون البعض منها في أعلى قمة وهم المعصومون والبعض منهم في أدنى وأقل منها (٥)، وإن

(١) تفسير مجمع البيان : الشيخ الطبرسي (ت : ٥٤٨ هـ) ، (١٢٢ / ٥) .

(٢) سورة البقرة : آية ١٧٧ .

(٣) سورة الحجرات : آية ١٥ .

(٤) سورة الحشر : آية ٨ .

(٥) ينظر: الأمل في تفسير كتاب الله المنزل : ناصر مكارم الشيرازي ، (٦ / ٢٥٦ - ٢٥٧) .

من أعظم النعم لدى الإنسان تصديق لرسول الله (صلى الله عليه واله)، وأن لا تكذبه فتهلك كما هلك الذين كذبوا، وإن الله سبحانه وتعالى قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شرما قال لأحد، فقال لهم الله سبحانه وتعالى : ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِنُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾^(١)، فقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّهُمْ رَجِسٌ ﴾ نجس فيجب عليكم أن تجتنبوه وإن كل نجس هو خبيث وإن مأواهم ومكانهم ومقرهم الدائم هو جهنم التي أوعدها الله سبحانه وتعالى لهم ذلك ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾، من المعاصي^(٢) ويتبين من بعض النصوص أن الصبر والصلاة مفتاحا للفرج في الشدائد؛ فالصبر يمنح الثبات والصلاة تمنح السكينة والقوة، كما أن خشوع القلب يجعل الصلاة مصدر راحة لا مشقة، والوعد الإلهي بأن الله تعالى مع الصابرين يمنح الطمأنينة بأن الفرغ قريب ، مهما كانت صعوبة الموقف .

ثانيا: الكذب :

١- الكذب لغة : (الْكَافُ وَالذَّالُّ وَالْبَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الصِّدْقِ)^(٣)

٢- الكذب اصطلاحاً : (وَالْكَذِبُ هُوَ الْإِخْبَارُ عَنِ الشَّيْءِ بِخِلَافِ مَا هُوَ عَلَيْهِ)^(٤) .

التطبيقات القرآنية :

١- قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾^(٥)

قيل : (أي إنما يخترع الكذب الذين لا يصدقون بدلائل الله تعالى دون من آمن بها لأن الإيمان يحجز عن الكذب ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ لا أنت يا محمد فحصر فيهم الكذب بمعنى أن الكذب لازم لهم وعادة من عاداتهم وهذا كما تقول كذبت وأنت كاذب فيكون قولك أنت كاذب زيادة في الوصف بالكذب وفي الآية زجر عن الكذب حيث أخبر سبحانه أنه إنما يفتري الكذب من لا يؤمن (٦) ، وقد جاءت هذه الآية ردًا على تهمة خطيرة وجهت إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسله) من قبل المشركين، حيث زعموا أنه يخلق القرآن ولا يتلقاه من وحي إلهي، وقد تولى الله سبحانه وتعالى بنفسه الرد على هذه الفرية، فبين أن الكذب إنما يفتريه من لا يؤمن بآياته، وأن هؤلاء هم الكاذبون في الحقيقة، لا النبي (صلى الله عليه وآله) ، ويبرز وجه الانفراج في هذه

(١) سورة التوبة : ٩٥ .

(٢) ينظر: الجديد في تفسير القرآن المجيد : السبزواري النجفي (ت : ١٤٠٩ هـ)، (٣ / ٣٧٣) .

(٣) معجم مقاييس اللغة : ابن فارس (١٦٧ / ٥) .

(٤) أدب الدنيا والدين : أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي

(ت : ٤٥٠ هـ) ، الناشر: دار مكتبة الحياة ، د. ط ، ١٩٨٦ م ، (١ / ٢٦٢) .

(٥) سورة النحل : آية ١٠٥ .

(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن : الطبرسي ، (٦ / ٥٩٦) .

الآية من جهاتٍ عدّة، أبرزها تبرئة النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) من الكذب، وإثبات صدقه بوصفٍ قاطع، وانقلاب التهمة على أصحابها، إذ بيّن أنهم هم الذين يفترون الكذب، وهذا يُعدّ انفراجاً في ميدان الحُجّة والمنطق، والتثبيت النفسي والمعنوي للمؤمنين، حيث يبعث في نفوسهم الطمأنينة والثقة بنبيّهم ورسالته، مما يرفع عنهم الضغط النفسي الناتج عن الشبهات والمكائد، وعليه، فإن هذه الآية تُجسّد نوعاً من الانفراج المعنوي في ساحة الدعوة، وتُظهِر كيف أن الوحي الإلهي يتدخل في اللحظة المناسبة ليدفع الأذى، ويقلب المكر على أصحابه، مما يجعلها شاهداً على سنّة الانفراج بعد الشدّة في مسيرة الدعوات .

٢- قوله تعالى : ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ (١) .

قيل المعنى : ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ أي : (عظمت الكلمة كلمة تخرج من أفواه هؤلاء الكفار ووصف الكلمة بالخروج من الأفواه توسعا ومجازا وإن كانت الكلمة عرضا لا يجوز عليها الدخول والخروج ولا الحركة والسكون ولكن لما كانت الكلمة قد تحفظ وتثبت وتوجد مكتوبة ومقروءة في غير الموضع الذي فعلت فيه وصفها بالخروج وذكر الأفواه تأكيدا والمعنى أنهم صرحوا بهذه الكلمة العظيمة في القبح و أظهروها ﴿ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ أي ما يقول هؤلاء إلا كذبا وافتراء على الله سبحانه وتعالى (٢)، ويتبين لنا أن الآية تُدين قول المشركين إنّ الله اتخذ ولداً، وتصفه بأنه قولٌ عظيم في البُهتان، صادرٌ عن جهلٍ محض، لا يستند إلى علمٍ ولا وحي ، بل هو كذبٌ خالصٌ يُقال بالأفواه دون دليل، ووجه الانفراج فيها أنها تكشف زيف الاعتقاد الباطل وتنفضه بوضوح، فتمهّد الطريق للفهم الصحيح لعقيدة التوحيد وتحرّر الإنسان من التبعية العمياء، مما يفتح باب الانفراج العقدي والمعرفي والروحي .

٣- قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (٣)، قيل المعنى : (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ فنسبوا إليه الشريك والولد ونحو ذلك مما ابتدعوه من بدع وأضاليل في الدين ﴿ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ من خلال سواد أعمالهم التي تنعكس على مواقعهم في الآخرة ذلا وسقوطا وانحطاطا، ﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ الذين تحوّلت الكبرياء لديهم إلى عقدة مستعصية تأكل الإيمان كله والخير بأجمعه في داخل نفوسهم وخارجها، وبهذا تتحول إلى مشكلة في مستقبل المصير لديهم بدلا من أن تكون حلا لهم في ما يخيّل إليهم من معنى العلوّ والعزّة، وما إلى ذلك من المعاني التي ترفع مستواهم أمام الناس، فإذا بهم يحترقون في نار جهنم، وتحترق كل امتيازاتهم الطبقيّة

(١) سورة الكهف : آية ٥ .

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن : الطبرسي ، (٦ / ٦٩٤) .

(٣) سورة الزمر : آية ٦٠ .

هناك^(١) ويتبين أن الآية تُظهر مشهدًا من مشاهد القيامة، يُفضح فيه الذين كذبوا على الله سبحانه وتعالى فَتَسْوَدَّ وجوههم ويُتوعدون بجهنم، وهي مظهر من مظاهر العدل الإلهي، ووجه الانفراج يتمثل في انتصار الحق، وراحة أهل الصدق من ظلم الكاذبين، وظهور عدل الله سبحانه وتعالى في إهلاك المتكبرين، مما يبعث الطمأنينة في نفوس المؤمنين .

٤- قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾^(٢)، قيل المعنى : (أكثر الناس ظلما لنفسه وللآخرين هو من ينبذ القيم الإلهية، ويستبدلها بقيم بشرية شيطانية، وأخطر الكفار من أنكر القيم، وافتري على الله سبحانه وتعالى الكذب في أحكامه ، و لذا كان حد منكر الصلاة القتل شرعا ، فالذي يؤمن بالصلاة ولا يقوم بها قد توجد لديه قابلية القيام بها في المستقبل ، أما الذي يكفر بها من الأساس ، ويضع لنفسه تشريعات مزاجية لا يجدي معه إلا حدَّ السيف، ويكمن الخطر في هذا الإنسان حين يلبس الباطل أثواب الحق، ويفيض على الباطل صبغة السمو والالوهية، وعادة ما تكون دوافع الكفر نفسية كالكبر أو الغرور، أو ترسخ تقاليد الآباء في النفس، ولكن هل يعتقد هؤلاء إن جهنم لا تكفيهم جميعا بلى إن بها مثنوى للكافرين والمتكبرين منذ أن خلق ربنا آدم (عليه السلام) وإلى يوم القيامة وليس ذلك على الله بعزيز)^(٣)، وتُظهر الآية عِظَم جُرم من يكذب على الله سبحانه وتعالى أو يُكذِّب بالحق وتُقرّر عدل الله سبحانه وتعالى في معاقبة الكافرين بجهنم، ووجه الانفراج فيها أن الله سبحانه وتعالى يُبيّن سنته في نصره الحق، ويفرّق بين طريق المؤمنين والكافرين، مما يمنح المؤمنين طمأنينة بأن العقاب لهم، وفي ذلك تفريج معنوي ونفسي في وجه تكذيب أهل الباطل .

(١) تفسير من وحي القرآن : السيد محمد حسين ، فضل الله ، (١٩ / ٣٥٥) .

(٢) سورة العنكبوت : آية ٦٨ .

(٣) من هدى القرآن : السيد محمد تقي المدرسي ، (٩ / ٤٨٩) .

الفصل الثالث : مستويات الانفراج في القرآن الكريم

المبحث الأول : المستوى الكلامي للانفراج في القرآن الكريم

المبحث الثاني : المستوى الأخلاقي للانفراج في القرآن الكريم

المبحث الثالث : المستوى الفقهي للانفراج في القرآن الكريم

الفصل الثالث : مستويات الانفراج في القرآن الكريم :

ان مستويات الانفراج في القرآن الكريم تشير إلى درجات الفرج والراحة التي يمنحها الله سبحانه وتعالى لعباده بعد الشدة والضيق، يتجلى هذا المفهوم في العديد من الآيات التي تبين أن الانفراج يأتي بعد الصبر والابتلاء، ويتحقق على مستويات مختلفة وفقاً لحكمة الله سبحانه وتعالى وتقديره، وتعكس هذه المستويات حكمة الله سبحانه وتعالى في تدبير شؤون عباده، حيث يكون الفرج متنوعاً بحسب الابتلاءات والقدرة على التحمل .

المبحث الأول : المستوى الكلامي للانفراج في القرآن الكريم :

يعبر القرآن الكريم عن مفهوم الانفراج بعد الشدة بأساليب لغوية وبلاغية مؤثرة، كالتكرار والتوكيد والتضاد، لتثبيت حقيقة أن العسر لا يدوم، وأن اليسر قريب، كما في قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾^(١)، ويُضفي التصوير البلاغي، كتشبيه الفرج بالنور بعد الظلام، بعداً نفسياً وروحياً يعمق الشعور بالأمل، ومن خلال هذا البناء التعبيري، يمهد النصّ القرآني لفهم العلاقة بين الخير والشر، حيث لا يُدرَك الفرج إلا بمرورٍ بالكرب، فيتجلى الخير في سياق الشدائد، ويُفهم الشرّ كمرحلة مؤقتة تمهّد للانفراج.

المطلب الأول : الخير والشر :

يعد مفهوما الخير والشر من المفاهيم التي دأب القرآن الكريم على ذكرها في مطويات نصوصه فهما يمثلان عنصري القرب والبعد من الله عز وجل بالنسبة للإنسان، فكما عمل على جعل الخير نظاماً وانتظاماً في سلوكه كان مدعاة له في الانفراج لكل شدة وضيق في حياته وعلى العكس من ذلك لو كان الشر هو السائد والمسيطر عليه سلوكاً ونظاماً له في مسيرة حياته ؛ كان ذلك عاملاً في الشدة والضيق في حياته ويؤكد القرآن الكريم أن الإنسان مخير بين الخير والشر كما في قوله تعالى : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾^(٢)، أي طريق الخير وطريق الشر، مما يجعل المسؤولية على الإنسان في اختيار طريقه، مع الوعد بالثواب لأهل الخير، والعقاب لأهل الشر.

(١) سورة الشرح : آية ٥ - ٦ .

(٢) سورة البلد : آية ١٠ .

وهنا وقفة على البيان الدلالي لكلا المفهومين في بعديهما اللغوي والإصطلاحي وعرض لأقوال المفسرين فيهما :

١ - مفهوم الخير لغة : وهو كلمة بسيطة في تركيب حروفها، وعظيمة في مقتضاها وقد دأب المعجميون على بيانها، فقد قال الجوهري في صحاح اللغة (الخيرُ ضدُّ الشرِّ) فمنه يقال (خِرْتَ يَا رَجُلٌ فَأَنْتَ خَائِرٌ، وَخَارَ اللَّهُ لَكَ)^(١)، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ تَرَكَ خَيْرًا ﴾^(٢)، أي مالا والخيار خلاف الأشرار^(٣)، وقال ابن فارس: الخاء والياء والراء أصله العطف والميل ثم يحمل عليه، فالخير : (خلافُ الشر؛ لأن كل أحد يميل إليه ويعطف على صاحبه)^(٤)، وقال ابن منظور فقال : (الخَيْرُ : ضدُّ الشرِّ، وَجَمَعُهُ خَيْرٌ)^(٥).

ويتبين ان الخير في اللغة يُفهم على أنه كل ما هو محمود ونافع، وهو ضد الشر، مما يجعله مرتبطاً بالقيم الإيجابية كالعدل والإحسان والتعاون، ويحمل الخير بعداً أخلاقياً واجتماعياً، حيث يعبر عن السلوكيات التي تحقق المنفعة للفرد والمجتمع، مما يعزز التعايش والسلم، وبذلك نستنتج على أن الخير هو مفهوم شامل يعكس كل ما هو حسن ومطلوب، سواء في الصفات أو الأفعال ويدل على ما يجلب السعادة والرفاهية للناس .

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : الجوهري ، مادة (خير) ، (٦٥١ / ٢) .

(٢) سورة البقرة : آية ١٨٠ .

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : الجوهري، مادة (خير) ، (٦٥١ / ٢) .

(٤) مقاييس اللغة : ابن فارس، (٢٣٢ / ٢) .

(٥) لسان العرب : ابن منظور، (٢٦٤ / ٤) .

٢- مفهوم الخير اصطلاحاً : هو وجدان كل شيء بكمالاته اللائقة، والشر ما به فقدان ذلك والخير يعم الدعاء الى ما فيه صلاح ديني أو دنيوي، فيكون منتظم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(١)، وقال الراغب الاصفهاني : (وهو الخير المطلق والشيء النافع الحسن الملتذ)^(٢)، وجاء في المفردات للراغب الاصفهاني (وهو الذي يرغب فيه الكل)^(٣)، ويتبين ان الخير في القرآن الكريم مرتبط بالإيمان والعمل الصالح، والشر مرتبط بالكفر والفساد، والإنسان مسؤول عن اختياراته، وسيحاسب عليها يوم القيامة، كما أن بعض الأمور التي قد يظنها الانسان شراً قد تكون في حقيقتها خيراً مخفياً بحكمة الله سبحانه وتعالى، ومن التعريفات التي ذكرت مفهوم الخير انها لاتخرج دلالتها المعنوية عن دلالة الشارع المقدس في معناها العام ولعله يكون من أشمل التعريفات بمعنى الخير ذلك ما ذكره أبو البقاء الكفوي في الكليات أن الخير: (هو وجدان كل شيء كمالاته اللائقة، والشر ما به فقدان ذلك)^(٤) ويكون الجمع بين التعريف اللغوي والاصطلاحى لمعنى الخير نرى أنهما متلاقيان، وإن كان لكل منهما معنى خاصاً به، فالدلالة بمعناها العام لمعنى الخير هو ضد الشر، فكل ما يحبه الله سبحانه وتعالى ويرضاه من الأقوال والأفعال هو الخير وما عداه شر .

(١) ينظر: الكليات : أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي ، أبو البقاء الحنفي (ت : ١٠٩٤ هـ) ، تح : عدنان درويش - محمد المصري ، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت ، د . ط ، د . ت (١ / ٤٢٣) .
(٢) تفسير الراغب القرآن : أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (٥٠٢ هـ) تح: ودراسة: د. محمد عبد العزيز، الناشر: كلية الآداب - جامعة طنطا ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ (١ / ٢١١) .
(٣) المفردات في غريب القرآن : الراغب الاصفهاني (٤٤٨ / ١) .
(٤) الكليات : للكفوي ، (١ / ٤٢٣) .

الترابط بين الخير والشر في القرآن الكريم :

الخير والشر مفهومان متضادان يشكلان جوهر التفاعل الإنساني والحياة الاجتماعية فالخير يمثل القيم الإيجابية مثل الرحمة، العدل، والإحسان، بينما يعبر الشر عن السلوكيات السلبية كالظلم القسوة، والفساد، وتكمن العلاقة بينهما في كونهما قوتين متناقضتين تؤثران في سلوك الأفراد والمجتمعات، حيث يكون الخير أساس الاستقرار والتقدم، بينما يؤدي الشر إلى الفوضى والانحلال، ويظل الإنسان في صراع داخلي لاختيار أحدهما، مما يعكس أهمية الوعي الأخلاقي والتربية السليمة في توجيه الأفراد نحو الخير وتجنب الشر، وان الخير والشر يشكلان نظاماً متكاملًا لاختبار الإرادة البشرية، حيث يبني مصير الإنسان على اختياراته ومدى التزامه بالقيم الإلهية، وعند التأمل في الترابط بين الخير والشر، تتجلى لنا صور متعددة لهذه العلاقة، يمكن تصنيفها إلى نوعين :

أولاً : حقيقة التضاد بين الخير والشر :

التضاد بين الخير والشر هو من المفاهيم المركزية في القرآن الكريم، حيث يعكس طبيعة الابتلاء في حياة الإنسان وسنة التدافع بين الحق والباطل، فالقرآن يوضح أن الخير هو ما يتوافق مع طاعة الله تعالى وشرعه، بينما الشر هو ما يخالف ذلك ويؤدي إلى الفساد والضلال، وان الصفة الملازمة لطبيعة الخير والشر هي التضاد، وهذا يأتي نتيجة لتجنب هذا الحال، فلا يمكن أن يأتي معاً إلا إذا كان الأمر له حسن من وجه وقبح من وجه آخر، فالخير والشر من الأجناس المتضادة، قال تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾^(١)، أي: بينا له طريق الخير، وطريق الشر^(٢)، وقال السبزواري النجفي أي: (دللناه الى سبيل الخير وسبيل الشر)^(٣)، كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾^(٤) .

ما المواضيع التي ورد فيها ذكر الخير في القرآن الكريم مقترناً بالشر كمفهوم مضاد له منها:

١- قوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾^(٥)، قال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ أي : (لا بد لكل نفس حية بحياة أن يدخل عليها الموت وتخرج عن كونها حية، وانما قال ﴿ ذَائِقَةُ ﴾ لأنَّ العرب تصف كل أمر شاق على النفس بالذوق كما قال (ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ)، ثم قال تعالى ﴿ وَنَبَلُّوكُمْ ﴾ اي نختبركم معاشر العقلاء

(١) سورة البلد : آية ١٠ .

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم : إسماعيل بن عمر، ابن كثير، تح: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١، ١٤١٩ هـ، (٢٩٣ / ٨)

(٣) إرشاد الأذهان الى تفسير القرآن : محمد بن حبيب الله، السبزواري النجفي، (١ / ٥٩٩) .

(٤) سورة الانسان : آية ٣ .

(٥) سورة الأنبياء : آية ٣٥ .

بالشر والخير يعني بالمرض والصحة والرخص والغلاء، وغير ذلك من انواع الخير والشر ففتنة، أي اختباراً مني لكم، وتكليفاً لكم، ﴿ وَاللّٰٓئِنَّا تُرْجِعُوْنَ ﴾ يوم القيامة، فيجازى كل انسان على قدر عمله^(١).

٢- وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ يَعْجَلُ اللّٰهُ لِلنّٰسِ الشَّرَّ اسْتَعْجَلَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ فَنَدَّرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طغيانهم يعمهون ﴾^(٢) ، قيل المعنى : (ولو يعجل الله سبحانه وتعالى للناس الشر وهو العذاب كما يستعجلون بالخير كالنعمة لأنزل عليهم العذاب بقضاء أجلهم لكنه تعالى لا يعجل لهم الشر فيذر هؤلاء المنكرين للمعاد المارقين عن ربقة الدين يتحIRON في طغيانهم أشد التحير وتوضيحه أن الإنسان عجول بحسب طبعه يستعجل بما فيه خيره ونفعه أي أنه يطلب من الأسباب أن تسرع في إنتاج ما يبتغيه ويريده فهو في الحقيقة يطلب الإسراع المذكور من الله سبحانه لأنه السبب في ذلك بالحقيقة فهذه سنة الإنسان وهي مبنية على الأهواء النفسانية فإن الأسباب الواقعة ليست في نظامها تابعة لهوى الإنسان بل العالم الإنساني هو التابع الجاري على ما يجريه عليه نظام الأسباب اضطرارا أحب ذلك أو كرهه، ولو أن السنة الإلهية في خلق الأشياء والإتيان بالمسببات عقيب أسبابها اتبعت أو شابهت هذه السنة الإنسانية المبنية على الجهل فجعلت المسببات والآثار عقيب أسبابها لأسرع الشر وهو الهلاك بالعذاب إلى الإنسان فإن سببه قائم معه، وهو الكفر بعدم رجاء لقاء الله سبحانه وتعالى والطغيان في الحياة الدنيا لكنه تعالى لا يعجل الشر لهم كاستعجالهم بالخير لأن سنته مبنية على الحكمة بخلاف سنتهم المبنية على الجهالة فيذرهم في طغيانهم يعمهون^(٣).

٣- وقوله تعالى : ﴿ وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾^(٤) ، قال: إن معنى قوله : ﴿ وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ﴾ (إن هذا الخطأ الكبير الذي يرتكبه الإنسان دائما هو أنه يحسب الشر خيرا، أو ليس له عقل يميز بين الخير والشر، بلى له عقل ولكنه عادة ما يكون محجوبا بأهوائه، ومصالحه التي يستعجل بها، فيقدم على الكبائر من الذنوب ظنًا منه بأنها خير بمجرد انها توفرله بعض اللذات الآنية، ولا يثور على السلطان الجائر خشية فقدان بعض المصالح العاجلة ، ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾ وهذه الطبيعة هي التي تجعله فيتقرب الى الدنيا لأنها عاجلة وان كانت شرا، غافلا وقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾ تعليل لقوله : ﴿ وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ﴾ ذلك لان الخير بحاجة الى صبر، والمسؤولية لا

(١) التبيان في تفسير القرآن : محمد بن الحسن الطوسي (٧ / ٢٤٧) .

(٢) سورة يونس : اية ١١ .

(٣) الميزان في تفسير القرآن : السيد محمد حسين ، الطباطبائي (ت : ١٤٠٢) ، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم ، ط ٥ ، ١٤١٧ هـ ، (١٠ / ٢٠ - ٢١ - ٢٢) .

(٤) سورة الاسراء : اية ١١ .

تنمو في قلب عجل، وانما في قلب مطمئن صبور، ولعل الآية الكريمة تذكر أيضا بأن تأخر الجزاء عن وقت العمل قد يغري الإنسان الغافل بارتكاب الجرائم لان الإنسان كان عجولا والعجلة من ذات الإنسان، حيث انها نابعة من الجهل بالمستقبل، والاحتجاب عن غيب الزمن بينما الصبر وليد العقل، والعلم بالنتائج المستقبلية، ومعلوم أن ذات الإنسان جهل، والعلم من الله تعالى، وهكذا تكون الآية منتظمة الى سياق الآيات التي تذكرنا بالمسؤولية (١).

٤- وقوله تعالى : ﴿ لَا يَسْتُمُّ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَنْوَسُ قَنُوطٌ ﴾ (٢)، قيل أي: (إنه في حال الإقبال ومجيء المراد لا ينتهي قط إلى درجة إلا و يطلب الزيادة عليها ويطمع بالفوز بها وبأكثر منها وفي حال الإدبار والحرمان يصير أيضا قانطا وإنه لا يزال يسأل الخير الذي هو المال والغنى والصحة والولد وإن مسه الشرأي الشدة والفقر فهو شديد اليأس قنوط من الرحمة ومن إجابة الدعاء وقيل : القنوط سيئ الظن بربه (٣)، وان هذه الآية : تبين لنا طبيعة الانسان في تعامله مع النعم والمحن، لكنه عندما يصيبه البلاء أو المصيبة، يسرع الى اليأس والقنوط، فيضعف إيمانه ويتراجع صبره، وان الآية تدعوا الى التوازن في مشاعره، فلا يكون مفرطاً في الطمع عند النعمة، ولا مستسلماً لليأس عند المحنة .

٥- وقول تعالى : في وصف الإنسان ﴿ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ (٤)، قيل أي : (إذا أصابه الفقر لا يحتسب ولا يصبر، وإذا أصابه الغنى بطر ومنع الخير) (٥).

٦- قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (٦)، قيل أي : (فمن يعمل وزن ذرة من الخير ير ثوابه وجزاءه ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ أي: ير ما يستحق عليه من العقاب ويمكن أن يستدل بها على بطلان الإحباط لأن الظاهر يدل على أنه لا يفعل أحد شيئاً من طاعة أو معصية إلا ويجازي عليها وما يقع محبطاً لا يجازي عليه وليس لهم أن يقولوا إن الظاهر بخلاف ما تذهبون إليه في جواز العفو عن مرتكب الكبيرة وذلك لأن الآية مخصوصة بالإجماع فإن التائب معفو عنه بلا خلاف وعندهم أن من شرط المعصية التي يؤخذ بها أن لا تكون صغيرة فجاز لنا أيضا أن نشترط فيها أن لا يكون مما يعفو الله سبحانه وتعالى عنه وقال مقاتل فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره يوم القيامة في كتابه فيفرح به

(١) من هدى القرآن : السيد محمد تقي، المدرسي، الناشر: دار محبي الحسين ، ط ١، ١٤١٩ هـ، (٦ / ٢٠٠٩)

(٢) سورة فصلت : آية ٤٩ .

(٣) مقتنيات الدرر وملتقطات الثمر: الحائري الطهراني، مير السيد علي، الناشر: دار الكتب الإسلامية، ط ١، ١٤١٩ هـ، (٩ / ٣١٠) .

(٤) سورة المعارج : آية ٢٠ .

(٥) مختصر مجمع البيان : الناصري ، محمد باقر، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم، ط ٢، ١٤١٣ هـ (٣ / ٤٧٢) .

(٦) سورة الزلزلة : آية ٧- ٨ .

الفصل الثالث : مستويات الانفراج في القرآن الكريم

وكذلك من الشر يراه^(١)، اذن الخير يجازى عليه بالثواب، والشر يجازى عليه بالعقاب، مما يعكس تضاداً واضحاً في النتيجة، يتضح من الآيات الكريمة أنّ الابتلاء بالخير والشر سنّة إلهية، حيث يُذكران كمفهومين متقابلين، كما في قوله تعالى : ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ﴾ وتُظهر الآيات حال الإنسان عند الابتلاء ، فهو يجزع عند الشدة ، ويمنع العطاء عند النعمة، كما في قوله تعالى : ﴿ وإذا مسه الشر كان يئوسا وإذا مسه الخير منوعا ﴾، ومع ذلك، فإن الميزان الإلهي قائم على العدل، فيجازي الله تعالى كل إنسان بعمله، مما يغرس الطمأنينة ويبعث على الانفراج، كما في قوله تعالى : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ .

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن : الفضل بن الحسن ، الطبرسي (١٠ / ٧٩٩) .

ثانياً : حقيقة التضاد بين الخير والشر من جهة الإضافة :

حقيقة التضاد بين الخير والشر تتجلى في سياق الإضافة إلى الله تعالى وإلى البشر، فانه سبحانه هو الخالق لكل شيء، والخير والشر يقعان ضمن مشيئته وحكمته، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(١)، ولكن من جهة الإضافة إلى البشر، فإن الخير يُنسب إليهم عند شكرهم وسعيهم فيه، بينما يُنسب الشر إليهم بسبب اختيارهم وسوء أفعالهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾^(٢)، وهذا التمييز يوضح أن الله تعالى لا يخلق الشر لذاته، بينما يتحمل الإنسان مسؤوليته وفقاً لاختياره وسلوكه.

١- حقيقة التضاد بين الخير والشر من جهة الإضافة إلى الله سبحانه وتعالى :

في القرآن الكريم ، يُنظر إلى التضاد بين الخير والشر باعتباره جزءاً من تقدير الله سبحانه وتعالى لحكمة خلقه وابتلاء عباده، فالخير والشر ليسا مجرد مفاهيم متناقضة، بل هما وسيلتان للاختبار والإيمان، يبتلي الله سبحانه وتعالى بهما عباده ليظهر صدقهم في الصبر والشكر، والله سبحانه وتعالى خلق الحياة على هذا التوازن بين النعم والمصائب، ليكون كل منهما طريقاً نحو تحقيق الغاية الإلهية من الابتلاء والاختبار، وفي هذا السياق، يتجلى تضاد الخير والشر كجزء من حكمة الله تعالى في خلقه، حيث يعين الإنسان على الفهم الكامل لقيمتي الصبر والرضا،^(٣) فلا يجري في سلطانه إلا ما يشاء ولا يحصل في ملكه إلا ما سبق به القضاء، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه ولا راد لأمره ، ومع ذلك فالخير يضاف إلى الله سبحانه وتعالى والشر لا يضاف إليه سبحانه ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُنْزِلُ مَنْ تَشَاءُ بِإِذْنِ اللَّهِ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٤)، وقوله تعالى : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ﴾ ، أمر بالالتجاء إلى الله سبحانه وتعالى الذي بيده الخير على الإطلاق وله القدرة المطلقة ليتخلص من هذه الدعاوي الوهمية التي نشبت في قلوب المنافقين والمتمردين من الحق من المشركين وأهل الكتاب فضلوا وهلكوا بما قدره لأنفسهم من الملك والعزة والغنى من الله سبحانه، ويعرض الملتيحي نفسه على إفاضة مفيض الخير والرازق لمن يشاء بغير حساب، وقوله تعالى: ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾ قيل أي: (الملك باطلاقه شامل لكل ملك حقا أو باطلا عدلا أوجورا فان الملك في نفسه موهبة من مواهب الله سبحانه وتعالى ونعمة يصلح لأن يترتب عليه آثار حسنة في المجتمع الإنساني وقد

(١) سورة الزمر : آية ٦٢ .

(٢) سورة النساء : آية ٧٩ .

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد : سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (ت : ١٢٣٣هـ) تح : زهير الشاويش ، الناشر: المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق ، ط ١ ، ١٤٢٣هـ (١ / ٣٦٨)

(٤) سورة آل عمران : آية ٢٦ .

جبل الله النفوس على حبه والرغبة فيه^(١)، وأشار ابن القيم : (والصواب في هذا الباب ما دل عليه القرآن والسنة من أن الشر لا يضاف إلى الرب تعالى وصفاً ولا فعلاً ، ولا يتسمى باسمه بوجه من الوجوه، وإنما يدخل في مفعولاته بطريق العموم)، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾^(٢)، والله تعالى إنما نسب إلى نفسه الخير دون الشر^(٣)، لذا قال تعالى: ﴿ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ﴾ ، فلا يضاف إلى الله تعالى ما يتوهم منه النقص ، والشر ليس مما يتقرب إليك به أي يضاف إليك إفراداً وقصدًا، ولذلك لما أراد الخضر (عليه السلام) أن يضيف إرادة العيب أضافها إلى نفسه فقال فيما أخبر الله تعالى عنه في قوله تعالى : ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾^(٤)، ولما ذكر الخير والبر والرحمة أضاف إرادتها إلى الله سبحانه وتعالى فقال تعالى: ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ﴾^(٥)، وقال سبحانه وتعالى مخبراً عن إبراهيم (عليه السلام) أنه قال : ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾^(٦)، أسند المرض إلى نفسه، وإن كان عن قدر الله سبحانه وتعالى وقضائه وخلقه، ولكن أضافه إلى نفسه أدباً، كما قال تعالى أمراً للمصلي أن يقول ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾^(٧)، فأسند الأنعام والهداية والهداية إلى الله سبحانه وتعالى، والغضب حذف فاعله أدباً، وأسند الضلال إلى العبيد، كما قالت الجن ﴿ وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾^(٨)، وكذلك قال إبراهيم ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ أي : إذا وقعت في مرض، فإنه لا يقدر على شفائي أحد غيره بما يقدر من الأسباب الموصلة إليه، فأضاف المرض إلى نفسه والشفاء إلى ربه، وإن كان الجميع منه سبحانه وتعالى، فلا يدخل الشر في أسمائه ولا صفاته ولا في أفعاله، وإن دخل في مفعولاته بالعرض لا بالذات، والشر إنما يضاف له مفعوله لا فعله، وفعله خير محض^(٩) .

(١) مختصر الميزان في تفسير القرآن : الطباطبائي، السيد محمد حسين وإلياس كلانتر (١ / ٤٢٣) .

(٢) سورة الفلق : آية ١-٢ .

(٣) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين

ابن قيم الجوزية (ت : ٧٥١ هـ) ، الناشر: دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، د . ط ، ١٣٩٨ هـ (١ / ٢٧٠) .

(٤) سورة الكهف : آية ٧٩ .

(٥) سورة الكهف : آية ٨٢ .

(٦) سورة الشعراء : آية ٨٠ .

(٧) سورة الفاتحة : آية ٦ .

(٨) سورة الجن : آية ١٠ .

(٩) انظر : مختصر الصواعق المرسله على الجهمية والمعتلة : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس

الدين ابن قيم الجوزية (ت : ٧٥١ هـ) ، اختصره : محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البجلي شمس

الدين ، ابن الموصلي (ت : ٧٧٤ هـ) تح : سيد إبراهيم ، الناشر: دار الحديث ، القاهرة ، مصر، ط ١ ،

١٤٢٢ هـ (١ / ١٥٨) .

يتضح لنا : ان الخير والشر في الوجود كلاهما داخل تحت مشيئة الله سبحانه وتعالى وعلمه وخلقه، لكنه سبحانه وتعالى خير محض ولا يُنسب إليه الشر من باب التأدب مع الله سبحانه وتعالى، من حيث الخلق والمشيئة كل شيء في الكون مخلوق لله تعالى، قال تعالى : ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾^(١)، ومن حيث النسبة فإن الخير يُضاف إلى الله مباشرة، مثل قوله تعالى : (بِبَيْدِكَ الْخَيْرُ)^(٢)، أما الشر فلا يُنسب إليه صراحةً، بل يُنسب إلى مفعوله أو سببه ، مثلما قال الخضر (عليه السلام) في قصة السفينة ﴿ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾^(٣)، ولم يقل فأراد الله أن يعيبها، تأدباً مع الله سبحانه وتعالى ، وان الله تعالى هو خالق كل شيء، لكنه لا يُنسب إليه الشر نسبةً مستقلةً وتُضيف الخير إليه مباشرة، وننسب الشر إلى مفعولاته أو مخلوقاته ، ويمكن ربط مفهوم خلق الخير والشر بفكرة الانفراج من خلال فهم أن الابتلاءات والشُرور التي قد يواجهها الإنسان في حياته هي جزء من التقدير الإلهي ، وتهدف إلى اختبار صبره وإيمانه وعند الصبر والثبات يأتي الفرج من الله تعالى ، مما يُبرز الحكمة الإلهية في تقدير الأمور، وإن الله سبحانه وتعالى خير محض، ولا يصدر عنه الا الخير، وما يسمى شرّاً إنما هو أمر نسبي ، قد يبدو للإنسان شرّاً في لحظة، ثم يتبين له لاحقاً أنه خير .

(١) سورة الزمر : آية ٦٢ .

(٢) سورة آل عمران : آية ٢٦ .

(٣) سورة الكهف : آية ٧٩ .

٢- طبيعة التضاد بين الخير والشر من جهة الإضافة إلى البشر :

يتجلى التضاد بين الخير والشر في سلوك البشر وأفعالهم، إذ جعلهما الله سبحانه وتعالى ابتلاءً واختباراً لعباده، فالخير هو ما يتوافق مع الفطرة السليمة والشرع القويم، بينما الشر هو ما يخالف ذلك، وقد منح الله تعالى الإنسان الإرادة والقدرة على الاختيار بينهما، فتصدر أفعاله عنه بوعي وإرادة، فيُثاب على إحسانه، ويحاسب على إساءته، وهذا التضاد جزء من سنن الله تعالى في الخلق، حيث يتميز الناس بين مُحسن ومُسيء، وفق ما كسبته أيديهم وما انطوت عليه نفوسهم من نوايا وأعمال، ومع ذلك، فقد تصرفوا في أفعالهم بإرادتهم الحرة، دون إجبار أو قهر وقد وردت آيات قرآنية تؤكد هذا المعنى، منها :

أ- قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾^(١) ، قال أي : إلا أن يشاء الله تعالى أن يعطيه تلك المشيئة، لأن فعل تلك المشيئة صفة محدثة فلا بد في حدوثها من مشيئة أخرى فيظهر من مجموع هذه الآيات أن فعل الاستقامة موقوف على إرادة الاستقامة، وهذه الإرادة موقوفة الحصول على أن يريد الله سبحانه وتعالى أن يعطيه تلك الإرادة، والموقوف على الموقوف على الشيء موقوف على ذلك الشيء، فأفعال العباد في طرفي ثبوتها وانتقائها، موقوفة على مشيئة الله سبحانه وتعالى^(٢)، ويلاحظ أن الآية تؤكد أن مشيئة العباد لا تكون إلا بإرادة الله سبحانه وتعالى، لكن ذلك لا يعني نفي الاختيار، وإنما يدل على أن الإنسان يعمل ضمن نطاق المشيئة الإلهية، والله تعالى بحكمته يترك للإنسان حرية الاختيار ثم يحاسبه عليها .

ب- قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾^(٣) ، قيل معنى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ أي : (ما يفلق عنه أي يفرق كالفرق، وهو يعم جميع الممكنات، فإنه تعالى فلق ظلمة العدم بنور الإيجاد عنها، سيما ما يخرج من أصل كالعيون والأمطار والنبات والأولاد، ويختص عرفا بالصبح ولذلك فسر به، وتخصيصه لما فيه من تغير الحال وتبدل وحشة الليل بسرور النور ومحاكاة فاتحة يوم القيامة، والإشعار بأن من قدر أن يزيل به ظلمة الليل عن هذا العالم قدر أن يزيل عن العائد به ما يخافه، ولفظ الرب هنا أوقع من سائر أسمائه تعالى لأن الإعادة من المضار تربية، ﴿ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ خص عالم الخلق بالاستعاذة عنه لانحصار الشر فيه فإن عالم الأمر خير كله، وشره اختياري لازم ومتعد كالكفر والظلم، وطبيعي كإحراق النار

(١) سورة التكويد : آية ٢٩ .

(٢) مفاتيح الغيب : محمد بن عمر، الفخر الرازي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ٣، ١٤٢٠هـ، (٣١ / ٧١) .

(٣) سورة الفلق : آية (١ - ٥)

وإهلاك السموم^(١)، تتضمن سورة الفلق في آياتها دعاءً بالاستعاذة بالله سبحانه وتعالى من صنوف الشرور المتنوعة، وقد ورد في الآية الكريمة : ﴿ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾، مما يدل على أن الشر ليس مطلقاً في جميع المخلوقات ، بل هو موجود في بعض ما خُلق، لا في الخلق من حيث هو وعليه فإن نسبة الشر تكون إلى المخلوقات باعتبار صدوره منها، لا من جهة العلو والربوبية، ومن هذا المنطلق، فإن ما يصيب الإنسان من خير أو شر هو ابتلاء يختبر الله سبحانه وتعالى به عباده ؛ ليميز الشاكرين في حال النعمة من الجاحدين، والمطيعين الصابرين في وقت الشدة من العاصين الساخطين، ومن ثم، فإن الجزاء يكون وفق الاستجابة فنعيم للمؤمن الصابر، وعذاب أليم للمعرض الكافر، ووجه الانفراج في هذا السياق يتمثل في أن الاستعاذة بالله تعالى واللجوء إليه من الشرور يفتح للعبد باب الأمان والطمأنينة، ويعينه على تجاوز المحن بثبات الإيمان، كما أن إدراك العبد لحقيقة الابتلاء وكونه فرصة للتمييز والاختبار، يخفف من وطأة البلاء، ويمنحه أفقاً من الرجاء والتسليم، مما يُعد مظهرًا من مظاهر الانفراج القلبي والمعنوي في خضم الشدائد.

ج - قوله تعالى : ﴿ وَبَلَّوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾^(٢)، قال : (اختبرناهم فعاشوا الصحة والمرض، والشدة والرخاء، والأمن والخوف، والنعماء والضراء، من أجل أن يرجعوا إلى الله سبحانه وتعالى ويلجأوا إليه في أوقات البلاء، ويعرفوا نعمه وأطافه في أوقات العافية فيعمق ذلك إيمانهم، ويقوي إرادتهم في اتجاه الخير، لأن الامتحان والاختبار قد يكون بالخير كما يكون بالشر)^(٣)، كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾^(٤) قيل أي: (نختبركم بالشدة والرخاء والحلال والحرام فننظر كيف شكرتم وصبركم، ﴿ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ أي: للجزاء بالاعمال)^(٥)، وتبين الآية إن الله سبحانه وتعالى يختبر العباد بالحسنات (أي النعم والخير) والسيئات (أي المصائب والابتلاءات) ليكون ذلك وسيلة لعودتهم إلى الله سبحانه وتعالى بالتوبة والاستقامة ، والآية تدل على أن الله سبحانه وتعالى يختبر الناس بالخير والشر، حيث تكون النعم اختباراً ليشكروا الله سبحانه وتعالى، وتكون المحن اختباراً ليصبروا ويتوبوا، وهذا الابتلاء بالحسنات والسيئات جزء من حكمة الله سبحانه وتعالى في تدبير شؤون خلقه، والآية تشير أيضاً إلى اختبار الله سبحانه وتعالى للناس

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : عبدالله بن عمر، البيضاوي (ت : ٦٩١ هـ) تح : محمد عبد الرحمان المرعشلي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١، ١٤١٨ هـ (٢٠٠٥ / ٥) .

(٢) سورة الأعراف : آية ١٦٨ .

(٣) تفسير من وحي القرآن : السيد محمد حسين ، فضل الله (٢٧٨ / ١٠) .

(٤) سورة الأنبياء : آية ٣٥ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن : محمد بن أحمد ، القرطبي (٢٨٧ / ١١) .

بالخيرات والمصائب ليرى كيف يتصرفون، والخير والشر كلاهما يدخل في حياة الإنسان، لكن الهدف منهما هو الاختبار والتمحيص، حتى يرجع الإنسان إلى الله ويتوب.

د - قوله تعالى : ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾^(١)، قيل يعني: (يعلمهم كتاب الله سبحانه وتعالى الذي أنزل عليه، ويبين لهم تأويله ومعانيه، والحكمة ويعني بالحكمة : السنة التي سنها الله جل ثناؤه للمؤمنين على لسان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبيانه لهم، ولقد من الله سبحانه وتعالى عليكم يا أهل الإيمان إذ بعث فيكم رسولا من أنفسكم، يتلو عليكم آياته، ويزكيكم فيما أخذتم، وفيما علمتم، ويعلمكم الخير والشر، لتعرفوا الخير فتعملوا به، والشر فتتقوه، ويخبركم برضاه عنكم إذ أطعتموه، لتستكثروا من طاعته، وتجتنبوا ما سخط منكم من معصيته، فنتخلصوا بذلك من نقمته، وتتركوا بذلك ثوابه من جنته)^(٢)، وتشير الآية أنها تتحدث عن أعظم خير أنعم الله سبحانه وتعالى به على المؤمنين وهو بعثة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولكنها تذكر ضمناً الشر السابق الذي كان فيه الناس قبل الإسلام والهدف منها هو إظهار الخير والنعمة العظيمة التي غيرت حال البشرية من الضلال إلى الهداية، وأيضاً تشير الآية إلى أعظم فرج أنعم الله سبحانه وتعالى به على المؤمنين، وهو بعثة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فجاءت الرسالة النبوية فرجاً ورحمة، أخرجتهم من الظلمات الى النور ومن الشقاء الى الهداية، إذن بعثة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت فرجاً عظيماً فتح الله تعالى به أبواب الخير للمؤمنين، وأزال عنهم كرب الجهل والضلال وأبدلهم بالحق والهدى، ويتضح أن العلاقة بين الخير والشر في القرآن الكريم تؤكد على مسؤولية الإنسان في الاختيار، وأن الخير هو الأصل والغاية، والعاقبة دائماً لأهل الخير .

ثالثاً : خلق الله الخير والشر حكمة وابتلاء :

يُعدُّ مفهوم الخير والشر من القضايا الجوهرية التي شغلت فكر الإنسان عبر العصور، حيث سعى الفلاسفة والمفكرون إلى تفسير مصدرهما وحكمتهما في الوجود، وفي العقيدة الإسلامية، يؤمن المسلمون بأن كل شيء في هذا الكون خاضع لمشئته الله وتقديره، وأن الخير والشر جزء من نظام الكون الذي يسير وفق حكمة إلهية بالغة، فالله سبحانه هو الخالق لكل شيء، لكنه لا يرضى بالشر، بل جعله ابتلاءً واختباراً لعباده، فهو سبحانه الذي أوجد هذا الكون بكل ما فيه من موجودات، بما يشمل السماوات والأرض والبحار والحبال والنجوم، وكذلك المخلوقات من ملائكة وإنس وجن، فالله تعالى يخلق الخير ابتداءً ، أما الشر، فإنه يأتي كنتيجة لأفعال المخلوقات ولا يُنسب إلى الله سبحانه وتعالى مباشرة، بل يُنسب إلى من اقترف الخطأ ووقع في الزلل

(١) آل عمران : آية ١٦٤ .

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن : أبو جعفر محمد بن جرير ، الطبري (٤ / ١٠٨) .

ويذكر: إن الله سبحانه وتعالى لم يخلق أي شيء يكون شراً محضاً من كل وجه، لا خير فيه بوجه من الوجوه، فإن هذا ليس من الحكمة والعدل الإلهي؛ بل ذلك لا يكون إلا عدماً محضاً والعدم ليس بشيء، والوجود إما خير محض، وإما خير غالب، وإما أن يكون فيه خير من وجه وشر من وجه، فإما أن يكون شراً من كل وجه فهذا ممتنع، ولكن قد يظهر ما فيه من الشر ويخفى ما في خلقه من الخير، ولهذا قال تعالى للملائكة وقد سألوا عن خلق هذا الجسم^(١)، فقالوا ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢)، وقد قيل في تفسيرها: (أعلم أن الشر القليل لو فرض، لا يمنع عن الخير الكثير)^(٣)، أي أن الله تعالى يعلم من وجوه المصلحة والحكمة ما لا تدركه الملائكة، وتُظهر هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان ليكون خليفة في الأرض، رغم توقع الفساد وسفك الدماء وهو ما استنكرته الملائكة، غير أن الرد الإلهي تضمن وعداً ضمناً بانفراج كامن في حكمة الخلق، يتمثل في أن وجود الشر لا ينفى الخير، بل يكون مدخلاً للاختبار والتمييز بين الطائع والعاصي، والصالح والفاقد، فوجه الانفراج في هذه الآية يكمن في أن خلفية الابتلاء لا تُفهم إلا في ضوء علم الله سبحانه وتعالى المطلق، وأن ما يبدو شراً في ظاهره قد يكون مقدماً لتحقيق مقاصد أسمى، من العدل والرحمة والتمييز بين الخلق .

(١) ينظر: مختصر الصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت : ٧٥١ هـ) تح: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث، القاهرة - مصر، ط ١، ١٤٢٢ هـ، (١ / ٢٥٨) .

(٢) سورة البقرة : آية ٣٠ .

(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن : السيد عبد الأعلى ، الموسوي السبزواري ، (١ / ١٥٢) .

التطبيقات القرآنية :

١- قال تعالى : ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^(١)، قال (بين الله سبحانه وتعالى أنه لا يملك النفع والضرر إلا هو من فقر أو مرض أو مكروه لا مزيل له ولا مفرج عنه إلا هو وهو القاهر فوق عباده ، بما تقتضيه الحكمة وهو لخبير العالم بكل شيء)^(٢)، ويتبين من سياق هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى يوضح أن قدرته مطلقة، فلا يحدها شيء، وهو المتصرف في جميع الأمور، فكما أن الله تعالى هو الذي يجلب النفع، فهو أيضا الذي يقدر الضر وفق حكمته، ويثيب ويعاقب بحسب مشيئته .

٢- قال تعالى : ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾^(٣)، قيل أي : (ما يطلق لهم ويرسل وهو تجوز من باب إطلاق السبب على المسبب، مِنْ رَحْمَةٍ رِزْقٍ، وَأَمْنٍ، وَصِحَّةٍ، وَعِلْمٍ، وَنُبُوَّةٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ صُنُوفِ نِعْمَائِهِ الَّتِي لَا يَحَاطُ بَعْدُهَا، وَتَكَثِيرِ الرَّحْمَةِ لِلإِشَاعَةِ وَالإِبْهَامِ، كَأَنَّهُ قَالَ مِنْ آيَةِ رَحْمَةٍ كَانَتْ سَمَاوِيَّةً أَوْ أَرْضِيَّةً، ﴿ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ فلا أحد يقدر على إمساكها وحبسها، وَمَا يُمْسِكُ وَأَيُّ شَيْءٍ يُمْسِكُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَلَا مُرْسِلَ لَهُ فَلَا أَحَدٌ يَقْدِرُ عَلَى إِطْلَاقِهِ، وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْفَتْحَ مُسْتَعَارًا لِلإِطْلَاقِ وَالإِرْسَالِ أَنَّهُ قَالَ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ، لَا فَاتِحَ لَهُ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ رَحْمَتَهُ سَبَقَتْ غَضَبَهُ ﴿ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ أي : من بعد إرساله ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَالِبُ عَلَى مَا يَشَاءُ مِنَ الإِرْسَالِ وَالإِمْسَاكِ ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَنَازِعَهُ فِيهِ الْعَزِيزُ لَا يَفْعَلُ الإِمْسَاكِ وَالإِرْسَالِ إِلَّا بِمَا تَقْتَضِي الْحِكْمَةُ^(٤)، وجاء في حديث عَنْ أَبِي بُرْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْكَ ، لَا مَانِعَ لِمَا أُعْطِيَتْ ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ)^(٥)، وفي بيان ما قاله في نهاية الحديث (الجد هو الحظ والسعادة والغناء، ومنه قول ولا ينفع ذا الجد منك الجد أي لا ينفع ذا الغناء منك عناؤه وإنما ينفعه الإيمان والطاعة)^(٦)، وقيل : (هذا تفويض إلى الله تعالى، بأنه لا مانع لما أعطى فما أعطاك الله سبحانه وتعالى لا أحد يمنعه، وما منعك لا أحد يعطيك إياه، ولهذا قال، ولا معطي لما منعت، إذا لا نسأل العطاء إلا من الله سبحانه وتعالى ونعلم أنه لو أعطينا شيئاً فالذي قدر ذلك هو الله تعالى والذي صيره حتى

(١) سورة الأنعام : آية ١٧ .

(٢) مختصر مجمع البيان : محمد باقر، الناصري (١ / ٤٤٩) .

(٣) سورة فاطر : آية ٢ .

(٤) زبدة التفسير : المولى فتح الله الكاشاني (٥ / ٤٦١ - ٤٦٢) .

(٥) الأمالي: الطوسي، (١ / ١٥٨) .

(٦) بحار الأنوار : المجلسي، (٨٣ / ١٣٤) .

يعطينا هو الله تعالى وما هو إلا مجرد سبب (١)، وتبين أن الانفراج في حقيقته تحوّل من حال الضيق إلى السعة ومن الشدة إلى اليسر، وهو من أبرز صور الخير التي تفيض بها رحمة الله سبحانه وتعالى على عباده، وتشير آية فاطر: ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ إلى أن كل فرج وراحة ونعمة تنزل بالعبد إنما هي ثمرة لرحمة يفتحها الله، لا يملك أحد منعها إذا شاء الله تعالى لها أن تنزل، ولا يقدر أحد على إرسالها إن أمسكها الله سبحانه وتعالى، وهكذا يظهر أن الانفراج لا ينبع من مجرد تغيير الظروف، بل هو مظهر من مظاهر الرحمة الإلهية، وتجلّ من تجليات الخير الإلهي الذي يسوقه الله تعالى لعباده متى شاء، فكل انفراج حقيقي هو خير خالص لا يصدر إلا عن الله تعالى، ومنه وحده يُطلب وإليه وحده يُرجع، فيثبت في قلب المؤمن أن الخير لا يُنال إلا من عند الله تعالى، وأن الانفراج ليس إلا صورة من صور رحمته التي لا تُفتح إلا بإذنه، ولا تُمنع إلا بحكمته.

٣- قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢)، قل يا رسول الله لسائلك عن الساعة: ﴿ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾ ، أنا عبد ضعيف لا أقدر على اجتلاب نفع إلى نفسي، ولا دفع ضرر يحل بها، فإني فقير مدبر، لا يأتيني خير إلا من الله تعالى ولا يدفع عني الشر إلا هو، وليس لي من العلم إلا ما علمني الله تعالى، وهذا إظهار للعبودية وبراعة عما يختص بالربوبية من علم الغيب، فلا يملك لنفسه اجتلاب نفع ولا دفع ضرر كالمملوكين إلا ما شاء مالكة من النفع له والدفع عنه ، وَقَدَّمَ النَّفْعَ فِي الذِّكْرِ هُنَا عَلَى الضَّرِّ؛ لِأَنَّ النَّفْعَ أَحَبُّ إِلَى الْإِنْسَانِ، يَقُولُ تَعَالَى عَنِ لِسَانِ نَبِيِّهِ: ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ أي : إلا ما شاء الله تعالى أن أملكه من ذلك، بأن يقويني عليه ويعينني ويملكني أي يمكنني منه ﴿ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾ أي : لو كنت أعلم ما يريد الله سبحانه وتعالى مني من قبل أن يعرفني لفعلته، وفي هذا إظهار للعبودية والإقرار بالعجز عن الأمور التي ليست من شأن العبيد، والاعتراف بالضعف وقوله: ﴿لَأَسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾، أي : لأعددت الكثير من الخير، فجلبته إلى نفسي وتوقيت ما فيه السوء حتى لا يمسنني، ولكنني عبد لا أدري ما عند ربي، ولا ما قضاة في وقدره لي، فكيف أدري غير ذلك، وأتكلّف علمه، وإن هذه الآيات المباركات الكريمات، مبيّنة جهل من يقصد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ويدعوه لحصول نفع أو دفع ضرر، فإنه ليس بيده شيء من الأمر، ولا ينفع من لم ينفعه الله سبحانه وتعالى، ولا يدفع الضرر عن من لم يدفعه الله سبحانه وتعالى

(١) شرح رياض الصالحين : محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت : ١٤٢١ هـ) ، الناشر : دار الوطن للنشر، الرياض ، د . ط ، ١٤٢٦ هـ ، (٥ / ٤٩٣ - ٤٩٣) .

(٢) سورة الأعراف : آية ١٨٨ .

الفصل الثالث : مستويات الانفراج في القرآن الكريم

عنه، ولا له من العلم إلا ما علمه الله تعالى^(١)، ويتّضح من الآية المباركة، أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يملك لنفسه جلبَ نفعٍ ولا دفعَ ضرٍّ إلا بمشيئة الله تعالى، مما يؤكد أن تدبير الأمور كلها بيد الله سبحانه وتعالى وحده، فهو الذي يقدر الأقدار بحكمةٍ بالغة، ويبتلي عباده بما يُظهر صدق إيمانهم وصبرهم، ولا يُنسب الشرُّ إليه سبحانه تنزيهاً له عن كل نقص، وإنما يُنسب إلى أفعال الخلق ومقاصدهم وأثارهم، ووجه الانفراج يكمن في هذه الآية في توجيه القلوب إلى التوكل على الله تعالى وحده، والاعتقاد الجازم بأنه لا نافع ولا ضارَّ إلا هو، ممّا يُورث المؤمنَ طمأنينةً و يقيناً عند الشدائد، ويحرّره من التعلق بالمخلوقين، ففي هذا المعنى تفريجٌ اللهم وانكشف للكرب إذ تُفتح أمام المؤمن آفاق الرجاء بالله سبحانه وتعالى، وتُعلّق أبواب التعلّق بغيره .

^(١) ينظر : جامع البيان في تفسير القرآن : أبو جعفر محمد بن جرير، الطبري ، الناشر: دار المعرفة ، بيروت ، ط ١، ١٤١٢ هـ، (٩ / ٩٦ - ٩٧) .

المطلب الثاني : الجبر والتفويض :

الجبر والتفويض موضوع في علم العقيدة الإسلامية يتعلق بمسألة أفعال العباد وعلاقة قدرتهم بإرادة الله سبحانه وتعالى ويرى مذهب الجبر أن الإنسان مجبر على أفعاله، إذ لا يملك إرادة مستقلة، وكل أفعاله مقدره عليه، أما التفويض فيقول إن الله سبحانه وتعالى فوض للإنسان أفعاله بشكل كامل دون تدخل منه، في المقابل، تبني مذهب أهل السنة والجماعة موقفاً وسطاً يُعرف بالكسب، حيث إن الإنسان يملك إرادة واختياراً، لكن كل شيء يقع بمشيئة الله سبحانه وتعالى وإن الجبر والتفويض هو مسألة كلامية ذات صلة وثيقة بمسألة العدل الإلهي، حيث تبحث عن كيفية صدور أفعال العباد، هل أنهم مختارون في أفعالهم أم مجبرون ومضطرون إليها .

تعريف الجبر والتفويض :

أولاً : الجبر :

- ١- الجبر لغة : هو الإكراه، ف (أجبره على الحكم أكرهه)^(١).
- ٢- الجبر اصطلاحاً : (إجبارُ الله عباده على ما يفعلون، خيراً كان أو شراً، حسناً كان أو قبيحاً، دون أن يكون للعبد إرادة واختيارُ الرضا والامتناع)^(٢).

ثانياً : التفويض :

- ١- التفويض لغة : (الْفَاءُ وَالْوَاوُ وَالضَّادُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى اتِّكَالٍ فِي الْأَمْرِ عَلَى آخَرَ وَرَدَّهُ عَلَيْهِ)^(٣)، وقول : (رَدَّهُ إِلَيْهِ، وَجَعَلَهُ الْحَاكِمَ فِيهِ)^(٤)، وقيل : التفويض : (فَوْضُ الْأَمْرِ إِلَيْهِ جَعَلَ لَهُ التَّصَرُّفَ فِيهِ)^(٥).
- ٢- التفويض اصطلاحاً : هو إباحة جميع أفعال البشر وترخيصهم في كلِّ ما شاءوا وأرادوا دون قيد أو شرط^(٦).

(١) ينظر : لسان العرب : ابن منظور (١٠ / ٤١٩) .
(٢) عقائد الإسلام من القرآن الكريم : السيد مرتضى العسكري : دراسة حول الجبر والتفويض والقضاء والقدر د. ط ، ١٤٤٠ هـ (١ / ٥) .
(٣) معجم مقاييس اللغة : بن فارس ، (٤ / ٤٦٠) .
(٤) تاج العروس من جواهر القاموس : محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني ، أبو الفيض ، الملقب بمرتضى ، الزبيدي (ت : ١٢٠٥ هـ) ، تح : مجموعة من المحققين ، دار الهداية ، د . ط ، د . ت ، (١٨ / ٤٩٦) .
(٥) المعجم الوسيط : المؤلف : مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) ، (٢ / ٧٠٦) .
(٦) ينظر : البراهين الواضحة في عقائد الإمامية على ضوء العقل والكتاب والسنة : الشيخ علي أكبر السيدي المازندراني ، الناشر : جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، إيران ، ط ١ ، د . ت (١٦٨ / ٢) .

ذكر الأراء في مسألة الجبر والتفويض :

أولاً : الجبر المحض : وهو منسوب إلى جهم بن صفوان^(١) (ت : ١٢٨ هـ) قال الأشعري : (تفرّد جهم بأمر منها : أنه لا فعل لأحد في الحقيقيه الا لله سبحانه وحده، وأنه هو الفاعل، وإنّ الناس أنما تُنسب إليهم أفعالهم على المجاز، كما يُقال: تحركت الشجرة ودار الفلك وزالت الشمس)^(٢) يبدو ان هذا الرأي الذي جاء به جهم بن صفوان دحض دليله الذي أعتمده في مذهبه عن طائفة من العلماء إذ قال الكلبيكاني: قولهم (أنه لا ريب في بطلان هذا المذهب بالبداهة، إذ لو كان كذلك لبطلَ التكليف والوعد، والوعيد، والثواب، والعقاب، ولصار بعث الأنبياء وإنزال الكتب والشرائع السماويّة لغوا تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً)^(٣).

ثانياً : الكسب :

وقد اشتهرت نسبة نظريّة الكسب للأشاعرة وعُدّت من مميزات منهجهم وقد قام الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري وتلامذته وذكروا الأدلة العقلية والنقلية على هذه النظرية وهي (أنّ أفعال العباد تنقسم بالمشاركة بين الله سبحانه وتعالى وعباده، فلا يستقل أي من الطرفين بها وحده، ولما كان الله سبحانه وتعالى لا يحتاج إلى معين في أفعاله، ومن ثم فإن الفعل ينسب إلى فاعلين هما الله تعالى والعبد)^(٤)، وأنتاب دليل القائلين بنظرية الكسب الى بطلانه إذ أدرك رجال الأشاعرة بعضهم بطلان هذه النظرية وعدم كونها طريقاً صحيحاً لحل معضلة (الجبر)، فأبطلوها، فقد قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني (من زعم أنه لا عمل للعبد فقد عاند، فإنّ القدرة الحادثة، إذا لم يكن لها أثر، فوجودها وعدمها سواء، ومن زعم أنه مستبد بالعمل فقد أشرك، فلا بدّ أنه مضطرّ على الاختيار)^(٥).

* جهم بن صفوان : يلقب بأبي محرز وكان مولى لبني راسب من الأزد، وقد دعا الى مذهبه في ترمذ ثم أقام في بلخ، ويؤرخ للرجل إنه كان من أنصار الحارث بن سريح، أحد الخارجين على الحكم الأموي، وعلى مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية تحديد قتل الحارث عام ١٢٨ هـ ، ووقع جهم أسيراً في يد سلم بن أحوز فأمر بقتله وقتل في العام، يعود أصله الى مدينه في ترمذ التي تقع حالياً في أوزباكستان على الحدود الأفغانية، ولد ونشأ في الكوفه .

(٢) مقالات الإسلاميين وأختلاف المصلين : أبو الحسن الأشعري ، تح: محمد محي الدين عبد الحميد (ت : ٣٢٤ هـ) ، نشر المكتبة العصرية ، (٣١٢ / ١) .

(٣) محاضرات في الإلهيات : الشيخ علي الرباني الكلبيكاني (ت : ١٣٧٦ هـ)، مؤسسة الإمام الصادق ع لسماحة العلامة المحقق جعفر السبحاني ، د . ط ، د . ت ، (١٩٢ / ١) .

(٤) الجبر والاختيار في الفكر الإسلامي (مشكلة وحل) : أشرف حافظ يوسف عبد الرزاق ، الناشر: دار النخلة النخلة طرابلس ، د . ط ، د . ت (٥٤) .

(٥) البواقيت والجواهر في بيان عقيدة الأكابر : الشيخ عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني (ت : ٩٧٣ هـ) ، د . ط ، د . ت ، (١٣٩ - ١٤١) .

ثالثاً : التفويض :

يعد أكثر من تأثر بهذه النظرية هم المعتزلة إذ المنقول عنهم أنّ أفعال العباد مفوضة إليهم وهم الفاعلون لها بما منحهم الله تعالى من القدرة، وليس لله سبحانه شأن في أفعال عباده قال القاضي عبد الجبار، (اتفق أهل العدل على أنّ أفعال العباد من تصرفهم وقيامهم وعودهم حادثة من جهتهم، وأن الله سبحانه وتعالى أقدّرهم على ذلك ولا فاعل لها ولا محدث سواهم)^(١) وقيل (إنّ دافع المعتزلة إلى القول بالتفويض هو الحفاظ على العدل الإلهي، فلما كان العدل عندهم هو الأصل والأساس في سائر المباحث، عمدوا إلى تطبيق مسألة أفعال العباد عليه فوقعوا في التفويض؛ لاعتقادهم بأنّ القول يكون أفعال العباد مخلوقة لله سبحانه وتعالى ينافي عدله تعالى وحددوا بذلك خالقيته تعالى وسلطانه)^(٢)، وقد استدل العلماء المنكرين لنظرية التفويض على بطلانه بأدلة كثيرة من القرآن والسنة، كقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾^(٣)، قيل أي: معناه: (يا أيها الناس أنتم أولو الحاجة والفقر إلى ربكم، فإياه فاعبدوا، وفي رضاه فسارعوا، يغنكم من فقركم، وتنجح لديه حوائجكم والله هو الغني عن عبادتكم إياه، وعن خدمتكم، وعن غير ذلك من الأشياء، منكم ومن غيركم، ﴿ الْحَمِيدُ ﴾ يعني: المحمود على نعمه، فإن كل نعمة بكم وبغيركم فمنه، فله الحمد والشكر بكل حال)^(٤) ومن خلال هذه الآية يتبين أنّ العلماء الذين قالوا بنظرية التفويض، أي أن الله سبحانه وتعالى فوض أفعال العباد إليهم وجعل لهم إرادة مستقلة تماماً، استدلوا بآية ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾، على أن الإنسان له استقلالية في أفعاله، استدلال القائلين بالتفويض بهذه الآية قائم على تفسير الفقر إلى الله تعالى بأنه فقط في أصل الوجود، لكنه لا يدل بوضوح على أن الإنسان مستقل تماماً في أفعاله، بينما المدرسة الوسطى (الأمر بين الأمرين) ترى أن الإنسان فقير إلى الله سبحانه وتعالى في كل شيء، حتى في أفعاله، لكنه ليس مجبراً، بل يملك إرادة تحت إرادة الله سبحانه وتعالى الشاملة، وأمّا الدليل من السنة الشريفة، فقد تضافرت وتكاثرت الروايات على نقد نظرية التفويض فيما أُثِرَ عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، وكان المعتزلة مدافعين عن تلك النظرية في عصرهم، مروّجين لها، ومن الروايات في هذا المقام ما رواه الصدوق في الأمالي عن أبو عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: (إنا لا

(١) المغني في أبواب التوحيد والعدل : أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني الأسدي، القاضي القاضي عبد الجبار (ت : ٤١٥ هـ) تح : د. سليمان دنيا ، د. ط ، د. ت ، (٦ / ٤١) .

(٢) محاضرات في الإلهيات : الكلبيكاني (٢٠٣ - ٢٠٤) .

(٣) سورة فاطر : آية ١٥ .

(٤) جامع البيان في تفسير القرآن : الطبري (٢٢ / ٨٣) .

نقول جبرا ولا تفويضا^(١)، وروايات أخرى كثيرة^(٢) .

رابعا : الأمر بين الأمرين :

هو أن المجبرة اتجهوا إلى القول بالجبر سعياً للحفاظ على التوحيد الفعلي أو الافعالي وإفراد الله سبحانه بالخلق والتدبير، في حين أن المفوضة اختاروا التفويض حرصاً على إثبات عدله سبحانه وتعالى غير أن كلا الاتجاهين أغفلا منهجاً ثالثاً تؤيده العقول وتدعمه النصوص من الكتاب والسنة، وهو الطريق الوسط الذي يجمع بين التوحيد والعدل دون الوقوع في إشكالات الجبر أو التفويض، وهذا هو مذهب (الأمر بين الأمرين)، الذي كان أئمة أهل البيت (عليهم السلام) يدعون إليه باستمرار^(٣) .

معنى نظرية الأمر بين أمرين :

هو وجود النسبتين والإسنادين في فعل العبد، وهو نسبة إلى الله تعالى، ونسبة إلى العبد، من غير أي تزاحم بينهما، قال أبو الحسن الرضا (عليه السلام) قال الله عز وجل : (ابن آدم بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء وبقوتي أدبت فرائضي وبنعمتي قويت على معصيتي، جعلتك سميعاً بصيراً قوياً، ما أصابك من حسنة فمن الله تعالى، وما أصابك من سيئة فمن نفسك وذاك اني أولى بحسناتك منك وانت أولى بسيئاتك مني وذاك أنني لا أسأل عما أفعل وهم يسألون)^(٤)، وقوله : (بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء) يعني : شاء الله تعالى أن يكون الإنسان مختاراً في أفعاله كلها بحيث إذا اختار أي عملاً لم يكن خارجاً عن إرادة الله ومشيئته من جهة أنه شاء اختيار العبد وإن كان إختيار العبد مبعوضاً، ولو أراد الله سبحانه وتعالى أن يجبر العبد على الخير لكان قادراً على ذلك بحيث لا يوجد أسباب المعصية ويبعد عنهم خلق الخمر والخنزير وإذا أراد الرجل ضرب أو قتل أو سرقة مال شلت يده وإذا أراد الزنا سلبت عنه الشهوة، وهكذا ولكن هنا الله تعالى قد أقدرهم على الخير والشر معاً، بحيث خلق لهم أسباب كل فعل وأدواته وخيره مع أنه يبغض المعاصي بكل أسبابها حتى ينتهي العبد باختياره وهو خير الاختيار بالنسبة إلى شر المعصية، وقوله : ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾^(٥)، وذلك لأن جميع تسبیب الأسباب وتمكين المكلف وخلق الآلات والهداية إلى الخير هذه جميعها هي من

(١) الأمالي : أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن موسى بن بابويه القمي ، الشيخ الصدوق (ت : ٣٨١ هـ)
تح : قسم الدراسات الإسلامية ، مؤسسة البعثة ، د . ط ، د . ت ، (١ / ٣٥٣) .

(٢) بحار الأنوار : المجلسي (٥ / ١٧ ، ٥٤)

(٣) ينظر : محاضرات في الالهيات : الكلبيكاني ، (٢٠٥) .

(٤) شرح أصول الكافي : أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني مع شرح الكافي الجامع للمولى محمد صالح المازندراني (ت : ١٠٨١ هـ) تعليق الميرزا ، أبو الحسن الشعراني ، د . ت ، د . ت ، (٤ / ٢٧٧) .

(٥) سورة النساء : آية ٧٩ .

الله سبحانه وتعالى وإن كان اختيار الخير من العبد وإذ لو لم يكن هنالك الأسباب لم يقدر العبد على الإتيان بالحسنة أصلاً، وأما السيئة من حيث هي سيئة فليست هي من الله تعالى وإن كان تسبب أسبابها وإقذار المكلف عليها منه تعالى كأسباب الطاعة والحسنة وإن الله سبحانه وتعالى لم يخلق الآلات والأسباب للسيئة بل خلقها للحسنة وإنما أصبحت وتحولت سيئة ذلك لسوء اختيار العبد لها ، ونذكرها بعبارة أخرى: إنما يكون الفائض من الله تعالى وهو الوجود وهو خير محض ولكون السيئة شراً إنما هو من جهة العبد فقط بحيث صرف ما يمكن أن يصرف في الحسنة في السيئة^(١)، ويتبين من خلال النص، أن نظرية الأمر بين أمرين تؤكد على التوازن بين الجبر والاختيار، حيث لا يكون الإنسان مجبراً بشكل كامل على أفعاله، ولا يكون مستقلاً تماماً عن مشيئة الله تعالى، بل هو في موضع وسط بينهما، وان النظرية تحقق توازناً بين أن يكون الإنسان مسؤولاً عن أفعاله وبين أن يكون الله تعالى هو الخالق والمهيمن على الكون، مما يجعلها رؤية وسطية بين الجبرية والتفويض المطلق.

أدلة القائلين بنظرية الأمر بين الأمرين في الكتاب والسنة :

إن الآيات القرآنية التي تنفي الجبر والتفويض وتدل على مذهب الأمر بين الأمرين تتكون من ثلاث مجموعات هي:

أولاً : آيات تصرح بأن كل ما يحدث في الكون ويصدر من العباد، يقع بإذنه تعالى ومشيئته وهذه الآيات تبطل التفويض منها:

١- قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٢) .

٢- قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾^(٣) .

ثانياً : آيات تفيد أن الإنسان مختار في أفعاله، وهي عديدة، وهذه الآيات تبطل الجبر منها:

١- قوله تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾^(٤) .

٢- قوله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾^(٥)

فلو لم يكن الإنسان مختاراً في أفعاله، صالحة كانت أم طالحة، وفي انتخاب طريقه في الحياة إيماناً كان أو كفراً ، لما صحت نسبتها إليه .

(١) ينظر: شرح أصول الكافي : مولي محمد صالح المازندراني ، (٤ / ٢٧٧ - ٢٧٨) .

(٢) سورة التكويد : آية ٢٩ .

(٣) سورة يونس : آية ١٠٠ .

(٤) سورة الشمس : آية ٧-٨-٩-١٠ .

(٥) سورة فصلت : آية ٤٦ .

ثالثاً : آيات تُصَرِّح بأن لكل فعل يصدر من العبد له نسبتين، إحداهما إليهم والأخرى إلى الله تعالى من دون تراحم وتضاد بينهما، منها :

١- قوله تعالى: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾^(١).

فترى أن الله سبحانه وتعالى قد نسب الرمي إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وفي الوقت نفسه سلبه عنه ونسبه إلى ذاته المقدسة .

وأما السنة الشريفة، فقد تضافرت الروايات عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في بيان مذهب الأمر بين الأمرين منها:

فقد روي عن أبي عبد الله (عليه السلام) انه قال: (لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين) قال، فقلت: وما أمر بين أمرين قال: (مثل ذلك مثل رجل رأيته على معصية فنهيته فلم ينته فتركته ففعل تلك المعصية، فليس حيث لم يقبل منك فتركته، أنت الذي أمرته بالمعصية)^(٢) وروايات أخرى كثيرة^(٣).

علاقة الإنفراج مع الجبر والتفويض في القرآن الكريم :

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾^(٤)، قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾ أي: دللناهم على الحق، وذلك من خلال وضع أو نصب الحجج وإرسال الرسل ﴿ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾، فقاموا باختيار الضلالة على الهدى، وتقديم الكفر على الإيمان، فأخذتهم صاعقة من السماء فأهلكتم وهذا هو العذاب الذي يهينهم بما كانوا يكسبون من إختيارهم الضلالة والكفر، ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون من تلك الصاعقة^(٥)، وقال الكرمي (ت : ١٤٢٣ هـ) وأما ثمود فبسطنا أمامهم طرق الهداية وبيننا لهم المسالك والطرق المنجحة فأعرضوا عن سلوكها واستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم منا صاعقة العذاب الهون بما كسبوا من باطل ونجينا المؤمنين الذين كانوا فيهم^(٦)، وقال الطهراني : (ان هذه الهداية هي العامة بإراءة طريق الهدى عن الردى، فإذا استحبوا العمى على الهدى فهم إذا

(١) سورة الانفال : آية ١٧ .

(٢) الكافي : محمد بن يعقوب، الشيخ الكليني (ت : ٣٢٩ هـ) تح: المصحح: غفاري على اكبر وآخوندي، محمد، الناشر: دار الكتب الإسلامية، مكان النشر: تهران، ط ٤، ١٤٠٧ هـ، (١ / ١٦٠) .

(٣) التوحيد : الصدوق، (٣٦٠-٣٦١)، بحار الانوار: المجلسي، (٥ / ٧٥) .

(٤) سورة فصلت : آية ١٧ .

(٥) ينظر: زبدة التفاسير : الكاشاني، المولى فتح الله (ت : ٩٨٨ هـ)، تح: مؤسسة المعارف الإسلامية، النشر مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ط ١، ١٤٢٣ هـ، (٦ / ١٧٥) .

(٦) التفسير لكتاب الله المنير : الشيخ محمد بن محمد طه الكرمي الخفاجي الحويزي (ت : ١٤٢٣ هـ) المطبعة العلمية، قم، ط ١، ١٤٠٢ هـ، (٧ / ١١٧) .

في ضلال قاصد بعناد زائد، ﴿ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾ وهم يعرفون، ولأن العمى هنا تقابل الهدى فهي ظلام البصيرة، والمته في الغواية، والهدى هي بصيرة مختارة، بحيث يتركون هذه إلى تلك بأختيار دون جنة ولا إجبار، وإن ذلك أخف على الإنسان، وأشد ملائمة للطباع من تحمل مشاق النظر والتلجيج في غمار الفكر^(١)، فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ﴿ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾^(٢)، وقال اليزدي : (ت : ٩٨١ هـ) في بيان قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾ في بيان الهداية وهي فيها رأيين : الرأي الأول : قيل هي الدلالة الموصلة أي الإيصال والوصول وبلوغ الغاية التي أريد أن أصل إليها أي المطلوب .

الرأي الثاني : قيل هي إراءة الطريق أي الدلالة على مايوصل وهي إراءة الطريق الموصل الى المطلوب وليس الغاية .

إذن: الفرق بين هذين المعنيين :

هو أن الأول وهو الهداية العقلية يستلزم الوصول الى المطلوب بخلاف الثاني وهو الهداية الثانية التي هي مجرد الكشف وليس الواجب الإيصال أي إراءة الطريق، وإن المعنى الأول هو إراءة الطريق والإيصال الى المطلوب رفع نقض الثاني، فإن الدلالة على مايوصل الى المطلوب لايلزم أن تكون هذه الدلالة موصلة الى مايوصل فكيف توصل الدلالة الى المطلوب والأول منقوض بقوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾، إذ لايتصور الضلال بعد الوصول الى الحق، إذن النص القرآني مبدأه القطع والتفسير مبدأه الظن أي إراءة الطريق تكفي حسب الآية الكريمة أي ليس معنى الآية الإيصال الى المطلوب^(٣) .

(١) الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن : محمد الصادقي الطهراني (ت : ١٤٣٢ هـ)، منشورات الثقافة الإسلامية، قم ، ط ٢ ، ١٤٠٧ هـ ، (٢٦ / ٥١ - ٥٢) .

(٢) سورة فصلت : آية ١٨ .

(٣) الحاشية على تهذيب المنطق للفتازاني : الفاضل الكامل والعالم الفقيه المنطقي الإمامي المولى عبدالله بن شهاب الدين الحسين اليزدي (ت : ٩٨١ هـ) ، تح : مؤسسة التأريخ العلربي، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، د . ت ،

الحاصل :

يتضح لنا أن الهداية تدل على حصول الإنفراج لأن الهداية هي إراءة الطريق الذي يقتضي إنفتاح سبل الحق وتميزها عن الباطن وهذا الإنفراج للهداية لا يستلزم الجبر ولا يستلزم التفويض وإنما فيه دلالة واضحة على أن الهداية تدل على الأمر بين الأمرين على نحو الاقتضاء لا على نحو العلية التامة، وأن الله سبحانه وتعالى حكيم في أفعال عباده، لم يجبرهم على طاعة ولا معصية، كما لم يخرجوا عن سلطانه بطاعتهم أو معصيتهم إياه، بل كل ما يفعلونه هو بإذن منه وإقدار، ليعلم المطيع منهم من العاصي، فيثيب المطيع على ما أطاع باختياره، ويعاقب العاصي على ما عصى وتجراً به على الله تعالى باختياره .

المبحث الثاني : المستوى الأخلاقي للانفراج في القرآن الكريم :

المطلب الأول : التواضع والتفاخر :

التواضع والتفاخر في القرآن الكريم سلوكان متضادان؛ فالتواضع صفة محمودة يتحلى بها عباد الله الصالحون، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾^(١)، وهو يعكس سكينه المؤمن وبعده عن الغرور، أما التفاخر، فقد حذر الله سبحانه وتعالى منه حين يكون منصباً على زينة الدنيا، كما في قوله: ﴿ وَتَفَاخُرُ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾^(٢)، ومع ذلك، قد يكون هناك جانب حسن للتفاخر إذا كان تعبيراً عن الامتنان بنعم الله سبحانه وتعالى أو في سياق التنافس في الخير، كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾^(٣)، فالتواضع سبيل الرفعة، والتفاخر قد يكون محموداً إذا ارتبط بشكر الله سبحانه وتعالى والاعتراف بفضله.

أولاً : التواضع لغةً واصطلاحاً :

١- التواضع لغةً : قيل : (الوضاعةُ: الضَّعَةُ تقول: وَضَع (يَوْضَعُ) وَضَاعَةً، والوضيعة: نحو وضائع كسرى، كان ينقل قوماً من بلادهم ويسكنهم أرضاً أخرى حتى يصيروا بها وَضِيعَةً أبداً والوضيعةُ أيضاً: قوم من الجند يُجَعَلُ أسماؤهم في كورة لا يغزون منها)^(٤)، وقيل: (الوَأُوُ وَالضَّادُّ وَالْعَيْنُ: أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الْخَفْضِ (لِلشَّيْءِ) وَحَطِّهِ، وَوَضَعْتُهُ بِالْأَرْضِ وَضَعًا وَوَضَعَتِ الْمَرْأَةُ وَدَهَا)^(٥).

٢- التواضع اصطلاحاً : عند الفقهاء هو الوضيعة، وعند السالكين هو الافتقار بالقله وتحمل أعباء أهل الملة، وقال أهل الإشارات التواضع هو تصغير النفس للغاية مع معرفتها، وتعظيم النفس بحرمان التوحيد، وذكر: أن قمة التواضع أن تخرج من البيت فلا ترى أحداً من الناس إلا

(١) سورة الفرقان : آية ٦٣ .

(٢) سورة الحديد : آية ٢٠ .

(٣) سورة المطففين : آية ٢٦ .

(٤) العين : الفراهيدي (٢ / ١٩٥) .

(٥) معجم مقاييس اللغة : أحمد بن فارس (٦ / ١١٧) .

وتراه أفضل منك^(١)، وعُرفَ أيضاً: بأنه الانقياد لما يُورثُ رِقَّةً، والتعزُّزُ على من يُورثُ صَعْبَةً وحصولُ العلمِ لهم، وتهذيبُ أنفسهم، فإنَّ التواضعَ هو ثمرةُ العلمِ ووسيلةٌ لتهديبِ النفسِ^(٢).

ثانياً: التواضع في القرآن الكريم :

وردت العديد من الآيات التي تدعو إلى التواضع وتحت المؤمنين على التحلي بهذه الصفة نذكر بعضها مع تفسيرها، ومنها:

١- قوله تعالى : ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾^(٣)، أي : وأظهر لهما التواضع والخضوع قولاً وفعلاً، إحساناً إليهما ورحمةً بهما، والمقصود بالذل هنا هو اللين والتواضع، لا الهوان، كما يُقال عن الطائر إذا خفض جناحه فضمَّ فرخه إليه فكأن الله سبحانه وتعالى يأمر بأن تضمَّ والديك إلى نفسك كما كانا يحتضنانك برعايتكما وأنت صغير، وإذا أرادت العرب وصف شخص بالسماحة وترك التكبر، قالوا: هو خافض الجناح^(٤) وقال الطباطبائي المعنى: (خفض الجناح كناية عن المبالغة في التواضع والخضوع قولاً وفعلاً مأخوذ من خفض فرخ الطائر جناحه ليستعطف أمه لتغذيته، ولذا قيده بالذل فهو دأب أفراخ الطيور إذا أرادت الغذاء من أمهاتها، فالمعنى واجهما في معاشرتك ومحاورتك مواجهة يلوج منها تواضعك وخضوعك لهما وتذلل قباليهما رحمة بهما)^(٥).

وتدعو الآية إلى التواضع والرحمة في معاملة الوالدين، حيث يأمر الله سبحانه وتعالى الابن بأن يخفض لهما جناح الذل من الرحمة، أي أن يتعامل معهما بلطف وخضوع نابع من المحبة والاحترام، وليس من الشعور بالإهانة، ثم تأتي نهاية الآية بالدعاء لهما: ﴿ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾، مما يفتح باب الفرج، لأن الدعاء سبب في نزول الرحمة على الوالدين وعلى الداعي نفسه، ووجه الانفراج في الآية يظهر في أن بر الوالدين ليس مجرد تكليف، بل هو باب للرحمة المتبادلة، فكلما زاد الإنسان برًا بوالديه، زاده الله رحمة وتوفيقاً في حياته.

(١) ينظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم : محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت : ١١٥٨ هـ) تح : د.علي دحروج ، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ط ١٤١٦ .

(٢) ينظر: تفسير الراغب الاصفهاني : أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت : ٥٠٢ هـ) تح : د. محمد عبد العزيز بسيوني ، الناشر: كلية الآداب - جامعة طنطا ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ ، (٣٨١ / ٤) .

(٣) سورة الاسراء : آية ٢٤ .

(٤) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن : الفضل بن الحسن ، الطبرسي (٦ / ٦٣١) .

(٥) الميزان في تفسير القرآن : الطباطبائي (١٣ / ٨٠) .

٢- قوله تعالى : ﴿ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(١)، بيان المعنى : اعتراضاً بين الجملتين؛ تكريماً للمؤمنين قبل الأمر بالتبرؤ من غير المؤمنين، وبعد التوجيه بالإنذار الذي قد يترك أثراً مؤلماً في النفوس، وخفض الجناح: مثال على المعاملة بالرفق والتواضع، وقد سبق ذكره في قوله تعالى : ﴿ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٢)، وقوله تعالى : ﴿ وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾^(٣)، والجناح للطائر بمثابة اليدين للدواب، وهو وسيلته للطيران، و﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ توضيحٌ للمقصود بـ ﴿ لِمَنِ اتَّبَعَكَ ﴾، إذ إن المراد المتابعة في العقيدة، أي الإيمان والمقصود من هذا التوضيح الإشادة بمقام الإيمان، وكأن المعنى: اخفض جناحك لهم تقديرًا لإيمانهم^(٤) ومعنى آخر: إن هذا الأسلوب البديع كناية عن التواضع المزوج بالمحبة والرفق تمامًا كما تخفض الطيور أجنحتها لصغارها بدافع الحنان، فتظلُّها لتحميها من الأخطار المحتملة وتصونها من الضياع والتفرق، وكذلك النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقد أمر بأن يخفض جناحه للمؤمنين الصادقين، إظهاراً للرفقة والعناية بهم^(٥)، وتشير الآية أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، رغم مقامه العالي، مأمور بخفض الجناح والتواضع للمؤمنين، وهذا يعني أن أي إنسان، مهما علا شأنه، لن يجد راحة حقيقية أو انفراجاً إلا بالتواضع ولين الجانب، فالتواضع ليس ضعفاً، بل هو القوة التي تجلب الطمأنينة، وهو السبيل الذي يصل الإنسان بالآخرين، وبه يجد الراحة والدعم في حياته.

٣- قوله تعالى : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾^(٦)، قال معنى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ ﴾ أي: خواصه الذين يسجدون ويخضعون للرحمن ﴿ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ أي: بسكينة وتواضع ووقار و(الهنون) وهو الرفق واللين ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ ﴾ أي: السفهاء بما يكرهون، ﴿ قَالُوا سَلَامًا ﴾؛ سداداً من القول يسلمون فيه من الإيذاء والإثم والخنا، أو: سلمنا منكم سلاماً، أو: سلموا عليهم سلاماً، دليله قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ ﴾^(٧)^(٨)، وقال إن معنى قول الله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾، أي: أن عباد الرحمن هم

(١) سورة الشعراء : آية ٢١٥ .

(٢) سورة الحجر: آية ٨٨ .

(٣) سورة الاسراء : آية ٢٤ .

(٤) ينظر: التحرير والتنوير : ابن عاشور (٢٠٦ / ١٩) .

(٥) ينظر: الأمتل في تفسير كتاب الله المنزل : ناصر مكارم الشيرازي (٤٧٥ / ١١) .

(٦) سورة الفرقان : آية ٦٣ .

(٧) سورة القصص : آية ٥٥ .

(٨) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد : أحمد بن محمد ، ابن عجيبة (ت: ١٢٢٤هـ) تح : أحمد عبدالله القرشي رسلان ، الناشر : د . حسن عباس زكي، القاهرة، ط١، ١٤١٩هـ (١١٥ / ٤) .

أولئك الذين اختصهم الله تعالى بعبادته وخضوعهم له، فهم يسيرون على الأرض بسكينة وتواضع ووقار وكلمة ﴿ هُونًا ﴾ تدل على اللين والرفق، بعيدًا عن الغرور والتكبر، أما قول الله ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ﴾، فيشير إلى أن هؤلاء العباد إذا واجهوا السفهاء الذين يخاطبونهم بغلظة أو إساءة، فإنهم يردون بقول حسن متزن، فيه نجاة لهم من الإثم، أو يسلمون من أذى المخاطبين أو ربما يردون بتحية السلام كما في قوله تعالى : ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّعْنَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾، وهذه هي إحدى الصفات البارزة لعباد الرحمن، فهم يسيرون على الأرض بطريقة معتدلة، طبيعية، لا تكلف فيها ولا تصنع، بعيدة عن التكبر والخيلاء، أو الترهل والضعف، فالمشية تعكس ما في النفس، والنفس السوية المطمئنة الجادة تترك أثرها على صاحبها، فيمشي بثبات ووقار، دون تكلف أو تهاون، ولا يعني قوله تعالى : ﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُونًَا﴾ أنهم يسيرون بانكسار وضعف، أو أنهم يظهرون الخشوع بالتصنع في مشيتهم، كما يظن بعض الناس ممن يببالغون في إظهار التقوى والصلاح، بل هم في وقارهم وجديتهم مشغولون بما هوأهم، فلا يلتفتون لسفاهة السفهاء، ولا ينحدرون إلى مجادلة الحمقى أو الانشغال بالمهاترات، وإذا واجههم الجاهلون ردوا بقول كريم: ﴿سَلَامًا﴾، لاعن ضعف، بل عن سمو وعلو نفس، وحفاظًا على أوقاتهم وجهودهم مما لا يليق بأصحاب العقول الراجحة والاهتمامات الرفيعة^(١)، حيث تدعو الآية إلى التواضع والبعد عن الغرور والتعالي، كما تؤكد على أهمية الحلم وكظم الغيظ عند التعامل مع الجهلاء والمسيئين، مما يعزز روح التسامح والسلم في المجتمع، وعندما يلتزم الإنسان بهذه القيم خاصة عند مواجهة الضغوط أو الاستفزاز، فإنه يحقق راحة نفسية، ويتجنب الكثير من المشكلات، مما يسهم في تقليل التوتر والصراعات، وهذا يساعده على العيش بطمأنينة، ويجعل الحياة أكثر سلامًا واستقرارًا، مما يعزز الأخلاق الحميدة، ويساهم في راحة الإنسان النفسية والاجتماعية ويخفف من النزاعات، ليحقق بذلك انفراجًا في حياته.

٤- قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾^(٢)، إن قول: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ قيل أي: معناه (لا تعرض بوجهك عن الناس تكبراً، ذكره ابن عباس، وأصل الصعر داء يأخذ الإبل في أعناقها أو رؤوسها حتى يلفت أعناقها فتشبه به الرجل المتكبر على الناس، ويجوز أن يكون تصعر وتصاعر بمعنى، كقولهم ضعف وضاعف، والمعنى ولا تتكبر، ولا تعرض عنهم تكبراً) ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ﴾

(١) ينظر: في ظلال القرآن : السيد بن قطب بن إبراهيم الشاذلي ، الناشر: دار الشروق ، بيروت ، القاهرة ، ط ١٧، ١٤١٢ هـ، (٥ / ٢٥٧٧ - ٢٥٧٨) .

(٢) سورة لقمان : آية ١٨ .

مَرَحاً ﴿ أَي: مشي مختال متكبر ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿، فالاختيال مشية البطر، قال مجاهد: المختال المتكبر، والفخر ذكر المناقب للتطاول بها على السامع (١)، وقال الخازن: (وَلَا تُصَعَّرْ وقرئ تصاعر حَدَّكَ لِلنَّاسِ قال ابن عباس لا تتكبر فتحقر الناس وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك و قيل هو الرجل يكون بينك وبينه محبة فيلثاك فتعرض عنه وقيل هو الذي إذا سلم عليه لوى عنقه تكبرا وقيل معناه لا تحتقر الفقراء فليكن الفقير والغني عندك سواء وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً أَي خيلاء إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فِي مَشْيِهِ فَخُورٍ أَي على الناس (٢) ويتبين أن الآية تحمل رسالة واضحة في تهذيب الاخلاق، وهي من نصائح لقمان الحكيم لابنه وتؤكد على التواضع واللين في التعامل مع الناس، وهي من القيم والسلوك حيث يعد التواضع من علامات العارفين بالله سبحانه وتعالى، وتحت الآية على التواضع وتنتهي عن التكبر، لأن التكبر يسبب الضيق والانغلاق، بينما التواضع يجلب الانفراج في كل شيء، فالتواضع يجد راحة في قلبه، ومحبة بين الناس، وتيسيراً في أمورهِ، وقرباً من الله سبحانه وتعالى وكلما تخطى الإنسان عن الغرور وسار بتواضع، انفتحت له أبواب الخير وانفجرت أحواله.

٥- قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٣)، إن قوله تعالى ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ ﴾ قيل يعني : الجنة ﴿ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ ﴾ وانما قبح طلب العلو في الأرض، لأنه ركون إليها، وترك لطلب العلو في الآخرة، ومعاملة لها بخلاف ما أَرَادَهُ اللهُ سبحانه وتعالى بها من أن تكون دار ارتحال لا دار مقام فيها ﴿ وَلَا فَسَادًا ﴾ أَي: ولا يريدون فساداً في الأرض بفعل المعاصي ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ اخبار منه تعالى بأن العاقبة الجميلة من الثواب للذين يتقون معاصي الله سبحانه وتعالى ويفعلون طاعاته، ﴿ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ ﴾ معناه: تكبراً عن الحق (٤)، وقوله: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ ﴾ قيل أَي: الإشارة إليها بلفظ البعيد للدلالة على شرفها وبهائها وعلو مكانتها وهو الشاهد على أن المراد بها الدار الآخرة السعيدة ولذا فسروها بالجنة، وقوله: ﴿ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ أَي: نختصها بهم وإرادة العلو هو الاستعلاء والاستكبار على عباد الله سبحانه وتعالى وإرادة الفساد فيها ابتغاء معاصي الله سبحانه وتعالى فإن الله سبحانه وتعالى بنى شرائعه التي هي تكاليف للإنسان على مقتضيات فطرته وخلقته ولا تقتضي فطرته إلا ما يوافق النظام الأحسن الجاري في الحياة الإنسانية الأرضية فكل معصية

(١) التبيان في تفسير القرآن : أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠ هـ) ، (٨ / ٢٨٠) .

(٢) تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل : علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي (ت: ٧٤١ هـ) تح : محمد علي شاهين ، الناشر: دار للكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ (٣ / ٣٩٩) .

(٣) سورة القصص : آية ٨٣ .

(٤) التبيان في تفسير القرآن : أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٨ / ١٨٢) .

تقضي إلى فساد في الأرض بلا واسطة أو بواسطة، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾^(١)، ومن هنا ظهر أن إرادة العلو من مصاديق إرادة الفساد وإنما أفردت وخصت بالذكر اعتناء بأمرها، ومحصل المعنى: تلك الدار الآخرة السعيدة تخصها بالذين لا يريدون فسادا في الأرض بالعلو على عباد الله سبحانه وتعالى ولا بأي معصية أخرى، والآية عامة يخصها قوله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾^(٢)، وقوله: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ قيل أي: (العاقبة المحمودة الجميلة وهي الدار الآخرة السعيدة أو العاقبة السعيدة في الدنيا والآخرة لكن سياق الآيتين يؤيد الأول)^(٣)، ويتضح أن الآية تعكس وعدًا إلهيًا بالانفراج الحقيقي لمن تخلص من شهوة العلو والتسلط في الأرض، ومن نزعة الفساد والإفساد، فهي ترسم ملامح الإنسان الذي يستحق الدار الآخرة، ذلك الذي لم ينشبت بالمظاهر الدنيوية، ولم يسع وراء الهيمنة، بل عاش في تواضع وتقوى، وهذا بحد ذاته انفراج روحي، لأن الإنسان حين يتحرر من ثقل الأنا والطمع، يجد في قلبه سكينته، وفي حياته بساطة، وفي نهايته فوزًا أبدياً فالقرآن هنا لا يقدم فقط وعدًا بالآخرة، بل يمنح السالك في الدنيا طريقًا للخلاص من هموم التنافس والظلم، ويفتح أمامه باب السلام الداخلي، حيث العاقبة دائماً للمتقين.

ثالثاً : التفاخر لغةً واصطلاحاً :

١- **التفاخر لغةً :** (التَّعَاطُمُ ، وَالتَّفَخُّرُ : التَّعَاطُمُ وَالتَّكْبُرُ ، وَيُقَالُ : فَلَانٌ مُتَّفَخِّرٌ مُتَّفَجِّسٌ ، وَفَاخَرَهُ مُفَاخَرَةً وَفِخَارًا : عَارَضَهُ بِالْفَخْرِ فَفَخَرَهُ)^(٤)، وقيل : (فَخَرَ) (أَلْفَاءُ وَالْحَاءُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ ، وَهُوَ يُدْلُّ عَلَى عِظَمٍ وَقَدَمٍ مِنْ ذَلِكَ الْفَخْرُ وَيَقُولُونَ فِي الْعِبَارَةِ عَنِ الْفَخْرِ : هُوَ عَدُّ الْقَدِيمِ ، وَهُوَ الْفَخْرُ أَيْضًا وَالْفَخِيرُ : الَّذِي يُفَاخِرُكَ ، بِوِزْنِ الْخَصِيمِ ، وَالْفَخِيرُ : الْكَثِيرُ الْفَخْرِ ، وَالْفَاخِرُ : الشَّيْءُ الْجَيِّدُ . وَالتَّفَخُّرُ التَّعَاطُمُ)^(٥)

٢- **التفاخر اصطلاحاً :** هو المباهاة بالأنساب والأحساب، حيث يتباهى الأفراد أو الجماعات بمكانتهم الاجتماعية وأصولهم، بغرض إظهار التفوق على الآخرين^(٦)، ويذكر: هو إظهار المباهاة إظهار المباهاة والتعالي على الآخرين بالأحساب والأنساب أو الممتلكات والمكانة الاجتماعية،

(١) سورة الروم : آية ٤١ .

(٢) سورة النساء : آية ٣١ .

(٣) الميزان في تفسير القرآن : الطباطبائي (١٦ / ٨١) .

(٤) لسان العرب : ابن منظور (٥ / ٤٩) .

(٥) مقاييس اللغة : ابن فارس (٤ / ٤٨٠) .

(٦) ينظر: موسوعة الفقه الإسلامي المقارن : ناصر مكارم الشيرازي، إعداد وتنظيم مجموعة من الفضلاء، قم، قم، د. ب. ت، (٢ / ٤١٢) .

بقصد إظهار التفوق والتميز عليهم^(١) .

رابعاً : التفاخر في القرآن الكريم :

وردت العديد من الآيات التي تتحدث عن التفاخر بقسميه (المذموم والمحمود) وتحت المؤمنين على التحلي بهذه الصفة المحمودة والابتعاد عن الصفة المذمومة، ونذكر بعض هذه الآيات مع تفسيرها ، منها :

القسم الأول : التفاخر المذموم :

١- قوله تعالى : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾^(٢)، قال المعنى ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ ﴾ أي: (أنها بمنزلة اللعب والله للذين لابقاء لهما مهما طال وقتهما، ﴿ زِينَةٌ ﴾ يزين أهلها بها فتحلوا في أعينهم ﴿ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ ﴾ أي: يفاخر بعضهم بعضا بزخرفها ﴿ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ بحيث تجمعون منها ما يحل وما لا يحل وتقنون أعماركم في كنز المال ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ ﴾ أي: مثل مطر ﴿ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ﴾ أي: أعجب الزارعين ما ينبت فيها من ذلك المطر ﴿ ثُمَّ يَهِيجُ ﴾ أي: يبیس ﴿ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ﴾ لأنه قارب اليباس ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا مهشماً مكسراً قشّه ﴿ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ مخصوص بأعدائه سبحانه ﴿ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ﴾ لأهل طاعته ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ أي: أنها سبب غرور لمن اغترّ بها واشتغل بطلبها سرعان ما يفنى ويهلك^(٣)، ويتبين من الآية أن حقيقة الدنيا مجرد لعب ولهو وزينة وتفاخر وتكاثر، وهي تحذر من الاغترار بها، لأن نهايتها إما عذاب شديد أو مغفرة ورضوان، ووجه الانفراج الحقيقي فيها يأتي عند إدراك زوال الدنيا وعدم التعلق بها، فالهموم والمحن تصبح خفيفة حين يدرك الإنسان أنها مؤقتة، وأن ما عند الله سبحانه وتعالى خير وأبقى.

٢- قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾^(٤)، قيل: معنى قوله: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ ﴾ أي: يعذبون بها أصله

(١) ينظر: الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن : الصادقي الطهراني، محمد (٣٠ / ٤٣٠) .

(٢) سورة الحديد : آية ٢٠ .

(٣) إرشاد الأذهان الى تفسير القرآن : السيزواري النجفي، محمد بن حبيب الله (١ / ٥٤٥) .

(٤) سورة الاحقاف : آية ٢٠ .

يعرض النار عليهم ﴿ أَذْهَبْتُمْ ﴾ مقدر بالقول أي : يقال لهم أذهبتم ﴿ طَيِّبَاتِكُمْ ﴾ ولذا انذكم في حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا باستيفاء ما كتب لكم حظاً منها في الدنيا و﴿ اسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا ﴾ فما بقي لكم منها شيء ﴿ فَأَلْيَوْمَ ﴾ الفاء للسببية عطف على استمتعتم ﴿ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ ﴾ أي: العذاب الذي فيه ذل وهوان ﴿ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾ أي: بسبب الاستكبار الباطل والفسوق عن طاعة الله سبحانه وتعالى (١)، وتوضح الآية أن التفاخر على الحق يؤدي إلى العذاب في الآخرة، لأن التفاخر المذموم يمنع الإنسان من الانفتاح على الحق والاعتراف بالضعف أمام الله سبحانه وتعالى أما وجه الانفراج في الحياة فيأتي بتواضع القلب وقبول الهداية، حيث يتخلص الإنسان من عبودية غروره ويتوجه إلى الله سبحانه وتعالى بالتواضع والإيمان .

٣- قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴾ (٢)، قيل معناها: ﴿ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾ أي: (من جبهات القتال وسواها، حيث عشتم نصر الله سبحانه وتعالى، ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴾ فلما كثرتم فأعجبتمكم كثرتكم انكسرتم حيث انفلت عنكم صالح التوكل على الله سبحانه وتعالى ورجاء نصر الله سبحانه وتعالى ﴿ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا ﴾ حين تركتم ما يغنيكم من نصر الله ﴿ وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ ﴾ أرض المعركة أم وسواها ﴿ بِمَا رَحَبَتْ ﴾ رحبة كأرض الصراع والوقاع لمكان كثرتكم أم ككل الأرض، وضيقة بما ضيقكم إعجابكم وثقتكم بأنفسكم ﴿ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴾ فرارا عن عدوكم، وفي الأثر أن ﴿ مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾ هذه هي ثمانون موطناً (٣)، ويتبين من الآية أن النصر بيد الله سبحانه وتعالى وحده، وأن الغرور بالقوة أو بالكثرة يمكن أن يؤدي إلى الفشل، كما أن هذه الآية تعكس أهمية التوكل على الله سبحانه وتعالى في جميع الأحوال، وأن النصر ليس بالعدد أو العدة، بل بتوفيق الله تعالى ورعايته، ووجه الانفراج هنا يظهر في أن الله سبحانه وتعالى أرسل السكينة والطمأنينة على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى المؤمنين بعد تلك المحنة، وأرسل المدد السماوي لهم، وأعطاهم النصر في النهاية، ما يظهر أنه حتى في أصعب الأوقات، يمكن لله سبحانه وتعالى أن يخفف عن المؤمنين إذا ثبتوا .

(١) التفسير المظهري : محمد ثناء الله، المظهري (ت : ١٢٢٥ هـ)، تح : غلام نبي التونسي ، الناشر: مكتبة الرشدية ، الباكستان ، ط١، ١٤١٢ هـ ، (٨ / ٤٠٨) .

(٢) سورة التوبة : آية ٢٥ .

(٣) الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن : محمد، الصادقي الطهراني (ت : ١٤٣٢ هـ) الناشر: مشورات الثقافة الإسلامية ، قم ، ط٢، ١٤٠٧ هـ ، (٩ / ١٣) .

القسم الثاني : التفاخر المحمود :

١- قوله تعالى : ﴿ خَتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾^(١)، قيل: (الختام بمعنى ما يختم به أي إن الذي يختم به مسك بدلا من الطين ونحوه الذي يختم به في الدنيا، وقوله: ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ التنافس التغالب على الشيء ويفيد بحسب المقام معنى التسابق قال تعالى ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ ﴾^(٢)، وقال: ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾^(٣)، فيه ترغيب إلى ما وصف من الرحيق المختوم، ويمكن أن يقال: إن قوله: ﴿ وَفِي ذَلِكَ ﴾ معطوف على ظرف آخر محذوف متعلق بقوله: ﴿ فَلْيَتَنَافَسِ ﴾ يدل عليه المقام فإن الكلام في وصف نعيم الجنة فيفيد قوله ﴿ وَفِي ذَلِكَ ﴾ ترغيبا مؤكدا بتخصيص الحكم بعد التعميم، والمعنى فليتنافس المتنافسون في نعيم الجنة عامة وفي الرحيق المختوم الذي يسقونه خاصة فهو كقولنا: أكرم المؤمنين و الصالحين منهم خاصة، ولا تكن عيابا وللعلماء خاصة^(٤)، وتدعو الآية المؤمنين إلى التنافس في العمل الصالح لنيل هذا النعيم العظيم، وهو نوع من الحث على الاجتهاد في الطاعات والبعد عن المعاصي، وهذه الآية تفتح أمام المؤمن باب الثقة بأن الجزاء عند الله سبحانه وتعالى أكمل وأجمل مما يمكن أن يتصوره، وهذا يمنح النفس يقيناً يزيل عنها التوجس والاضطراب، ويفتح أمامها آفاق الرجاء الصافي، فتجد في ذلك انفراجاً يزيل كدر الدنيا، وبهذا، تكون الآية نافذة تنفس منها الروح عقب الطمأنينة، وتحرر من الضيق إلى السعة، ومن الشقاء إلى الوعد الحق.

٢- قوله تعالى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾^(٥)، قال معناها ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ ﴾ قيل والفضل هنا : (بمعنى الإفضال ويكون معنى الآية على هذا يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهو القرآن بإفضال الله عليكم ورحمته بكم وإرادته الخير لكم ثم قال سبحانه وتعالى : ﴿ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ أشار بذلك إلى القرآن لأن المراد بالموعظة والشفاء القرآن فترك اللفظ وأشار إلى المعنى وقيل : فبذلك فليفرحوا إشارة إلى معنى الفضل والرحمة والمعنى فبذلك التطول والإنعام والفرح: لذة في القلب

(١) سورة المطففين : آية ٢٦ .

(٢) سورة الحديد : آية ٢١ .

(٣) سورة المائدة : آية ٤٨ .

(٤) الميزان في تفسير القرآن : الطباطبائي (٢٠ / ٢٣٨) .

(٥) سورة يونس : ٥٨ .

بإدراك المحبوب والمشتهى، يقال: فرحت بكذا إذا أدركت المأمول ولذلك أكثر ما يستعمل الفرح في اللذات البدنية الدنيوية واستعمل هنا فيما يرغب فيه من الخيرات ومعنى الآية ليفرح المؤمنون بفضل الله سبحانه وتعالى ورحمته أي ما آتاهم الله سبحانه وتعالى من المواعظ وشفاء الصدور وثلج اليقين بالإيمان وسكون النفس إليه ﴿ هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ يعني من متاع الدنيا ولذاتها الفانية هذا مذهب أهل المعاني في هذه الآية^(١)، الآية تبين أن الفرح الحقيقي لا يكمن في جمع متاع الدنيا، بل في فضل الله سبحانه وتعالى ورحمته، أي في الهداية والإيمان وما يمنّ به الله سبحانه وتعالى على عباده من خير دائم، فهي تنقل الإنسان من الانشغال بالماديات الزائلة إلى التعلق بالمعاني الأسمى التي تمنح القلب سكينة وطمأنينة، ومن هنا، يظهر وجه الانفراج في هذه الآية، إذ إنها تحرر النفس من ثقل الهموم الدنيوية، وتبعث الأمل بأن ما عند الله خير وأبقى فتستبدل القلق والضيق بفرح قائم على اليقين برحمة الله سبحانه وتعالى وفضله، وهو الفرح الذي لا يخبو ولا ينقص .

^(١) لباب التأويل في معاني التنزيل : علاء الدين ، علي بن محمد، البغدادي (ت : ٧٣٠ هـ) تح : محمد علي شاهين ، الناشر: دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٤١٥هـ ، (٢ / ٤٤٨) .

المطلب الثاني : القسوة والرحمة :

أولاً : القسوة لغة : قال ابن سيده المرسى (ت : ٤٥٨ هـ) : (الْقَافُ وَالسَّيْنُ وَالْوَاوُ ، قَسَا الْقَلْبُ يَقْسُو قَسْوَةً ، اَشْتَدَّ وَقَسَا فَهُوَ قَاسٍ)^(١) ، وقال ابن منظور (القساء مصدر قسا القلب يقسو قساء والقسوة الصلابة في كل شيء وقسا قلبه قسوة وقساوة وقساء بالفتح والمد وهو غلظ القلب وشدته وأقساه الذنب ويقال الذنب مقسأة للقلب)^(٢) .

ثانياً : القسوة اصطلاحاً : (وَهِيَ النَّبُوُّ عَنْ سَمَاعِ الْحَقِّ ، وَالْمَيْلُ إِلَى مُخَالَفَةِ الْخَلْقِ وَقِلَّةُ الْخَشْيَةِ وَعَدَمُ الْخُشُوعِ وَالْبُكَاءِ ، وَكَثْرَةُ الْعَفْلَةِ عَنْ دَارِ الْبَقَاءِ)^(٣) ، وقال الراغب الاصفهاني : (الْقَسْوَةُ : غلظ القلب)^(٤) ، كما قال تعالى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ ... ﴾^(٥)

القسوة في القرآن :

القسوة هي صفة تتعلق بالغلظة وعدم الرحمة في التعامل مع الآخرين، سواء في القول أو الفعل وفي القرآن الكريم، تُعتبر القسوة من الصفات السلبية التي تعكس غياب التعاطف والإنسانية، وهي تُقابل باللين والرحمة التي حثَّ عليها الإسلام، تُظهر الآيات القرآنية أن القلوب القاسية تكون بعيدة كل البعد عن التوبة والإيمان، وهناك آيات كثيرة تتحدث عن القسوة، بحيث تبين حقيقة هذا الذنب الذي حجب العبد عن مولاه منها:

- ١- قوله تعالى : ﴿ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(٦) .
- ٢- قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾^(٧) .
- ٣- قوله تعالى : ﴿ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾^(٨) .
- ٤- قوله تعالى : ﴿ فَمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾^(٩) .

(١) المحكم والمحيط الأعظم : أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى (ت : ٤٥٨ هـ) تح : عبد الحميد هنداوي ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ ، (٦ / ٥٢٠) .

(٢) لسان العرب : ابن منظور، (١٥ / ١٨١) .

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح : علي بن سلطان محمد ، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، (ت ١٠١٤ هـ) ، الناشر: دار الفكر، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ ، (٤ / ١٥٥٦) .

(٤) المفردات في غريب القرآن : الراغب الأصفهاني (١ / ٦٧١) .

(٥) سورة البقرة : آية ٧٤ .

(٦) سورة الانعام : آية ٤٣ .

(٧) سورة البقرة : آية ٧٤ .

(٨) سورة الحديد : آية ١٦ .

(٩) سورة المائدة : آية ١٣ .

٥- قوله تعالى : ﴿ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾^(١) .

٦- قوله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾^(٢) .

قد روى الشيخ الطوسي (قدس سره) في أماليه بإسناده إلى سعد بن زياد العبدي، قال: حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ)، قَالَ: فِي حِكْمَةِ آلِ دَاوُدَ: (يَا ابْنَ آدَمَ، كَيْفَ تَتَكَلَّمُ بِالْهُدَى وَأَنْتَ لَا تُفِيقُ عَنِ الرَّدَى يَا ابْنَ آدَمَ، أَصْبَحَ قَلْبُكَ قَاسِيًا وَأَنْتَ لِعَظْمَةِ اللَّهِ نَاسِيًا، فَلَوْ كُنْتَ بِاللَّهِ عَالِمًا، وَبِعَظْمَتِهِ عَارِفًا، لَمْ تَزَلْ مِنْهُ خَائِفًا، وَلَوْ عَدَّهُ رَاجِيًا، وَيَحْكَ كَيْفَ لَا تَذْكُرُ لِحَدِّكَ، وَأَنْفِرَ أَدَاكَ فِيهِ وَحَدِّكَ)^(٣)، إِنَّ الكَلَامَ عَنِ قَسْوَةِ القَلْبِ وَمَا تَوَجَّهَ مِنْ نَتَائِجِ وَمَا تَرْتَكِزُ عَلَيْهِ مِنْ أَسْبَابٍ وَدَوَاعِي هُوَ كَلَامٌ مَهْمٌ لِلغَايَةِ، لِمَا لِهَذِهِ الحَالَةِ الَّتِي تَصِيبُ الْإِنْسَانَ مِنْ أَثَرِ سَلْبِيٍّ فِي التَّعَامُلِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِنِ المرَادُ بِقَسْوَةِ القَلْبِ صَلَابَتَهُ وَعَدَمَ رِقَّتِهِ وَخَشُوعِهِ أَمَامَ اللَّهِ تَعَالَى، وَقَالَ الطَّبَاطِبَائِيُّ : (القَسِيٌّ مِنَ القُلُوبِ مَا لَا يَخْشَعُ لِحَقِّ وَلَا يَتَأَثَّرُ بِرَحْمَةِ)^(٤)، وَلَا شَكَّ أَنَّ هُنَاكَ هُنَاكَ ارْتِبَاطًا وَثِيقًا بَيْنَ قَسْوَةِ القَلْبِ وَبَيْنَ البُعدِ عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَالعَفْلَةَ وَعَدَمَ الِاتِّفَاتِ إِلَى عَظَمَتِهِ تَعَالَى، لِذَا لَا بَدَّ مِنَ الإِشَارَةِ إِلَى الأَسْبَابِ الَّتِي تَوَجَّبُ خَطُورَةَ هَذَا المَرَضِ، الَّذِي إِذَا ابْتَلَى بِهِ العَبْدَ حَصَلَ عَلَى نَتَائِجِ سَلْبِيَّةٍ أَقْلَاهَا الطَّرْدُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إِلَّا أَنَّ الكَلَامَ فِي هَذِهِ المَوْعِظَةِ فِعْلًا عَنِ الأَسْبَابِ الَّتِي تَقُودُ إِلَى هَذِهِ الخِصْلَةِ المَهْلَكَةِ.

أسباب قسوة القلب :

تكشف الآيات القرآنية والروايات الواردة عن أئمة الهدى (صلوات الله عليهم) عن عدد من الأسباب المؤدية لحصول هذه القسوة لدى الإنسان، يمكن أن نلخص أهمها فيما يلي :

١- نقض العهد والميثاق :

ان نقض العهد والميثاق يعد من السلوكيات الغير مرغوب بها والمذمومة التي تتنافى مع القيم الأخلاقية والدينية والعقدية، ويؤدي ذلك الى زعزعة الثقة بين الافراد والمجتمعات، ويشير نقض الميثاق الى مخالفة العهود المهمة التي تختص بالالتزامات الأخلاقية أو العقائدية والدينية، حيث ورد في قوله تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقُضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾^(٥)، فقد لعنا اليهود وأبعدناهم عن رحمتنا وعذبناهم بالمسخ وغيره، بسبب نقضهم، إخلافهم لميثاقهم، أي

(١) سورة الحج : آية ٥٣ .

(٢) سورة الزمر : آية ٢٢ .

(٣) الأمالي : محمد بن الحسن ، الطوسي (ت : ٤٦٠ هـ) تح : مصحح مؤسسة البعثة ، النشر : دار الثقافة ، قم ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ ، (٢٠٣ / ١) .

(٤) الميزان في تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائي ، النشر : منشورات اسماعيليان ، المطبعة : اسماعيليان ، د . ط . د . ت ، (٢٤٠ / ٥) .

(٥) سورة المائدة : آية ١٣ .

عهدهم وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً فَلَمْ ندخل فيها من رحمتنا شيء لتلين، ومنعنا عنها أطافنا فقتت وتحجرت، بحيث صاروا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ أي يزورون الأحكام ويغيرون الأوامر والنواهي وما يجيء من عند الله تعالى، وهذه الجملة بيان لقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ أي: أنهم يتجرءون على التغيير والتحريف، وهذا منتهى الذم لهم قاتلهم الله تعالى، لأنهم فعلوه وَنَسُوا حَظًّا أي تركوا نصيبا وافرا جزيلا مِمَّا دُكِّرُوا بِهِ^(١)، ويمكن القول ان سبب لعنهم وجعل قلوبهم قاسية هو نقضهم الميثاق وتخلفهم عما وعدوا الله سبحانه وتعالى به وهذا حكاية عن بني إسرائيل، ومن الواضح أنّ القرآن الكريم وصف في كثير من الآيات بني إسرائيل وكفرهم وقتلهم الأنبياء وإفسادهم في الأرض، ولا يزالون، وهذا الأمر لا يختصُّ ببني إسرائيل فقط، انما هو شاملٌ لجميع الناس ومنهم الَّذِينَ آمَنُوا، فَإِنَّ المؤمن له عهدٌ وموآثيق مع ربّه تبارك وتعالى ينبغي أن يحافظ عليها ولا ينقضها، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾^(٢)، وإن نقض العهد والميثاق هو عائق رئيسي أمام أي انفراج وبينما يعتبر الالتزام بهما جسراً آمناً للوصول الى الحلول والتفاهم وتحقيق السلام والإستقرار وهذا هو تعبير عن الأنفراج .

٢- التماذي في الدنيا والركون إليها :

التماذي في الدنيا والركون إليها يعني الانغماس الزائد في ملذاتها وزخارفها، مع نسيان الغاية الحقيقية من الحياة، فالدنيا دار عمل وابتلاء، وليست دار خلود وراحة، والانشغال المفرط بأمور الدنيا، مثل السعي وراء المال، والشهرة، والسلطة، قد يُلهي الإنسان عن طاعة الله وذكره، ويبعده عن هدفه الأسمى وهو تحقيق السعادة الأبدية في الآخرة، وقال الله تعالى: ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ ﴾^(٣)، فالدنيا زائلة، وزينتها مؤقتة، ومن الحكمة أن يتعامل الإنسان معها بوعي واتزان، فيأخذ منها ما يعينه على طاعة الله تعالى، دون أن يصبح عبداً لشهواته أو غافلاً عن مصيره المحتوم، ويعتبر التماذي وطول الأمل بالحياة الدنيا يعد من الأسباب الرئيسية في قسوة القلب، حيث جاء في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾^(٤)، ﴿ أَلَمْ يَأْنِ ﴾ ألم يصل الوقت الآن، ﴿ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ فتكون عندها قلوبهم مصدقة لما نطقوا ولفظوا بألسنتهم من الشهادتين ﴿ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ

(١) ينظر : الجديد في تفسير القرآن المجيد : محمد بن حبيب الله ، السبزواري النجفي (٢ / ٤٣٦) .

(٢) سورة الأنفال : آية ٢٧ .

(٣) سورة ال عمران : آية ١٨٥ .

(٤) سورة الحديد : آية ١٦ .

﴿ فيقبلوا قلبا كلما جاء به الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، ثم إذا أمنتهم أيها المنافقون قلبا وأنتم أيها المؤمنون ظاهرا وباطنا، اعلّموا إن من شرط الإيمان المنجي البقاء على الإيمان وعدم الإنجرار والانحراف ﴾ وَلَا يَكُونُوا ﴿ أولئك المؤمنون ﴾ كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ ﴿ وهو كتاب موسى عليه السلام وغيره من الأنبياء ﴾ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمْدُ ﴿ الزمن ﴾ فَكَسَتْ قُلُوبَهُمْ ﴿ لم تكن لها شفافية ولين قلوب المعاصرين للأنبياء، في عصر الرسالة، حيث كانوا يخضعون لأوامر الله سبحانه، لما لهم من لين وطهارة وشفافية ﴾ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿ أي: خرجوا عن الطاعة، فالباقي منهم قسى قلبه، وغير الباقي خرج عن الطريق^(١)، وقال الامام علي (عليه السلام): (لَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمْ الْأَمْدُ فَتَفْسُوا قُلُوبَكُمْ)^(٢)، ومن الطبيعي أنّ الإنسان عندما يطول أمله في هذه الدنيا ويطمئن بها وبالحياة فيها، فسوف ينسى شيئا فشيئا مرحلة انتقاله عنها وتركه لها، وبالتالي لن يعمل لتلك المرحلة ولن يتفاعل مع أي شيء يمكن أن ينقل قلبه إليها، وذلك لأنّه تمسك بهذا العالم وعمل له وجعل أمله منحصراً فيه دون سواه ، وورد عن الامام علي (عليه السلام) : (مَنْ يَأْمُلُ أَنْ يَعِيشَ غَدًا فَإِنَّهُ يَأْمُلُ أَنْ يَعِيشَ أَبَدًا وَمَنْ يَأْمُلُ أَنْ يَعِيشَ أَبَدًا يَفْسُقُ قَلْبُهُ وَيَرْغَبُ فِي الدُّنْيَا وَيَزْهَدُ فِي الَّذِي وَعَدَهُ رَبُّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى)^(٣)، فإنّ كلّ ما يمكن أن يقلل من توجه الإنسان إلى الدنيا ويذكره بالآخرة فهو يلبّين، ونشير الرواية النبوية: (إِنَّ اللَّهَ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ أَلَا فَتَرَصَّدُوا لَهَا)^(٤)، وهي تعطي للإنسان أملاً مهما قسا قلبه، فإنّ الله تعالى يمكن أن يمنحه أموراً في بعض الأحيان تلبّين له هذا القلب القاسي، فإن استجاب لها نجا والإعاد إلى ما كان عليه من القسوة والبعد عن الله، وهذا ما تشير إليه الرواية النبوية .

٣- الانغماس في الذنوب أو تفاقم الذنوب :

الانغماس في الذنوب هو استسلام الإنسان لشهواته وملذاته دون وازع من ضمير أو خوف من الله سبحانه وتعالى، مما يجعله غافلاً عن العواقب الروحية والنفسية المترتبة على ذلك فالذنوب، مهما بدت صغيرة أو كبيرة، تُضعف صلة العبد بربه وتغلق أبواب التوفيق والسعادة في حياته، كما أن الاستمرار في ارتكاب المعاصي يُفسّي القلب ويبعد الإنسان عن التوبة والرجوع إلى الله تعالى، كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ

(١) ينظر : تقريب القرآن الى الأذهان : السيد محمد، الحسيني الشيرازي (٣٣٤ / ٥) .

(٢) الخصال : أبي جعفر مُحَمَّد بن عَلِي بن الحسين بن بابوية القمي ، الشَّيْخ الصَّدُوق (ت : ٣٨١ هـ) تح : علي أكبر غفاري ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلميّة ، قم ، ط ١ ، ١٣٦٢ هـ ، (٦٢٢ / ٢) .

(٣) مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل : المحدث النوري ، الميرزا حسين ، نشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ ، (١٠٦ / ٢) .

(٤) عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية : ابن أبي جمهور الإحسائي، محمد بن علي، تح : مجتبي العراقي ، مطبعة سيد الشهداء، قم، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ (٢٩٦ / ١) .

كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً^(١)، قيل: ويتصاعد الأسلوب القرآني في تصوير المدى الذي بلغته القسوة التي تطبع شخصيتهم بطابعها، فلا يجد في الحجارة مثلاً صالحاً لإعطاء الصورة الصارخة، بعد أن بدأ الموضوع من هذا الجانب، لأن التشبيه يفرض أن يكون وجه الشبه في المشبه به أقوى من المشبه، مما يعطي التشبيه دوراً في إيضاح، فإن قلوبهم أقسى من الحجارة^(٢)، فقد ورد عن الإمام علي (عليه السلام) قال: (ما جفت الدموع إلا لقسوة القلوب، وما قست القلوب إلا لكثرة الذنوب)^(٣)، وأيضاً ورد عن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) (ترك العبادة يقسي القلب، ترك الذكر يميت النفس)^(٤)، ومن الواضح أن ترك العبادة تعتبر من المعاصي، إذ كل ترك للواجب حرام ويعد معصية، وكذا ينبغي أن يكون الحال في سائر المعاصي والمحرمات الأخرى .

٤- كثرة اللغو والإعراض عن ذكر الله :

فقد نهى عن الإغراق في اللغو، أي الكلام الذي لا فائدة منه ولا يُفضي إلى صلاح أو هداية كما جاء التحذير أيضاً من الإعراض عن ذكر الله تعالى بسبب الانشغال بالكلام الفارغ، فقد ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (لا تكثرُوا الكلامَ بغيرِ ذكرِ الله، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة على القلب، إن أبعد الناس من الله القلب القاسي)^(٥)، وقال الله تعالى ﴿ قَوْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾^(٦)، قيل المعنى: مما يدل يدل على أن القاسية القلوب وقساوة القلب وصلابته لازمة هو عدم شرح الصدر وعدم دخول النور في قلبه، ولا يتذكرون بآيات الله سبحانه وتعالى فلا يهتدون إلى ما تدل عليه من الحق، ولذا عقبه بقوله: ﴿ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ ، وتعريف الضلال يلزمه وهو قساوة القلب من ذكر الله سبحانه وتعالى^(٧)، وتبين أن الإعراض عن ذكر الله تعالى وعدم التأمل في آياته هو سبب في غفلة القلب وضياع البركة في الحياة، ويمكن القول أن الحديث عن كثرة الكلام له مدى، ولكن نقصر النظر على هذه الخصوصية التي يُقسي فيها قلب الإنسان ويبعده عن الله سبحانه وتعالى فإن الكلام إذا دار في أي شيء وحول أي أمر، فإما أن يكون باطلاً فهذا بنفسه مبعود عن الله سبحانه وتعالى ومقسٍ للقلب، وإما أن يكون لغواً لا فائدة فيه ولا طائل منه، فيكون

(١) سورة البقرة: آية ٧٤ .

(٢) تفسير من وحي القرآن: السيد محمد حسين، فضل الله (ت: ١٤٣١هـ) (٢ / ٩٣ - ٩٤) .

(٣) وسائل الشيعة: محمد بن الحسن الحرّ العاملي (ت: ١١٠٤هـ) تح: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، (١٦ / ٤٥) .

(٤) ميزان الحكمة: الري شهري، (٣ / ٢٦١٢) .

(٥) وسائل الشيعة: الحر العاملي (٨ / ٥٣٦) .

(٦) سورة الزمر: آية ٢٢ .

(٧) الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين، الطباطبائي (١٧ / ٢٥٥) .

شاغلاً للإنسان عن الله وعن ذكره عز وجل، وإما أن يكون حقاً وفي محله فهذا هو الذي يكون ذكراً ولا يتنافى مع رقة القلب، لذا فقد استثناه النبي في الرواية الأنفة الذكر بقوله (بغير ذكر الله سبحانه)

٥- الكسب المحرم :

الكسب المحرم هو المال الذي يحصل عليه الإنسان بطرق تخالف الشريعة الإسلامية كالغش، والربا، والسرقة، والرشوة، أو الاستيلاء على حقوق الآخرين بغير وجه حق ومشروع وقد حذرت الشريعة كل الحذر من الكسب المحرم لما له من أثر سلبي على الفرد والمجتمع فهو يُفسد الأخلاق، ويؤدي إلى الظلم، ويُبعد الإنسان عن رضا الله سبحانه وتعالى وقال الله في كتابه الكريم : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾^(١)، قيل أي : (لا تأكلوها بالظلم والغصب، والحلف بالأيمان الكاذبة)^(٢)، إذا أكل المال الحرام له عواقب وخيمة وأثار كبيرة لاتحمد عقباها، والتي تبقى الانسان رهنا مدى حياته والى يوم القيامة ومما لها من أثار أخروية التي لايطبق الإنسان سماعها فضلا عن تحملها، كما ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم عن أكل مال الأيتام وهي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾^(٣)، قيل أي : (أن من يأكل أموال اليتامى كلاً أو بعضاً وليا كان أو غيره بغير سبب شرعي مسوّغ إنما يأكلون في بُطُونِهِمْ نَارًا أي أنهم يأكلون في بطونهم شيئاً يجرّهم إلى النار في بُطُونِهِمْ نَارًا أي أنهم يأكلون في بطونهم شيئاً يجرّهم إلى النار، وَ سَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا أي سيدخلون النار المسعرة وهي المحماة إلى أقصى الدرجات ليحترقوا فيها)^(٤)، ويتبين أن الكسب الحرام هو المال أو الرزق الذي يُحصل عليه بطرق غير مشروعة شرعاً أو قانوناً، وأي طريقة تعتمد على ظلم الآخرين أو تجاوز حقوقهم الكسب الحرام هو محرم في الإسلام لما فيه من ظلم وأكل حقوق الناس بغير حق، وقد حذر القرآن الكريم والسنة النبوية من التعامل به، وحث الإسلام على السعي للرزق الحلال، لأن المال الحلال يجلب البركة والراحة النفسية، بينما المال الحرام يسبب الفساد والضرر لصاحبه وللمجتمع، ويتضح لنا أن القسوة هي صفة تنشأ من الإبتعاد عن الله سبحانه وتعالى وغياب الرحمة واللين، وقد تكون ناتجة عن الإعراض عن ذكر الله تعالى وكثرة المعاصي، والتكبر، أو الإصرار على الخطأ وفي القرآن الكريم يتم تحذير الناس من القسوة، حيث تُعدُّ نتيجة لتراكم الذنوب والابتعاد عن التوبة، ويمكن أن تتجلى القسوة في القلوب

(١) سورة البقرة : آية ١٨٨ .

(٢) نهج البيان عن كشف معاني القرآن : محمد بن الحسن، الشيباني (ت : ١٨٩ هـ) تح: حسين دركاهي، مؤسسة دائرة المعارف الإسلامية، طهران ، ط ١، ١٤١٣ هـ ، (١ / ٢٥٩) .

(٣) سورة النساء : آية ١٠ .

(٤) إرشاد الإذهان الى تفسير القرآن : محمد بن حبيب الله ، السبزواري النجفي (١ / ٨٣) .

الفصل الثالث : مستويات الانفراج في القرآن الكريم

من خلال رفض الهداية، أو إغلاق الإذن عن الحق، أو التفاخر والتكبر على الآخرين، وكيف نستطيع التخلص من هذه القساوة ؟ ذلك من خلال العودة الى الله سبحانه وتعالى بتوبة صادقة تفتح المجال لتلين القلب وتخفيف القسوة، والإكثار من ذكر الله سبحانه وتعالى والتدبر في معاني القرآن الذي يساعد في تهذيب القلب ويحول القسوة الى رحمة وطمأنينة، وأن يكون التعامل مع الآخرين بلين ورفق والتركيز على كلام الله تعالى وسبل الهداية، وبكل ذلك يمكن أن تتحول القسوة الى فرصة للانفراج الروحي والتصالح مع النفس والآخرين مما يفتح لنا أبواب الرحمة والهدوء الداخلي .

ثانيا : الرحمة :

١- الرحمة لغة : قيل (الرَاءُ وَالْحَاءُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الرَّقَّةِ وَالْعَطْفِ وَالرَّأْفَةِ)^(١) وعرف أيضاً: وهي التي تحرك فيها الرأفة، والمغفرة، والعطف^(٢) .

٢- الرحمة اصطلاحاً : (الرحمة رقة في القلب يلامسها الألم حينما تدرك الحواس أو يتصور الفكر وجود الألم عند شخص آخر أو يلامسها السرور حينما تدرك الحواس أو يتصور الفكر وجود المسرة عند شخص آخر)^(٣)، وذكر أيضاً: هِيَ حَالَةٌ وَجْدَانِيَّةٌ تَكُونُ غَالِبًا لِمَنْ بِهِ رِقَّةُ الْقَلْبِ، وَتَكُونُ مَبْدَأً لِلانْعَاطِفِ النَفْسَانِيِّ الَّذِي هُوَ مَبْدَأُ الْإِحْسَانِ وَالرَّحْمَةِ^(٤)، وقيل: (هي التي تكون في القلوب، وتظهر آثارها على الجوارح واللسان، في السعي في إيصال البر والخير والمنافع الكثيرة إلى الناس، وإزالة الأضرار والمكاره عنهم)^(٥)، وقال الراغب الأصفهاني (ت : ٥٠٢ هـ) : (هي أن يتوب عليه أمن، الذنب وإن كان بعد تبيكيت وعقاب)^(٦)، وإن من سنن الله سبحانه وتعالى أنه جعل الرحمة فضلاً منه ومهداة لخلقه حيث أنه كتب على نفسه الرحمة وفرضها على عباده وأمر العباد أن يكونوا رحماء فيما بينهم وأن يجعلوا الرحمة نصب أعينهم بل من فرائضهم في العمل والممارسة وحث الله تعالى عباده بأن يكونوا رحماء مع بعضهم البعض وحتى مع المخلوقات الأخرى، وورد عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) أنه قال : (الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)^(٧)، وَعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ النَّارَ وَخَلَقَ الطَّاعَةَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْمَعْصِيَةَ وَخَلَقَ الرَّحْمَةَ قَبْلَ الْعُضْبِ وَخَلَقَ الْخَيْرَ قَبْلَ الشَّرِّ وَخَلَقَ الْأَرْضَ قَبْلَ السَّمَاءِ

(١) معجم مقاييس اللغة : ابن فارس (٢ / ٤٩٨) .

(٢) ينظر : القاموس المحيط : الفيروز آبادي ، (١ / ١١١)

(٣) موسوعة الأخلاق الإسلامية : مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net ، (١ / ٢٣٢) .

(٤) ينظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية : أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي ، أبو البقاء الحنفي (ت : ١٠٩٤ هـ)، تح : عدنان درويش - محمد المصري ، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت ، د . ط ، د . ت ، (١ / ٤٧١) .

(٥) بهجة قلوب الأبرار وقرّة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار : أبو عبد الله ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (ت : ١٣٧٦ هـ)، تح : عبد الكريم بن رسمي آل الدريني آل سعدي ، دار النشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٢ هـ، (١ / ١٨٩) .

(٦) تفسير الراغب الأصفهاني : الراغب الأصفهاني ، (٣ / ١٤١٠) .

(٧) مستدرک الوسائل : الشيخ حسين النوري الطبرسي ، المحدث النوري (ت : ١٣٢٠ هـ)، تح : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم ، ط مهر ، د . ت ، (١٢ / ٣٨٥) .

وَخَلَقَ الْحَيَاةَ قَبْلَ الْمَوْتِ وَخَلَقَ الشَّمْسَ قَبْلَ الْقَمَرِ وَخَلَقَ النُّورَ قَبْلَ الظُّلْمَةِ (١)، وعنه أيضا قال في قوله تعالى : ﴿.... وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ....﴾ (٢) قَالَ (الْمُخْتَصُّ بِالرَّحْمَةِ نَبِيُّ اللَّهِ وَوَصِيِّهِ وَعِزَّتُهُمَا إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ مِائَةَ رَحْمَةٍ فَنَسِعَ وَتَسْعُونَ رَحْمَةً عِنْدَهُ مَذْخُورَةٌ لِمُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَعِزَّتُهُمَا وَرَحْمَةٌ وَاحِدَةٌ مَبْسُوطَةٌ عَلَى سَائِرِ الْمَوْجُودِينَ) (٣)، لقد حري على كل مسلم أن يحرص بالتخلق السامي الذي إذا تمكَّن في القلب ظهرت آثاره على جوارح العبد، ويحرص على البر، وبذل الخير، والمنافع الكثيرة للناس، فلذلك فلا بد من أن يجتهد في تحصيل الأسباب التي تعينه وتساعد على الأتصاف والتخلق بهذا الخلق السامي وإن الله سبحانه وتعالى برحمته هدانا للإسلام والإيمان والعمل الصالح وبرحمته علمنا ما لم نكن نعلم ونجهل وبرحمته دفع عنا شر كل الأعداء كما قال تعالى في كتابة الكريم ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ (٤)، وبرحمته أنزل لنا الخير الكثير منها المطر وأنبت النبات وبرحمته يدخل كل عباده المؤمنين العاملين الخيرات والصالحات الجنة وبها ينجيهم من النار فكل الأشياء هي برحمة الله سبحانه وتعالى وهي كثيرة نذكر منها (٥) :

١- الإحسان في عبادة الله تعالى في إكمالها وإتقانها ومراقبة الله سبحانه فيها بأن تعبد الله سبحانه كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، والإحسان إلى الناس بما تستطيع بالقول والفعل والمال والجاه قال تعالى : ﴿... إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٦)، أي: أن عطفه ورأفته ولطفه وجزيل ثوابه قريب من مطيعي كل أوامره وهم الذين أحسنوا الى أنفسهم والى غيرهم فخلصت أفعالهم من الأساءة فكانت حسنة (٧) .

٢- تقوى الله تعالى وطاعته بفعل أوامره واجتناب نواهيه بما في ذلك إيتاء الزكاة إلى مستحقيها والإيمان بآيات الله واتباع رسوله فيما أمر به ونهى عنه قال تعالى : ﴿..... وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ

(١) الكافي : محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت : ٣٢٩ هـ) ، تح : المصحح : غفاري على أكبر وأخوندي ، محمد، الناشر: دار الكتب الإسلامية ، تهران ، ط ٤ ، ١٤٠٧ هـ ، (٨ / ١٤٥) .

(٢) سورة البقرة : آية ١٠٥ .

(٣) تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة : السيد علي الحسيني الإسترآبادي النجفي، (ت : ٩٤٠ هـ) (تح : ومصحح : استاد ولي ، حسين، نشر : مؤسسة النشر الإسلامي ، ايران ، قم ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ ، (١ / ٨١)

(٤) سورة الحج : آية ٣٨ .

(٥) ينظر: الهداية لأسباب السعادة : عبد الله بن جار الله بن إبراهيم الجار الله ، د . ط ، د . ت ، (٤٩ - ٥٢) .

(٦) سورة الأعراف : آية ٥٦ .

(٧) ينظر : الجديد في تفسير القرآن المجيد : السبزواري النجفي (٣ / ١٥٣) .

الأمِّيَّ ﴿^(١)﴾، أي : فما من مؤمن ولا كافر ولا مطيع ولا عاصٍ إلا وهو متقلب في نعم الله سبحانه وتعالى ورحمته الواسعة التي وسعت كل شيء، وإن الرحمة تكون بلا قيد ولا شرط فسأكتبها على الحتم والجزم في يوم القيامة للذين يتقون ويأتمرون بأوامر الله سبحانه وتعالى وينتهون بكل نهيه وهم الذين يتبعون الرسول الأمي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) وإن الأمية هي وصف خاص به وصفه الله تعالى بها من دون باقي الأنبياء وهو اشعار على اميته أخرج الناس من الظلمات الى النور^(٢) .

٣- الإيمان والهجرة والجهاد في سبيل الله قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(٣)، أي : أن الذين آمنوا والذين هاجروا بأنهم قطعوا ديارهم وكل أهليهم وأعزازهم وخلفوا وتركوا أموالهم كل ذلك من أجل أن يكونوا مع الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه واله وسلم) وأيضا جاهدوا وأوقعوا أنفسهم بالجهد والشدة والتعب الشديد ودخلوا بأفرادهم للمعركة والمقاتلة ذلك كله في سبيل الله سبحانه وتعالى لكسب مرضيه وتحقيقها وأولئك يرجون رحمت الله تعالى، وهم يأملونها في الدنيا والأخرة والله غفور يغفر لمن زل وأخطأ وهو رحيم بعبادة المؤمنين فلا ينقص أجورهم بينما قال يرجون ذلك لأن الإنسان دائما لا يدري ما يكون حاله في المستقبل وانه هل يبقى على الإيمان والإصلاح حتى يحقق الثواب أم يفتن في دينه حتى يحبط عمله^(٤)، وتبين الآية: أن هؤلاء المؤمنون المطيعين قد رجوا رحمة الله سبحانه وتعالى بعد أن قاموا بكل قواهم وعملوا موجبات الرحمة وهي الإيمان والهجرة والجهاد في سبيل الله تعالى، وإن الهجرة تشمل الابتعاد من بلد الشرك إلى بلد الإسلام وترك كل ما نهى الله تعالى عنه ورسوله الكريم (صلى الله عليه واله وسلم)، وبينما الجهاد يشمل جهاد النفس في طاعة الله سبحانه وتعالى، كما قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (إن أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه)^(٥)، ويشمل أيضا جهاد الشيطان بمخالفته والعزم على عصيانه وجهاد الكفار وجهاد المنافقين والعصاة وذلك بالترتيب تارة باليد ثم باللسان ثم بالقلب، ووجه الانفراج هو فتح باب الأمل للمؤمنين بالهجرة والجهاد، مقروناً بوعده الرحمة والمغفرة الإلهية .

(١) سورة الأعراف : آية (١٥٦-١٥٧)

(٢) ينظر : التفسير المبين : محمد جواد مغنبة، النشر : مؤسسة البعثة ، قم ، ط ٣ ، د . ت ، (١ / ٢١٧) .

(٣) سورة البقرة : آية ٢١٨ .

(٤) ينظر : تقريب القرآن الى الأذهان : السيد محمد ، الحسيني الشيرازي (ت : ١٤٢٢ هـ) ، النشر : دار العلوم ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٤ هـ ، (١ / ٢٤٤ - ٢٤٥) .

(٥) وسائل الشيعة : محمد بن الحسن الحرّ العاملي العلامة الشيخ حرّ العاملي ، تح : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم ، الناشر : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم ، المطبعة : ستاره ، د . ط ، د . ت ، (١٥ / ١٦٣) .

٤- إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كما قال تعالى ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾^(١)، أقيموا الصلاة، قيل أي (أقرأوا بها وأتموها، وأتوا الزكاة أي أقرأوا بها وأعطوها، وأطيعوا الرسول ذلك بما يأمركم به من التوحيد والطاعة له ذلك لعلكم ترحمون فلا تعذبون)^(٢)، وقال الناصري (ت : ١٤٤١ هـ) (أمر الله سبحانه وتعالى بإقامة أمر الدين ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ أي قوموا بأدائها وإتمامها في أوقاتها، وأدوا الزكاة المفروضة، ﴿ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ أي : لترحموا جزاء على ذلك وتثابوا بالنعمة الجزيلة)^(٣) .

٥- دعاء الله سبحانه وتعالى بحصولها باسمه وهو الرحمن الرحيم أو غيره من أسمائه الحسنی قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾^(٤)، رَحْمَةً من عندك، قال أي (رحمة مختصة بأنها من خزائن رحمتك، وهي المغفرة في الآخرة والأمن من الأعداء والرزق في الدنيا ﴿ وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ أي : أصلح لنا، من قولك هيأت الأمر فتهيأ والمراد بأمرهم الأمر الذي هم عليه وهو مفارقتهم للكفار، والرشد نقيض الضلال)^(٥)، وأيضا في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾^(٦)، فقد أخبر الله سبحانه وتعالى أن له الأسماء الحسنی لحسن معانيها وهي الجواد والرحيم و الرازق والكريم وإن جميع أسمائه داخلة فيه وإنها جميعها حسنة وتتضمن معان حسنة فمنها ما يرجع إلى صفات ذاته، وهي العالم والقادر والحي والآلة والقديم والسميع والبصير ومنها ما يرجع إلى صفات فعله وهي الخالق والرازق والمبدع والمحيي والمميت، ومنها ما يفيد التنزيه ونفي صفات النقص عنه، وهي الغني والواحد والقدوس ونحو ذلك، ومعنى آخر إن المراد بالحسنی ما مالت إليه النفوس من ذكر العفو والرحمة دون السخط والنقمة ﴿ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾، أي بهذه الأسماء الحسنی ودعاؤه بها أن يقال يا الله يا رحمن يا رحيم يا خالق السموات والأرض وكل اسم لله سبحانه وتعالى فهو صفة مفيدة لأن اللقب لا يجوز عليه فإنه بمنزلة الإشارة إلى الحاضر^(٧)، فيسأل لكل مطلوب

(١) سورة النور : آية ٥٦ .

(٢) بحر العلوم : نصر بن محمد بن أحمد ، السمرقندي (ت : ٣٧٥ هـ) تح : أبو سعيد عمر بن غلام محسن عمروي ، النشر دار الفكر، بيروت ، ط ١، د . ت ، (٥٢٢ / ٢) .

(٣) مختصر مجمع البيان : محمد باقر الناصري (٤١٦ / ٢) .

(٤) سورة الكهف : آية ١٠ .

(٥) فتح القدير : محمد بن علي بن محمد بن عبدالله ، الشوكاني (ت : ١٢٥٠ هـ) الناشر : دار ابن كثير، دار الكلم الطيب ، دمشق ، بيروت ، ط ١، ١٤١٤ هـ ، (٣٢٣ / ٣) .

(٦) سورة الأعراف : آية ١٨٠ .

(٧) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن : أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت : ٥٤٨ هـ) .

بالاسم المقتضي لذلك المطلوب المناسب لحصوله، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾^(١)، قال تعالى : ﴿ وَقُلْ رَبِّ اغْوِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾^(٢)، فقد أمر تعالى بالدعاء وتكفل بالإجابة وهو سبحانه لا يخلف الميعاد، ويتضح لنا عند دعاء الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنی، الكثير من المعاني العميقة التي تحمل في طياتها رحمة الله وفضله، وإن أسماء الله الحسنی تعكس صفاته الكاملة والجميلة، مثل الرحيم، الملك، القدوس، الرزاق، السميع، البصير وغيرها من الأسماء التي تدل على عظمة الله تعالى وكماله من خلال دعائنا بأسمائه الحسنی نستنتج أن الله تعالى هو المجيب الذي يستجيب لدعواتنا، وهو الرحيم الذي يغفر لنا ويخفف عنا وهو القادر على تغيير واقعنا ومنحنا الفرج والطمأنينة، كما أن الدعاء بتلك الأسماء يمنحنا شعورًا بالقوة والتوكل على الله تعالى، مما يؤدي إلى شعورنا بالراحة النفسية والاطمئنان خاصة في الأوقات الصعبة، وبالإضافة إلى ذلك، فإن دعائنا بأسمائه الحسنی يعد نوعًا من العبادة والطاعة، وهو ما يقربنا إلى الله تعالى ويزيد من محبته لنا، مما يفتح لنا أبواب الفرج والتيسير في حياتنا.

٦- اتباع القرآن الكريم والعمل به قال تعالى : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾^(٣)، وقوله : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ ﴾، يعني القرآن، وقوله تعالى ﴿ أَنْزَلْنَاهُ ﴾ الى محمد (صلى الله عليه واله وسلم) بواسطة جبرئيل (عليه السلام)، وقوله تعالى ﴿ مُبَارَكٌ ﴾ كثير النفع ﴿ فَاتَّبِعُوهُ ﴾ اعتقدوا بصحته واعملوا به وتطبيق كل ما يريد منا، وقوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا ﴾ مخالفته، وقوله تعالى: ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ لكي ترحموا باتباعه^(٤)، ويتبين أن القرآن الكريم هو الكتاب المقدس في الإسلام، ويعد مرشدًا هاديًا للمسلمين في جميع شؤون حياتهم، عندما يتبع المسلمون القرآن الكريم ويعملون بتوجيهاته، فإنهم يحققون العديد من المنافع الروحية والدينية التي تساهم في راحتهم النفسية والانفراج الداخلي، وبالتالي يعد اتباع القرآن الكريم بمثابة طريق الى الانفراج والراحة النفسية، حيث يعزز من الاتصال بالله ويجلب السكينة للقلب .

٧- طاعة الله ورسوله قال تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾^(٥)، قيل معناه: (أن أنقاء النار المعدة للكافرين أصالة ولسائر العصاين تبعا كيف يمكن أن يتم، ذلك بإطاعة الله تعالى، فيما أمر به، والرسول فيما جاء به من عند ربه من الشرع، فإذا أطعتموهما وعملتما بما

(١) سورة غافر : آية ٦٠ .

(٢) سورة المؤمنون : آية ١١٨ .

(٣) سورة الأنعام : آية ١٥٥ .

(٤) ينظر : الجواهر الثمين في تفسير الكتاب المبين : السيد عبدالله بن حسن شير (ت : ١٣٥٣ هـ) ، تح : السيد

السيد محمد بحر العلوم ، النشر : مكتبة الألفين ، الكويت ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ ، (٢ / ٣٣٦) .

(٥) سورة آل عمران : آية ١٣٢ .

أمرا به وانتهيتم عما نهيا عنه، فإنكم تصيرون موردا لرحمته سبحانه ولا تمسكم النار، بل تكونون من الناجين منها لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ بذلك و تفوزون بمرضاة الله تبارك وتعالى^(١) .

٨- الاستماع والانصات لتلاوة القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٢) ، قيل أي : (لا بد من لزوم الاستماع للقرآن الكريم والإنصاف له والمتحقق من وجوب الاستماع والإنصات للقرآن هو ما يكون منه في الصلاة الجهرية إذا أقيمت جماعة وفيما سوى ذلك فهو مستحب وطبعه ليس المنظور من الإلزام بالاستماع والإنصات الآ تفهم مطالب القرآن وتدبرها لعلّ التفاتة ناجعة تسوق العبد الى ما فيه صلاح نفسه ومجتمعه^(٣)) ويتضح أن الاستماع والإنصات لتلاوة القرآن الكريم يُعتبران من أرقى أشكال التواصل الروحي والتأملي، حيث يترتب عليهما انعكاسات إيجابية على النفس والروح، يمكن ربط هذا الموضوع بمفهوم الانفراج من خلال التواصل مع الله سبحانه وتعالى لأن القرآن هو كلام الله المُنزَّل والاستماع إليه بإنصات يعزز الشعور بالقرب من الله سبحانه وتعالى، مما يفتح أبواب الأمل والانفراج في الأوقات العصيبة، إذ يُعدّ الاستماع والانصات الى تلاوة القرآن أداة قوية لتحقيق الانفراج النفسي والروحي، وهو ما يعزز الراحة والسلام الداخلي .

٩- الاستغفار وطلب المغفرة من الله تعالى : ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٤) ، أي: قيل (لولا تطلبون مغفرته وعفوه عما فعلتم لعلمكم ترحمون منه)^(٥) ، ونستنتج أنّ الاستغفار ليس مجرد طلب للمغفرة من الذنوب، بل هو وسيلة شاملة لتحقيق الرزق، والفرج من الضيق، ودفع البلاء، وأنّ الاستغفار يظهر افتقار العبد الى الله سبحانه وتعالى، واستسلامه لأمره، مما يستجلب الرحمة الإلهية والفرج من كل كرب، ونستنتج بشكل نهائي بأن الرحمة ليست مجرد مشاعر أو أفعال عابرة، بل هي وسيلة لتحقيق حالة الانفراج على المستوى الفردي والجماعي .

(١) الجديد في تفسير القرآن المجيد : محمد بن حبيب الله، السبزواري (ت : ١٤٠٩ هـ) ، (٢ / ١٤٣ - ١٤٤) .

(٢) سورة الأعراف : آية ٢٠٤ .

(٣) التفسير لكتاب اله المنير : محمد بن محمد طه الكرسي الخفاجي الحويزي (ت : ١٤٢٣ هـ) ، الناشر: المطبعة العلمية ، ط ١ ، ١٤٠٢ هـ ، (٣ / ٣٨٧) .

(٤) سورة النمل : آية ٤٦ .

(٥) تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة : محمد بن محمد رضا بن محمد هادي الكنابادي ، (ت : ١٢٧٧ هـ) النشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٨ هـ ، (٣ / ١٧٥) .

أنواع الرحمة في حق العبد :

الرحمة في حق العبد هي من أعظم النعم التي أنعم الله تعالى بها على خلقه، وتتمثل في العديد من المظاهر التي تبين عناية الله تعالى بعباده، فالرحمة تظهر في لطف الله تعالى بالعبد في كل مرحلة من حياته، بدءًا من الرزق والهداية، إلى التخفيف من البلاء والآلام، وقد تجلت الرحمة في حق العبد في صور مختلفة، فهي تشمل تيسير الأمور وتقديم العون في الأوقات الصعبة، مع منح العبد فرص التوبة والمغفرة، والأهم من ذلك أن رحمة الله تعالى، تشمل العبد في الدنيا وفي الآخرة، حيث تكون سببًا في نجاته من الشدائد والمصاعب، وتمنحه الأمل في الجنة، فالرحمة هي منبع الأمان والسكينة، وهي التي تعين العبد على الصبر والثبات في مواجهة تحديات الحياة، وقد ذكر العلماء لهذه الرحمة التي يتصف بها العبد نوعين^(١).

أولاً : الرحمة الفطرية : إن الله سبحانه وتعالى قد فطر بعض عباده على الرحمة، فغرس في قلوبهم الرأفة والحنان تجاه جميع المخلوقات، فقاموا بمقتضى هذه الرحمة بما يستطيعون من منفعة للآخرين وفقاً لقدرتهم، وهم بذلك محمودون ومثابون على ما بذلوه، معذورون فيما لم يستطيعوا تحقيقه، وربما كتب الله تعالى لهم بنياتهم الطيبة ما عجزت عنه طاقتهم، وتتجلى الرحمة الفطرية في الاستجابة الطبيعية لمعاناة الآخرين أو احتياجاتهم دون انتظار مقابل أو مصلحة شخصية، كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ ... وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ... ﴾^(٢).

ثانياً : رحمة يكتسبها العبد بسلوكه كل طريق ووسيلة : وهي التي تزرع في قلبه هذا الوصف فيعلم العبد علماً يقينياً أن هذا الوصف من أعظم مكارم الأخلاق، وأكملها وأتمها، فيجاهد نفسه بكل طاقته ليكتسب هذه الصفة، ويعلم ما رتب الله سبحانه وتعالى عليه من جزاء، وما في فقدانه من حرمان من الثواب، فيتطلع إلى فضل ربه ويسعى نحو السبب الذي يناله به، ويعلم أن الجزاء من جنس العمل، كما يدرك أن الأخوة الدينية والمحبة الإيمانية قد ربطها الله تعالى بين المؤمنين، وأمرهم أن يكونوا إخواناً متحابين، وأن يتجنبوا كل ما يناقض ذلك من البغضاء والعداوات والتفرقة، إذا هذه الرحمة هي رحمة الله سبحانه وتعالى، وهي فضل من الله تعالى يناله العبد بالإيمان الصادق، والعمل الصالح، والإحسان إلى الآخرين، والتواضع، والالتزام بأوامر الله تعالى واجتناب نواهيه، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ... ﴾

(١) ينظر: بهجة قلوب الأبرار وقررة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار : أبو عبد الله ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (ت : ١٣٧٦ هـ) تح : عبد الكريم بن رسمي ال دريني ، دار النشر : مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ ، (١ / ١٨٨ - ١٩٠)
(٢) سورة الحديد : آية ٢٧ .

الْمُحْسِنِينَ»^(١)، وخير ذلك ومثالا للرحمة والأنسانية هو نبينا (محمد صلى الله عليه واله وسلم) كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِن أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ وَإِن أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ »^(٢).

بيان الآية : قال الله تعالى لنبيه محمد (صلى الله عليه واله وسلم) ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ يَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ قيل أي : (نعمة عليهم، ولأن ترحمهم، وفي الآية دلالة على بطلان قول المجبرة في أنه، ليس لله تعالى على الكافرين نعمة، لأنه تعالى بين أن إرسال الله رسوله الكريم نعمة على العالمين، وعلى كل من أرسل اليهم، ووجه النعمة على الكافر انه عرضه للايمان ولطف له في ترك معاصيه، ومعنى هي نعمة على الكافر بأن عوفي مما أصاب الأمم قبلهم من الخسف والقذف في قول ابن عباس- ثم قال له (صلى الله عليه واله وسلم) قل لهم ﴿ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾، أي: مسلمون لهذا الوحي الذي أوحى إليّ، من إخلاص الالهية والعبادة لله تعالى، ثم قال ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا ﴾ يعني: إن عرضوا عن هذا الذي تدعوهم اليه من إخلاص التوحيد، فقل لهم ﴿ آذَنُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ﴾ أي: أعلمتكم على سواء في الإيدان تتساوون في العلم به لم اظهر بعضكم على شيء كتمته عن غيره، ومعنى على سواء في العلم اني صرت مثلكم، ومثله قوله: ﴿ فَأَنْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ﴾ أي: ليستوي علمك وعلمهم ومعنى: لتستووا في الايمان به، وقوله: ﴿ وَإِن أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ ﴾ معناه: لست اعلم ان ما وعدكم الله به من العقاب اقريب مجيؤه ام بعيد، وقوله ﴿ وَإِن أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ أي: لست ادري لعل التأخير شدة في عبادتكم يظهر بها ما هو كالسر فيكم من خير أو شر، فيخلص الجزاء بحسب العمل، واصل الفتنة التخليص، بالشدة، كتخليص الذهب بشدة النار من كل شائب من غيره، وقيل ﴿ فِتْنَةٌ لَّكُمْ ﴾ أي: اختبار لكم ﴿ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ أي تتمتعون الى الوقت الذي قدره الله لاهلاككم، ثم قال لنبيه (صلى الله عليه واله وسلم) ﴿ قَالَ يَا مُحَمَّدُ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ ﴾ انما أمره أن يدعو بما يعلم انه لا بد أن يفعله تعبدًا، لأنه إذا دعا بهذا ظهرت رغبته في الحق الذي دعا به، وقال قتادة: كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا شهد قتالا قال ﴿ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ ﴾ بيني وبين المشركين بما يظهر به الحق للجميع وقوله ﴿ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ أي: على ما تذكرون، مما ينافي التوحيد كقوله

(١) سورة الأعراف : آية ٥٦ .

(٢) سورة الأنبياء : آية ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢ .

﴿ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾، عما يصفون يعني على ما يكذب هؤلاء الكفار من انكار البعث (١) وذكر معنى آخر: أشارت الآية الأولى إلى رحمة وجود النبي (صلى الله عليه واله وسلم) العامة فقالت: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ فإنّ عامّة البشر في الدنيا، سواء الكافر والمؤمن والبر والفاجر، مشمولون لرحمتك، لأنّك قد تكفّلت بنشر الدين الذي يُنفذ البشريه جمعاء، فإذا كان جماعة قد انتفعوا به وآخرون لم ينتفعوا، فإنّ ذلك يتعلّق بأنفسهم، ولا يחדش في عموميّة الرحمة، وبتعبير آخر فإنّ كون وجود النبي رحمة للعالمين له صفة المقتضى وفاعلية الفاعل ومن المسلم أنّ فعلية النتيجة لها علاقة بقابلية القابل، وإنّ التعبير ب (العالمين) وهو إطاره واسع يشمل كلّ البشر وعلى مدى العصور والقرون، ولهذا تعتبر هذه الآية إشارة إلى خاتمية نبي الإسلام، لأنّ وجوده رحمة وإمام وقدوة لكلّ الناس إلى نهاية الدنيا، حتّى أنّ هذه الرحمة تشمل الملائكة أيضاً، ففي حديث شريف مروى عنه (صلى الله عليه واله وسلم) يؤيّد هذه العمومية، إذ نلاحظ فيه إنّ هذه الآية لما نزلت سأل النبي جبرئيل فقال: (هل أصابك من هذه الرحمة شيء فقال جبريل: نعم إنّي كنت أخشى عاقبة الأمر، فأمنت بك لما أتنى الله عليّ بقوله عند ذي العرش مكين) (٢)، ولما كان أهمّ مظهر من مظاهر الرحمة، وأثبت دعامة لذلك هي مسألة التوحيد وتجليّاته، فإنّ الآية التالية تقول: ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُم إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾، وتشير هذه الآية: الى نقطه مهمه جداً وهي إنّ التوحيد هو الدعامة الأساسيّة للرحمة، ويكون التوحيد في الاعتقاد، وفي العمل، وفي الكلمة، وتوحيد الصفوف، وفي القانون وفي كلّ شيء (٣)، يتضح أنّ مفهوم الرحمة هو مفهوم (متسع انفراجي) يشمل كل ما هو خير يتصف بالرحمة وإن من يتصف بالرحمة فهو منظومة واسعة انفراجية لكل خير فيكون سعيد في حياته وعيشه ويتسلح بإمكانية القضاء على كل مشاكله وأزمات حياته على خير وأمان، ذلك عندما يكون رحيماً بغيره ، يسخر له ربه من يرحمه ويحقق له السعادة في الدنيا، وجزيل حسن ثواب الآخرة، بحيث يشعر بالرضا والاطمئنان عن نفسه وحياته، ويعيش مع كل من يجاريه في (محبة وأمان وسلام) وهذا هو الانفراج بعينه، ويتحقق الانفراج على المستويين الفردي والمجمعي، مما يخلق بيئة يسودها التقاهم والطمأنينة .

(١) التبيان في تفسير القرآن : الطوسي (ت : ٦٧٢ هـ) ، (٧ / ٢٨٥ - ٢٨٦) .

(٢) بحار الأنوار : العلامة المجلسي، (١٦ / ٣٠٦) .

(٣) ينظر : الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ناصر، مكارم الشيرازي ، النشر : منشورات مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، قم ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ ، (١٠ / ٢٦٣ - ٢٦٧) .

المبحث الثالث : المستوى الفقهي للانفراج في القرآن الكريم :

إن المستوى الفقهي في القرآن الكريم يعكس الإرشادات والتشريعات التي وضعها الله سبحانه وتعالى لتنظيم وترتيب حياة الإنسان في مختلف الجوانب، سواء كانت فردية أو جماعية ويحتوي القرآن على قواعد وأحكام تتعلق بالعبادات، مثل الصلاة والصيام والزكاة، وكذلك المعاملات، كالبيع والشراء، والزواج، والميراث، والقضاء، تميزت الأحكام الفقهية في القرآن الكريم بالشمولية والمرونة، حيث وضعت أساساً عامة يمكن تطبيقها في مختلف الأزمنة والأماكن، كما ركزت على تحقيق مقاصد الشريعة من حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل والمال، وتتجلى في النصوص القرآنية روح الوسطية والعدل، مع دعوة مستمرة للتيسير والتخفيف على الناس في إطار الالتزام بالتشريعات الإلهية.

المطلب الأول : التفسيح اختياراً :

إن التفسيح في المجالس يعكس سمة الإيثار التي يحث عليها الإسلام ، ويشجع على مراعاة الآخرين في الأماكن العامة والخاصة .

أولاً : الدلالة اللغوية : وهي (السعة في الأرض ، بلد فسيح)^(١) .

قول : (الفسحة ، السعة ، فسح المكان فساحة)^(٢)

ثانياً : الدلالة الاصطلاحية : هي تفسح المسلمين بعضهم لبعض في المجالس محبوب ومحمود مأمور به وجوباً أو استحباباً لأنه من المكارمة والإرفاق^(٣)

ثالثاً : الدلالة القرآنية :

إن الدلالة القرآنية لمفردة التفسيح تأخذ طابعاً دلاليّاً واسعاً في المجال الفقهي على نحو الخصوص من جهة بيان الحكم الشرعي ولوازمه وتعلقاته فمن الآيات القرآنية التي حصل فيها توسع مفهومي هي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ﴾^(٤)، قيل في تفسير الآية : (أن معنى التفسح هو الاتساع وكذا الفسح، والمجالس جمع مجلس اسم مكان، والاتساع في المجلس هو أن يتسع الجالس ليسع المكان غيره وفسح الله تعالى له أن يوسع له في الجنة، فإن الآية تتضمن أدبا من آداب المعاشرة والمستفاد من سياقها أنهم كانوا يحضرون الى مجلس النبي (صلى الله عليه واله وسلم) ، فيجلسون بصورة ركاما بحيث لا يدع لغيرهم من القادمين او الواردين أي مكان يجلسون فيه فقد أدبوا بقوله تعالى : ﴿ إِذَا

(١) العين : الفراهيدي (٣ / ١٤٨) .

(٢) لسان العرب : ابن منظور (٣ / ٥٤٣) .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ابن عاشور ، (٢٨ / ٣٨) .

(٤) سورة المجادلة : آية ١١ .

قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا ... الخ ﴿١﴾ ، وإن هذا الحكم عام على مرور كل زمن وإن كان مورد النزول هو مجلس النبي (صلى الله عليه واله) ، إذن معنى : يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم توسعوا في المجالس ليسع المكان معكم ومع غيركم فتوسعوا وسع الله لكم في الجنة (١) ، وقال السبزواري النجفي (ت : ١٤٠٩ هـ) ، في بيان هذه الآية يقول : (التفسح هو التوسع في المجلس أو المكان وهذا يعني أن عليكم أيها المؤمنون أن تتسعوا في مجلس النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وفي جميع مجالس الذكر حيث يفسح كل واحد لأخيه كي يجلس ويجد مكانا له ﴿٢﴾ فافسحوا ﴿٣﴾ توسعوا ﴿٤﴾ يفسح الله لكم ﴿٥﴾ أي : يوسع الله تعالى لكم المجالس في الجنة أي قوموا واتركوا المكان لإخوانكم، وهي نزلت بحق جماعة كانوا يطيلون المكث في مجلس رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ولا يتركون المجالس لغيرهم فعندها أمروا بذلك فإن تفعلوا ذلك (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) أي : يرفع المؤمنين على غيرهم بطاعتهم للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ومن ثم يرفع الذين أوتوا العلم منهم على الذين لم يؤتوا العلم درجات بفضل علمهم وسابقتهم في الجنة، وفي هذه الآية المباركة فيها دلالة على فضل العلم ومكانه وجماله (٦) ، وقال فضل الله (ت : ١٤٣١ هـ) : (وهو الأفساح في المجالس، وهذا هو لون من ألوان الأدب الإسلامي الاجتماعي الذي من خلاله يتناول موضوع خالص وهو الأدب في الجلوس، وذلك لأن الناس تجتمع وتجلس حول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، أو دخول أي شخص مرموق وله مركزية وعلم مما يحتاج الناس لعلمه أو غير ذلك مما يحتاج الناس إليه في حياتهم الشخصية والعملية، بحيث من خلال هذا الجلوس لا يجد القادم وكانا للجلوس إليه، لأنهم غير مستعدين لتنازلهم عن مكانهم الذي يجلسون فيه في غير حاجة إليه، أو للتوسع في المكان ليجلس هذا القادم فيه، ذلك بسبب فعل التعقيدات الذاتية التي هي في داخل نفوسهم، فكانت هذه الآية تريد أن توجههم إلى ضرورة التوسع في المجالس، في ما يملكون من السعة فيه (٧) ، وقال مكارم الشيرازي: في بيان دلالة الآية: نلاحظ (أن القرآن يتحدث عن أدب من آداب المجالس حيث يقول سبحانه: ﴿٨﴾ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ﴿٩﴾ ، في الآية الكريمة فإنّ التفسّح بمعنى التوسّع، وهذه واحدة من آداب المجالس، فحين يدخل شخص إلى المجلس فإنّ المرجو من الحاضرين أن يجلسوا بصورة يفسحون فيها مجالاً له، كي لا يبقى في حيرة وخجل، وهذا الأدب أحد عوامل تقوية أواصر المحبة والودّ على عكس

(١) الميزان في تفسير القرآن : الطباطبائي (ت : ١٤٠٢ هـ) ، (١٩ / ١٨٨) .

(٢) الجديد في تفسير القرآن المجيد : السبزواري النجفي، محمد بن حبيب الله ، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٦ هـ ، (٧ / ١٢٠) .

(٣) تفسير من وحي القرآن : فضل الله ، السيد محمد حسين ، (٢٢ / ٧٣) .

النجوى، والتي هي أحد عوامل التفرقة والشحناء، وإثارة الحساسيات والعداوة، والشيء الملاحظ أنّ القرآن الكريم، الذي هو بمثابة دستور لجميع المسلمين لم يهمل حتى هذه المسائل الجزئية الأخلاقية في الحياة الاجتماعية للمسلمين، بل أشار إليها بما يناسبها ضمن التعليمات الأساسية حتى لا يظنّ المسلمون أنّه يكفيهم الالتزام بالمبادئ الكلية فجملة ﴿يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾ فسرها الأمتل^(١)، (بتوسّع المجالس في الجنّة)، وهو ثواب يعطيه الله تعالى للأشخاص الذين يراعون هذه الآداب في عالم الدنيا، و يلتزمون بها، بلحاظ كون الآية مطلقة وليس فيها قيد أو شرط لأن لها مفهوما واسعا، وتشمل كلّ سعة إلهية، سواء كانت في الجنّة أو في الدنيا أو في الروح والفكر أو في العمر والحياة، أو في المال والرزق، ولاعجب من فضل الله تعالى أن يجازي على هذا العمل الصغير بمثل هذا الأجر الكبير، لأنّ الأجر بقدر كرمه ولطفه لا بقدر أعمالنا وبما أنّ المجالس تكون مزدحمة أحيانا بحيث أنّه يتعذّر الدخول إلى المجلس في حالة عدم التفسّح أو القيام، وإذا وجد مكان فإنّه غير متناسب مع مقام القادمين فلا ينبغي أن يضجروا أو يسأموا من الوقوف، لأنّ القادمين أحيانا يكونون أحوج إلى الجلوس من الجالسين في المجلس وذلك لشدة التعب أو الكهولة أو للاحترام الخاصّ لهم، فضلا عن أسباب أخرى، وهنا يجب أن يؤثّر الحاضرون على أنفسهم ويتقيّدوا بهذا الأدب الإسلامي، ثمّ يتطرق سبحانه إلى الجزاء والأجر الذي يكون من نصيب المؤمنين إذا التزموا بالأمر الإلهي، حيث يقول عزّ وجلّ: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾، وذلك إشارة إلى أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، إذا أمر البعض بالقيام وإعطاء أماكنهم للقادمين، وذلك لهدف إلهي مقدّس، واحتراما للسابقين في العلم والإيمان، وفي الحقيقة أنّ الأشخاص الذين يتفّسون للقادمين لهم درجة وأولئك الذين يؤثرون ويعطون أماكنهم ويتّصفون بالعلم والتقوى لهم درجات أعلى، قال تعالى ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾.

ويظهر مما تقدم أن المستفاد من الآية الكريمة ان هناك مجموعة آداب ينبغي مراعاتها في التفّسح يختصر على ذكر بعضها :

(١) الأمتل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، (١٨ / ١٢٧) .

١- منزلة العلماء :

العلماء هم ورثة الأنبياء وحملة رسالة العلم والهداية، وقد أكرمهم الله سبحانه وتعالى بمقام رفيع في الإسلام لما يحملونه من مسؤولية نشر المعرفة، وتبيين الحق، وإرشاد الناس، فقد جعلهم الله تعالى نوراً يهتدي به المجتمع، وميزهم بفضلٍ عظيم كما ورد في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(١)، إن العلماء ليسوا فقط حملة العلم، بل هم الموجهون الذين يسعون لإصلاح المجتمع، ونشر البركة والخير، وتحقيق العدل والأمان ولهذا، كانت مكانتهم سامية عند الله سبحانه وتعالى والناس، فهم مصدر هداية ورشاد في كل زمان ومكان وإن بيان مقام العلماء هو مفهوم ومقدمة لمعرفة منزلة العلماء ومن ثم نفسح لهما المجال في المجالس وهذا نوع من الانفراج، وبالرغم من أن الآية الكريمة وهي قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَفْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ﴾، قد نزلت في مورد خاص، ولكن لها مفهوماً عاماً، وبلحاظ أن ما يرفع مقام الإنسان عند الله تعالى شيئان الإيمان والعلم وبالرغم من أن الشهيد في الإسلام يتمتع بمقام سام جداً وبمنزلة عظيمة^(٢)، وقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهو يبيّن مقام أهل العلم قال: (فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر)^(٣)، والجدير بالإشارة هنا أن العابد ينجز عبادته التي هي الهدف من خلق الإنسان، وبينما أن روح العبادة هي المعرفة، لذا فإن العالم مفضّل عليه بدرجات، ومن هنا يتضح ما جاء في الروايات حول أفضلية العالم على العابد، حيث يُبيّن الفرق الكبير بين هذين الصنفين، إذا أردت أن تكون ناجحاً في طريق الحق والتكامل وأن يرضى عنك الله سبحانه وتعالى، فإن التقرب إليه يتحقق من خلال عاملين أساسيين هما: الإيمان والعلم، أو الوعي والتقوى، وكلاهما مكمل للآخر، وبهما يتحقق طريق الهداية، وهذا هو المعنى الحقيقي للانفراج وهو الوصول إلى الهداية من خلال التقوى والوعي.

(١) سورة الزمر : آية ٩ .

(٢) ينظر : الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، (١٨ / ١٢٩)

(٣) الوافي : الفيض الكاشاني (ت : ١٠٩١ هـ) النشر : مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام ، أصفهان، د . ط ، ١٤٠٦ هـ ، (١ / ١٥٥) .

٢- التوجيهات القرآنية لآداب المجالس :

القرآن الكريم هو مصدر هداية شامل، لم يغفل جانباً من جوانب حياة الإنسان إلا ووضع له أسساً تنظمها، ومن بين هذه الجوانب، آداب المجالس التي تعكس القيم الإسلامية في التعامل مع الآخرين، فقد جاء في القرآن الكريم العديد من التوجيهات التي تحث على حسن الاستماع واحترام الحاضرين، وتجنب الغيبة والنميمة، بالإضافة إلى الالتزام بالذوق العام والتواضع وهذه الآداب تهدف إلى تعزيز الروابط الاجتماعية، وبناء مجتمع قائم على الاحترام والتآخي وقد أشار القرآن الكريم لعدّة مرّات إلى الآداب الإسلامية بالمجالس وجعلها ضمن المسائل الأساسية نذكر منها (آداب التحيّة، والدخول إلى المجلس، وآداب الدعوة إلى الطعام، وآداب التكلّم مع النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وآداب التفسّح للأشخاص القادمين المقبلين، وخاصة ذوي الفضيلة والسابقين في العلم والإيمان)^{(١)(٢)} .

ويُظهِرُ أَنَّ القرآن الكريم يُعطي كل موضوع أهميّة وقيمة خاصّة في موضعه، ولا يسمح بالتساهل أو الإهمال من قبل الأفراد، مما قد يؤدي إلى الإخلال بالآداب الإنسانية في المعاشرة من خلال ملاحظة التفاصيل الواردة في الروايات، نلاحظ مدى اهتمام الإسلام بالآداب الاجتماعية، حيث تتناول طريقة الجلوس، التحدث، الابتسامة، المزاح، الإطعام، كتابة الرسائل، وغيرها من الأمور، ومن بين تلك الأحاديث، روي عن الإمام، علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال : (ليجتمع في قلبك الافتقار إلى الناس، والاستغناء عنهم، فيكون افتقارك إليهم في لين كلامك وحسن سيرتك، ويكون استغناؤك عنهم في نزاهة عرضك وبقاء عزك)^(٣) .

(١) وجاءت كل هذه التعليمات من خلال التسلسل في الآيات القرآنية التالية : آداب التحيّة والسلام، سورة النساء :آية ٨٦، وآداب الدعوة إلى الطعام سورة الأحزاب : آية ٥٣، وآداب التكلّم مع الرّسول، سورة الحجرات : آية ٢، وآداب التفسّح في الآيات وهي مورد البحث .

(٢) ينظر : الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : مكارم شيرازي ، ناصر ، (١٨ / ١٣٠ - ١٣١) .

(٣) وسائل الشيعة : الحر العاملي (٨ / ٤٠١) .

رابعاً : بيان الأحكام الفقهية للتفسيح في القرآن الكريم :

أن من القضايا المهمة التي نشير إليها وذلك لأهميتها وهي قضية المجالس التي يرتادها المكلفون وغيرهم لا سيما في هذا العصر الحاضر، بحيث ممكن أن تكون هذه المجالس سبباً لهداية الناس وخصوصاً الشباب منهم، وقد تكون سبباً لإنحرافه وتدمير حياته، فمن هنا يجدر بالبحث أن نذكر بعض الأحكام الفقهية التي تكون أعم من الإلزامية وغير الإلزامية التي تلازم الانفراج الموجب لحكم فقهي المدلول عليه دلالة عامه في القرآن الكريم والتي منها :

١- البدء بالسلام : وذلك عند الدخول إلى المجلس، وكما يحسن بالداخل البدء بالسلام فعندها يجب على الموجودين فيه رد السلام عليه، لأنّ السلام تطوع والرد فريضة، إذا البدء بالسلام هو مستحب ورد السلام هو واجب، مثلاً عندما يبدأ بالسلام على المصلين وهم في أثناء صلاتهم فبهذه الحالة يجوز رد السلام بل يجب، وإذا لم يرد ومضى في صلاته صحت وإن أثم ويجب أن يكون رد السلام في أثناء الصلاة بمثل ما سلم فهنا يجب أن يكون جواب المصلي (سلام عليكم) بل الأحوط وجوباً المماثلة في التعريف وهنا يكره السلام على المصلي^(١)، وإذا سلم أحد على جماعه كفى رد واحد منهم، وقوله تعالى: ﴿ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾^(٢)، أي: (تحيتهم من الله سبحانه وتعالى في الجنة سلام، وأيضا معناه تحية بعضهم لبعض فيها أو تحية الملائكة لهم فيها سلام يقولون سلام عليك أي سلمتم من الأفات والمكاره التي أبتلي بها أهل النار)^(٣)، والتحية والسلام أي هو التسامح والأمان والراحة بين المسلم والراد، كما قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ ﴾^(٤)، وقوله : ﴿ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ ﴾ قيل أي : (تسالموا هم وإبراهيم فقالوا سلاماً أي سلمنا عليك سلاماً، وقال إبراهيم سلام أي عليكم السلام)^(٥)، ويتبين في هذا الحكم الفقهي دلالة على حصول الانفراج معنوياً في نفس الملقى بالسلام والراد عليه وذلك يوجب إرتياحاً وإنفراجاً وإستيناساً في أنفسهما وذلك لأن السلام من مادة سلم وسلم قبل الحرب، والسلام ورده نوع من أنواع السلم الاجتماعي الذي يوجب إنفراج النفوس وإستقرارها عند ترسيخ هذه الحالة في نفوس المسلمين عبر ظاهرة السلام ورده .

(١) منهاج الصالحين العبادات : أبو القاسم الموسوي الخوئي ، مطبعة الديواني ، بغداد ، ط ٢٩ ، (١ / ١٩٠ - ١٩١) ، مسألة (٦٧٦ - ٦٧٧) .

(٢) سورة يونس : آية ١٠ .

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن : الفضل بن الحسن ، الطبرسي ، تح : محمد جواد البلاغي ، منشورات ناصر خسرو ، طهران ، ط ٣ ، ١٤١٣ هـ ، (٥ / ١٤١) .

(٤) سورة هود : آية ٦٩ .

(٥) الميزان في تفسير القرآن : الطباطبائي (١٠ / ٣٢٠) .

٢- الجلوس حيث ينتهي به الإنسان بالمجلس : إن هذه النقطة فيها زاوية أخلاقية، وفيها زاوية فقهية قانونية فنأخذ الجانب الفقهي التكليفي مثلاً، فإن من يسبق إلى مجلس فهو أولى به ولا تجوز مزاحمته عليه، كما قال النبي (صلى الله عليه وآله): (من سبق إلى ما لم يسبق إليه مسلم فهو له) (١)، وقال الخوئي : (ت : ١٣٤١٣ هـ) (إذا سبق واحد الى مكان في المسجد فغضبه منه غاصب، فصلى فيه ففي صحة صلاته إشكال) (٢)، وهذا لا يعني أن مقتضى الأدب يقتضي أن يفسح الشخص المجال للآخرين، وهو ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا... ﴾ (٣)، ففي بعض الأحيان يُستحب للمرء أن يفسح المكان، وفي حالات أخرى يجب عليه أن يقوم من مكانه ليُفسح المجال للآخرين، كما في حال الجلوس في أماكن العبادة بعد أداء الأعمال الواجبة أو المستحبة، فإذا دخل آخرون لأداء عباداتهم، يجب أن يفسح لهم، ويستنتج من أن العبد الذي يتحلى بأداب وأخلاق الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ويطبق ما كان يطبق الرسول من آداب المجلس بحيث يتعلم الإنسان من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) التواضع وإحترام الآخرين وأن لا يكون لديه إصرار على عدم التفسح والتمسك بالمكان، وفسح المجال للمقبلين الى المجلس وتوسيع المجال لأخوانه سواء كان التفسح مستحباً أو واجباً في بعض الأحيان وهذا هو الانفراج الحقيقي بالنسبة للمقبلين للمجالس وعدم التضيق بالجلوس لكي الكل يشارك في هذا المجلس المبارك .

٣ - المحافظة على أسرار المجالس وعدم إفشائها : وهو من مقتضيات الأمانة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (الْمَجَالِسُ بِالْأَمَانَةِ وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يُحَدِّثَ بِحَدِيثٍ يَكْتُمُهُ صَاحِبُهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ثِقَةً أَوْ ذِكْرًا لَهُ بِخَيْرٍ) (٤)، كما لو كان الكلام أو الحديث الدائر أو الذي يدور في المجلس فيه نوع من الخيانة للأمة المسلمة، أو فيه مخطط للتآمر على شخص أو أحد من الناس بهدف سفك دمه، فهنا تدخل رعاية الأمة ومصصلحة حفظ النفوس والأعراض وهذه كلها أهم من مفسدة إفشاء أسرار المجالس، كما ورد في الحديث الشريف عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : (المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس: مجلس سفك فيه دم حرام، أو مجلس استحل فيه فرج حرام، أو مجلس يستحل فيه مال حرام بغير حقه) (٥)، ويتبين أن المحافظة على أسرار

(١) المعجم الكبير : سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشافعي ، أبو القاسم للطبراني (ت : ٣٦٠ هـ) ، تح : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، دار النشر، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ط٢ ، د . ت ، (١ / ٢٨٠) .

(٢) منهاج الصالحين العبادات : أبو القاسم الخوئي ، مسألة (٥٣٩) ، (١ / ١٤٢) .

(٣) سورة المجادلة : آية ١١ .

(٤) الكافي : الكليني (٢ / ٦٦٠) .

(٥) وسائل الشيعة : الحر العاملي (١٢ / ١٠٥) ، الباب ٧١ من أبواب أحكام العشرة الحديث (٤) .

أسرار المجالس من القيم الأخلاقية العظيمة التي تؤكد على حفظ الثقة وصون العلاقات، وأن إفشاء أسرار المجالس يُعدُّ خيانة للأمانة، ويؤدي إلى زعزعة العلاقات، وانتشار الفتن، وفقدان الاحترام بين الناس، وإن الانفراج يتجلى في صون الأمانة الذي يعزز الشعور بالأمان والراحة النفسية بين الناس، مما يخلق بيئة من الثقة والطمأنينة، عندما يحفظ الإنسان أسرار الآخرين، فإنه يساهم في تخفيف التوترات والضغوط الاجتماعية، مما يؤدي إلى بناء علاقات أكثر استقراراً وسلاماً.

٤- المجالس المحبوبة والمجالس المفقوتة :

أ- المجالس المحبوبة :

وهي مجالس مثمرة ونافعة ومفيدة وعامرة تفيد الإنسان في حياته الدنيوية والآخرية وهي المجالس التي يذكر فيها اسم الله سبحانه وتعالى وهي التي تذكره بالآخرية ويوم الحساب والوقوف بين يدي الله تعالى وهي التي تتلى فيها تعاليم العقيدة الإسلامية والتي تزيد المرء علماً وعملاً، وتساهم في إصلاح المجتمع وتقريب القلوب وإصلاح ذات البين، وأن هذه المجالس هي التي يحبها الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم (صلى الله عليه واله وسلم)، ومن أهم هذه المجالس هي المجالس التي يطلب فيها العلم، والتي هي تزيد من ثقافة الإنسان والتي تقدم له معلومات مفيدة أو تجربة نافعة فهو مجلس مبارك وعبادة مثلاً: إحياء ليلة القدر، بطلب العلم والمذاكرة ذلك لا يقل عن إحيائها بالعبادة والتضرع، ومنها مجالس المساجد، وإن الدخول والتردد في هذه المجالس وهي المساجد العبادية فيها فوائد كثيرة وبركات عديدة، فورد عن الإمام علي (عليه السلام)، بحقها (من اختلف إلى المسجد أصاب إحدى ثمان: أحملاً مستفاداً في الله، أو علماً مستطرفاً، أو آية محكمة، أو رحمة منتظرة أو سمع كلمة تدله على هدى، أو كلمة ترده عن ردي، أو يترك ذنباً خثية أو حياء)^(١)، ومنها مجالس الدعاء وقراءة القرآن، وهي من أهم وأنفع المجالس وعظيمة البركة والفائدة وخاصة قراءة القرآن والتدبر في كلماته وتلاوته وترتيبه وأيضاً فائدة قراءة الدعاء والذكر، مثلاً: كدعاء كميل، ودعاء أبي حمزة الثمالي ودعاء الجوش الكبير والصغير وغيرها من هذه الأدعية المباركة والتي من خلال قرأتها يجتمعون المؤمنون في هذا المجلس للعبادة أو التوبة لله تعالى كما ذكر في دعاء الإمام زين العابدين (عليه السلام)، المعروف بدعاء أبي حمزة الثمالي (ما لي كلما قلت قد صلحت سريرتي وقرب من مجالس التوابين مجلسي عرضت لي بلية أزالتم قدمي وحالت بيني وبين خدمتك سيدي)^(٢) ومنها مجالسة الأسرة، التي تجتمع فيها الأسرة بكل أبنائها ففيتها صلة الرحم والبحث حول

(١) الخصال : للصدوق (٤١٠) .

(٢) مصباح المتجهد : الطوسي ، النشر : مؤسسة فقه الشيعة ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤١١ هـ ، (١ / ٥٨٨)

مشاكل الأسرة ووجود الطول لها بحيث تكون بعيدة عن نقل المشاكل خارج البيت الى المحاكم والقضاة كما قال الله تعالى في كتابه الكريم : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾^(١)، قيل في معنى الآية: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا ﴾ أي: (وهو خلاف ونزاع بين المرء وزوجه، بإنهما لا يجتمعان على رأي واحد، كإن يكون كل واحد منهم في شق ﴿ فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا ﴾ وهو خطاب موجه للحكام، وذلك ليتم الإصلاح ذات البين، وأن يكون الحكم من أهلها لأن الأقارب دائماً يكونون أعرف ببواطن الأحوال وأقرب وأطلب للإصلاح، ﴿ إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾ أي: وان قصداً الإصلاح الحقيقي في ما بينها فقد أوقع الله تعالى بحسن سعيهما وهي الموافقة بين الزوجين وإن أرادا الإصلاح وزوال الشقاق أوقع الله تعالى بينهما الألفة والمحبة والوفاق)^(٢)، ومنها مجالس العلماء والأتقياء، وإن مجالسة أهل العلم والأتقياء، تنثري على المرء وتزيد من علمه وتقواه، ولذا هي من أحب المجالس عند الله سبحانه وتعالى، فقد روي أنه سأل بعض الحواريين روح الله سبحانه وتعالى النبي عيسى بن مريم (عليها السلام) من مجالس قال : (من يذكركم الله رؤيته ويرغبكم في الآخرة عمله ويزيد في منطقتكم علمه)^(٣)، وورد أيضاً عن الإمام الصادق (عليه السلام) (مجالسة أهل الدين شرف الدنيا والآخرة)^(٤)، وغيرها من هذه المجالس والأداب التي يجبها الله سبحانه ورسوله الكريم وهي التي تنهض بالمجتمع الإسلامي وتزيد من علمه وثقافته الدينية والتمسك بعقيدته، وهذا هو نوع من أنواع الانفراج الحقيقي الذي يصل إليه الإنسان المؤمن ومعرفته وتميزه بين المجالس المحبوبة والمجالس الممقوتة المبعوضة^(٥).

ب : المجالس الممقوتة أو المبعوضة :

إن هنالك مجالس ممقوتة تقابل المجالس المحبوبة وإن الإسلام يحرم ويدعو إلى مقاطعة وعدم الدخول والجلوس والاستماع إلى مثل هذه المجالس وإذا اضطروا تواجد المرء فيها فهنا وجب عليه تغير وجهة المجلس من مجلس يسيء إلى الدين ومجلس يبغضه الله تعالى إلى مجلس يحبه الله تعالى وينتصر للمظلوم وإذا تعسرت عليه الأمور فعليه الانسحاب منه، ولا يجوز له البقاء فيه، كما قال: الامام الصادق (عليه السلام)، (لا ينبغي للمؤمن أن يجلس مجلساً

(١) سورة النساء : آية ٣٥ .

(٢) تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب : القمي المشهدي ، محمد بن محمدرضا ، تح : حسين دركا هي ، مؤسسة الطباعة والنشر في وزارة الأرشاد الإسلامي ، طهران ، ط١ ، ١٤٠٩ هـ ، (٣ / ٣٩٩) .

(٣) بحار الأنوار : محمد باقر بن محمد تقي المجلسي (٧١ / ١٨٩) .

(٤) الكافي : الكليني (١ / ٣٩) .

(٥) ينظر : الأمثل : مكارم ناصر الشيرازي (١٨ / ١٣٠) .

يعصى الله فيه ولا يقدر على تغييره (١)، وإن مقاطعة هذه المجالس تكون من باب النهي عن المنكر، وعدم تشجيع الانحراف في المجالس وأن يكون الانتصار حليف المؤمنين وأن لا يتواجد المؤمنون في بعض هذه المجالس لأن وجودهم في مثل هذه المجالس يؤدي إلى هتك حرمة نفسه وإن هنالك بعض المجالس التي يبغضها الله تعالى وهي التي تخالف قواعد وثوابت الدين وهي مجالس الاستهزاء والاستهانة بالدين ورموزه ومجالس الكذب على الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومجالس المدح وتعظيم أعداء الله تعالى ومجالس المعصية والفسوق وغيرها من هذه المجالس، كما قال الله تعالى في كتابه الكريم : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مثلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ (٢) ، وهذا خطاب عام لجميع الأمة ومضمونة التوبيخ الشديد لما صدر من المنافقين وتحذير المؤمنين أن لا يعقدوا مع الكافرين والمنافقين وهم يكفرون بكل آيات الله سبحانه وتعالى ويستهزئون بها، وإن هذا التحذير فيه من الحكمة ما لا يخفى، فلا بد من أن ينتهي في بداية أول طريقه وذلك لأن في آخر مطابقه هو الكفر الذي لا ريب فيه، وهذا الخطاب وأن كان متوجها إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، إلا أنه يراد به العموم على طول الزمن والعهد وقوله : ﴿ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا ﴾ وهذا يكفي الانزجار عن الجلوس معهم أو مجالستهم فضلاً عن تحقيق الموالاة والاعتزاز بالكافرين (٣)، ويتضح أنّ الكلام الذي يقال في المجالس له من التأثير الكبير على الأفراد والمجتمعات، سواء كان إيجابياً أو سلبياً، ولذلك حذر الإسلام من الغيبة والنميمة والجدال العقيم والجدير ذكره هنا إلى أنّ واحداً من أخطر وأسوأ مجالس المعصية هو مجلس الغيبة التي ينال فيها أصحابه أعراض الآخرين ويأكلون لحومهم، والغيبة في حقيقة الأمر هي آفة المجالس، وإن المجالس التي تكون خالية من ذكر الله سبحانه وتعالى تقسو فيها القلوب وتبتعد عن الهداية، وإن المجالس الممقوتة تعكس سوء الأخلاق وضعف الإيمان، وتؤدي إلى تدمير العلاقات الاجتماعية وزرع الفساد في المجتمع لذا يجب على المسلم الحرص على اختيار المجالس التي تعود بالنفع عليه والتي تجلب له الطمأنينة ، ويفتح له أبواب الرحمة والفرج في حياة الانسان في الدنيا والاخرة، ويتبين أن التفسح هو ثقافة قرآنية كلية من مصاديقها هو الانفراج مع زيادة وهذه الزيادة هي طيب النفس والرضا وعدم التذمر لأنه مقرب إلى الله تعالى، فإن جميع هذه المجالس

(١) الكافي : الكليني (٢ / ٣٧٤) .

(٢) سورة النساء : آية ١٤٠ .

(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن : السيد عبد الأعلى ، الموسوي السبزواري ، مؤسسة أهل البيت (ع) ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٩ هـ ، (١٠ / ٣٧ - ٣٨) .

الفصل الثالث : مستويات الانفراج في القرآن الكريم

وخاصة المجالس المحبوبة التي أشار إليها الله تعالى التي فيها وحدانية ربي العالمين، فعند دخول المقبلين إليها، والتجمع والحضور فيها فلا بد من الجالسين من التوسع وفسح المجال لهم وأن يوسعوا لأخوانهم، لأن هذه المجالس تهدف إلى اصلاح المجتمع ومعرفة الدين معرفه حقيقية وأيضا فيها رضا لله تعالى، وهذا هو نوع من أنواع الإنفراج للإنسان وذلك من خلال تعلم آداب المجالس والتخلق بأخلاق النبي (صلى الله عليه وآله) والتواضع والإيثار والتفصح والتوسع لإخواننا المؤمنين في المجالس .

المطلب الثاني : النشوز اختيارا :

أولا : الدلالة اللغوية : قال ابن فارس (ت : ٣٩٥ هـ) إن العصيان مشتق من النشز، وهو المكان المرتفع من الأرض، ثم توسع فيه فاستعمل في الترفع مطلقا، والنشز هو المكان العالي المرتفع وإن النشز والنشوز الارتفاع، ثم استعير فقيل: (نشزت المرأة استعصت على بعلها، وكذلك نشز بعلها جفاها وضرها)^(١)، وقال ابن منظور: النشز: (المتن المرتفع من الأرض، وهو أيضا ما ارتفع عن الوادي إلى الأرض، والجمع أنشاز ونشوز)^(٢) وقال: الرازي النشز: (هو المكان المرتفع من الأرض، وجمعه نشوز، وكذا النشز بفتحيتين، وجمعه أنشاز ونشزت المرأة استعصت على بعلها وأبغضته)^(٣)، كما قال الله سبحانه وتعالى في قوله : ﴿... وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا...﴾^(٤)، أي نرفعها عن الأرض لنؤلفها، وجاء في المعجم الوسيط: فقد كان أكثر إحاطة بمدلول النشوز حيث جاء فيه: نشز الشيء نشزاً ونشوزاً، ارتفع ، ونشز المرأة أو الرجل بالزوج استعصى وأساء العشرة^(٥) .

يظهر للباحث : أنَّ النشوز يستعمل في معنى الرفع مطلقا سواء كان في الأمور المادية أم المعنوية .

ثانيا : الدلالة الاصطلاحية : ويعرفه بعض الفقهاء يراد به: هو مَعْصِيَةُ المرأةِ زَوْجِهَا فيما فَرَضَ اللهُ عليها مِنْ طَاعَتِهِ، والمرأةُ النَّاشِزُ: هي المَرْتَفِعَةُ على زَوْجِهَا، النَّارِكَةُ لِأَمْرِهِ، المَعْرِضَةُ عنه^(٦) ^(٧) .

ثالثا: الدلالة القرآنية : إن الدلالة القرآنية تعطي مصاديق بلاغية تضي معان ترتيبيه من خلالها ترتسم اللوحة الفنية المتكاملة التي تحرك المكلف نحو المكاف به بشكل يضمن الاستمرار والدوام في امتثال المكلف، وكذلك في جانب الزجر عبر صدور النواهي التحريمية

(١) ينظر : معجم مقاييس اللغة : لابن فارس (٥ / ٤٣١) .

(٢) لسان العرب : ابن منظور (٥ / ٤١٧) .

(٣) مختار الصحاح : زين الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت : ٦٦٦ هـ) ، تح: يوسف الشيخ محمد ، المكتبة العصرية ، الدار النموذجية ، بيروت - صيدا ، ط ٥ ، ١٤٢٠ هـ ، (١ / ٣١٠) .

(٤) سورة البقرة : آية ٢٥٩ .

(٥) ينظر : المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) ، الناشر : دار الدعوة ، د . ط ، د . ت ، (٢ / ٩٢٢)

(٦) ينظر : المغني ابن قدامة : أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت : ٦٢٠ هـ) ، الناشر: مكتبة القاهرة ، د . ط ، ١٣٨٨ هـ ، (٧ / ٣١٨) .

(٧) ينظر : الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية ، العاملية ، زين الدين بن علي الجبعي (ت : ٩٦٥ هـ) ، (تح : السيد محمد كلانتر) ، ط ١ ، ١٣٨٦ هـ ، (٥ / ٤٢٩) .

والتنزيهية لغرض تقبيح صورة المنهي عنه في أفق نفس المكلف ، ومن الآيات القرآنية الكريمة التي أستعملت هذا الأسلوب هي أربع آيات كقوله تعالى :

١- قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾^(١) .

٢- قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا، فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ، قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ، وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ، وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^(٢) .

٣- قوله تعالى : ﴿ الرَّجَالُ قَوَامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴾^(٣) .

٤- قوله تعالى : ﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَصَالِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾^(٤) .

والناظر : في هذه الآيات يرى أن النشوز وأحكامه يتناسب مع الطابع العام في العهد المدني بحكم وروده في آيات وسور مدنية، ونصف موارده في سورة النساء التي خصصت مقاطع منها لمعالجة قضايا المرأة والأسرة، ولذلك فهو مفهوم صفته الغالبة عليه يعالج الجانب المتعلق بالنساء وقضايا الأسرة .

أما النصف الآخر من الموارد فالنشوز فيه استعمل بمعناه اللغوي، أي الارتفاع والعلو الحسي كقوله تعالى ﴿ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِرُهَا ﴾ أي : كيف نرفعها أو نرفع بعضها على بعض في التركيب، أي نركب بعضها فوق بعض لإحيائها، وقوله عز وجل : ﴿ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا ﴾ فهو بمعنى القيام من المجلس، أي الارتفاع عنه وبذلك تنحصر الدلالة الاصطلاحية للفظ النشوز في القرآن الكريم في آيتي النساء التي سنكشف سياق استعماله فيهما .

(١) سورة المجادلة : آية ١١ .

(٢) سورة البقرة : آية ٢٥٩ .

(٣) سورة النساء : آية ٣٤ .

(٤) سورة النساء : آية ١٢٨ .

١- قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾، في بيان هذه الآية ﴿ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فانشُرُوا ﴾، وهو المتضمن أدباً من الآداب النبوية، وإن النشور هو الارتفاع عن الشيء والذهاب عنهم، وإن النشور عن المجلس هو أن يقوم الإنسان عن مكانه أو مجلسه حتى يجلس فيه غيره، إعظماً له، وتواضعاً لفضله وإن المعنى منه وهو إذا قيل لكم قوموا ليجلس مكانكم من هو أحسن وأفضل منكم في مستوى العلم أو في مستوى التقوى فقوموا^(١)، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾، وذكر معنى قوله : ﴿ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فانشُرُوا ﴾ أي: إذا قيل لكم قوموا فقوموا ولا ينبغي أن تضجروا أو تسأموا أو تملوا من الوقوف، وذلك لأن المقبلين أحيانا يكونون أحوج إلى الجلوس من الجالسين في المجلس، وذلك لشدة الإرهاق والتعب أو الكهولة أو الاحترام الخاص لهم ، وغيرها من هذه الأسباب وهنا يجب أن يؤثر الحاضرون على أنفسهم ويكونون مقيدين بهذا الأدب الإسلامي^(٢) .

٢- قوله تعالى : ﴿ الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُورَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً ﴾، بيان سبب نزول هذه الآية، قال مقاتل: نزلت هذه الآية في سعد بن الربيع بن عمرو وهو من النقباء وفي امرأته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير وهما من الأنصار ذلك لأنها نشزت عليه فقام بلطمها فأخذها أبوها معه، وذهب إلى النبي (صلى الله عليه واله وسلم)، فقال أفرشته كريمتي فلطمها، عندها قال النبي (صلى الله عليه واله وسلم) لتقتص من زوجها فذهبت مع أبيها لتقتص منه، فقال النبي (صلى الله عليه واله وسلم)، أوقفهم وأرجعهم فقال هذا جبرائيل أتاني وقد أنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية فقال والذي أراده الله فهو الخير ورفع القصاص عنهم، ومعنى قوله: ﴿ الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾ أي: مسلطون وقيمون عليهن في كل من التدبير والتأديب والتعليم ذلك ﴿ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ الرجال عليهن وهذا هو توضيح وبيان سبب تولية الرجال عليهن بالعلم والعقل وحسن الرأي والعزم ﴿ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ على أزواجهن من المهر والنفقة وهذا كله بيان علة تقويمهم عليهن وتوليتهن أمرهن ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ ﴾ أي: مطيعات لله تعالى ولأزواجهن، ﴿ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ ﴾ ذلك في حال غياب أزواجهن فهن حافظات فزوجهن لأنفسهن وأيضاً حافظات لأموال أزواجهن في حال غيابهم راعيات الحقوق ﴿ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ أي: بما حفظ الله تعالى في مهورهن، وألزم على

(١) ينظر : الميزان في تفسير القرآن : الطباطبائي (١٩ / ١٨٨)

(٢) ينظر : الأمتل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، (١٨ / ١٢٧) .

أزواجهم النفقه ﴿ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ ﴾، والمعنى من هذا القول هو إن النساء اللاتي تخافون نشوزهن ذلك من خلال ظهور أسبابه وأماراته الدالة عليه وإن نشوز المرأه هو عصيانها لزوجها وإستيلاؤها عليه ومخالفتها إياه ﴿ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ﴾، فإن معنى هذه الآية فعظوهن تدل على عدة وظائف مرتبة، منها العظة بالقول والنصيحة وإذا لم يؤثر ولم ينجح الوعظ والنصح بالقول فاهجورهن في المضاجع أي في الفراش والمبيت عندهم فعند ذلك سوف يتبين ويظهر حبها للزوج ومن عدمه^(١)، وبيان أخر للآية: ﴿ الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾، أي: يقومون عليهن كما يقوم الولاة على الرعية، وذلك بسبب تفضيل الله تعالى الرجال على النساء في كمال العقل، وحسن التدبير، وقوة التحمل في الأعمال والطاعات، وبما أنفقوا من أموالهم على الزواج، كالمهر والنفقة، ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ ﴾، أي مطيعات، ﴿ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ ﴾، أي: يحفظن أنفسهن وأموال أزواجهن، بما حفظ الله تعالى، أي بتوفيق الله لهن، ﴿ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ ﴾، أي تمردهن وارتفاعهن عن طاعتكم ﴿ فَعِظُوهُنَّ ﴾ بالكلام والنصح، ﴿ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ﴾ إن لم تعد العظة، ﴿ وَاضْرِبُوهُنَّ ﴾ إن لم تنفع الهجرة، ضرباً غير مبرح، لا يسبب أذى جسيماً، ﴿ فَإِنِ اطَّعْتُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً ﴾، أي لا تلجأوا إلى التوبيخ أو الأذى بعد عودتهن للطاعة، ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً ﴾ فاحذروا تجاوز الحدود، فالله تعالى أقدر عليكم منكم على من تحت أيديكم^(٢).

٣- قوله تعالى : ﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصَالِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾، بيان تفسير هذه الآية: علمت من زوجها ﴿ نشوزاً ﴾ يعني استعلاء بنفسه الى غيرها عنها، وارتفاعاً بها عنها، إما لبغض أو كراهة منه إلى بعض الأشياء أو الأمور التي تكون بها وهي أما دمامتها أو سنها وكبرها وغير هذه من الأمور أو ﴿ إعراضاً ﴾ وهو يعني انصرافاً عنها بوجهة أو من بعض المنافع التي كانت لها من عنده ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصَالِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ﴾ وهي مصالحة بين المرأة وزوجها فلا حرج عليهما، وعلى المرأة الخائفة من نشوز زوجها أو بعلها أو يقوم بإعراضه عنها، بأن يصلحا بينهما صلح، وأن تقوم باستعطافه من خلال اسقاط بعض الواجبات منه، أو أن تترك له يوم من أيامها التي لها فيها حق شرعي، وتتمسك بالعقد الذي بينها وبينه ومن النكاح، وإن الصلح خير وهذا كله هو خير من الفراق

(١) ينظر : مجمع البيان في تفسير القرآن : الطبرسي، (٣ / ٦٨ - ٦٩) .

(٢) ينظر : الأصفى في تفسير القرآن : الشيخ ملا محسن الفيض الكاشاني (١٠٩١ هـ) ، (١ / ٢٠٧) .

والطلاق^(١)، وبيان آخر في تفسير هذه الآية : فقد جاء في سبب نزول الآية الكريمة في كتب التفسير انه كان في زمن النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) شخص يدعى باسم رافع بن خديج وله زوجتان فكانت الزوجة الأولى كبيرة بالسن عجوز، والثانية شابة، فأخذ رافع وطلق زوجته الأولى العجوز بسبب خلافات بينهما، وقبل أن تنتهي عدتها فعرض عليها الصلح شارطاً عليها أن لا تتزوج إذا قدم زوجته الشابة عليها، أو تصبر حتى تنتهي عدتها وعندها يتم الفضل والفراق بينهما، فعندها قبلت زوجته العجوز الشرط فتصالحاً، وعندما نزلت هذه الآية المباركة التي تبين حكم هذا العمل^(٢)، وان في البيان الدلالي لمعنى الآية الكريمة الإشارة إلى نشوز الرجل فإن الآية الكريمة تتحدث من إحساس المرأة من زوجها بالتكبر والإعراض عنها، بأنه لا مانع لديها من أن تتنازل من بعض حقوقها الزوجية، وأن تتصالح مع زوجها، وذلك من أجل تقوية وحماية العلاقة الزوجية من التصدع والفسل، وعندها تقول الآية ﴿ وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصَالِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ﴾، وعندما تكون المرأة هي التي تتنازل عن بعض حقوقها الزوجية طوعاً وعن طيب خاطر وبدون إكراه فعندها لا ذنب ولا حرمة في هذا العمل بحيث عبرت الآية المباركة عن كل ذلك بعبارة ﴿ فلا جناح ﴾ أي: بمعنى لا ذنب، وعند إمعان النظر في سبب نزول هذه الآيات نستخلص منها مسألتين فقهييتين :

الأولى : إن الحكم في تقسيم أيام الأسبوع بين الزوجات، يكون له طابع الحق أكثر من طابع الحكم، وبذلك يكون بإمكان المرأة التخلي عن الحق وبالشكل التام إذا شاءت ورغبت أو بصورة جزئية .

الثانية : التراضي والتصالح لا يشترط أن يكون بالمال، بل يصح أن يكون بالتنازل والتفاهم عن أي حق من الحقوق، وبعد كل ذلك تؤكد لنا الآية المباركة أن الصلح هو خير وأحسن، وذلك كما قالت الآية ﴿ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ وإن هذه الجملة تبين قانوناً كلياً عاماً شاملاً، وتؤكد بأن الصلح هو المبدأ الأساس والأول في كل المجالات، ويكون عكس الخلاف والنزاع والفراق الذي ليس له وجود في الطبع والفطرة الإنسانية السليمة^(٣) .

وتشير الآية : إلى أنّ الإنسان بسبب غريزة حب الذات التي يمتلكها فإنه تحيط به بوادع البخل بحيث يكون كل شخص منهم تراه يسعى للحصول أو نيل حقوقه من دون تنازل عن أي شيء منها فهذا هو سبب رئيسي ومنبع النزاع والصراع كما قالت الآية المباركة: ﴿ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ

(١) ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت : ٣١٠ هـ)، دار المعرفة، بيروت، ط ١، ١٤١٢ هـ، (١٩٦ / ٥) .

(٢) ينظر : الأمل في تفسير كتاب الله المنزل : ناصر مكارم الشيرازي (٣ / ٤٧٣) .

(٣) ينظر : المصدر نفسه، (٣ / ٤٧٤) .

الشُّحَّ ﴿ فلو أدرك كلا الزوجين بأنَّ البخل هو المنبع الرئيسي لكثير من الخلافات وأنه من الصفات القبيحة، واتخذوا قراراً وسعوا فيه لإصلاح ذات بينهم وأثاروا فيما بينهم بالعفوا والصفح، فهذا سوف يؤدي إلى التغلب والقضاء على الكثير من الصراعات الاجتماعية ولكي لا يسيء الرجال باستغلال هذا الحكم الوارد في الآية المباركة، فوجه الخطاب إليهم في نهايتها ودعوا إلى فعل الخير والتزام التقوى، وقد نبهوا إلى أن هناك رقيب وهو الله تعالى الذي يراقب كل أعمالهم دائما فلينتبهوا وليحذروا الانحراف عن جادة الحق والصواب، فتقول الآية بخصوص هذا المجال: ﴿ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾^(١) (٢).

رابعا : بيان الأحكام الفقهية للنشوز في القرآن الكريم :

النشوز في القرآن الكريم يُعد من المواضيع الفقهية المهمة التي تناولها الإسلام باعتباره سلوكًا قد يؤثر على استقرار الحياة الزوجية، وقد ورد ذكر النشوز في سياق العلاقة بين الزوجين حيث يُقصد به خروج أحد الطرفين عن واجباته الشرعية أو حدوث تقصير يهدد انسجام الأسرة، وقد تناول القرآن الكريم هذه القضية بأسلوب يعالجها بالحكمة والتدرج، بدءًا بالنصح والإرشاد، ثم اتخاذ تدابير تهدف إلى الإصلاح، مع التأكيد على تحقيق العدل والمحافظة على حقوق الطرفين وتهدف الأحكام الفقهية المتعلقة بالنشوز إلى ضمان استقرار الأسرة وتوجيه العلاقات الزوجية بما يحقق السكينة والمودة، وقد عرف الفقهاء النشوز بتعريفات كثيرة ومتقاربة تدور كلها في فلك واحد وهو الخروج عن الطاعة الواجبة عليها لزوجها، وعليه سوف نتطرق إلى هذا التعريف من خلال ذكر كل مذهب على حدة :

١- عند فقهاء الحنفية :

عرف بأنه : خروج الزوجة من بيت زوجها بغير حق^(٣)، وهذا التعريف غير جامع بمظاهر النشوز، بل اقتصر على مظهر واحد وهو خروجها من بيت زوجها بغير حق ولم يتناول بقية المظاهر، وعرف أيضاً: الناشز: هي الخارجة من بيت زوجها بغير إذنه، المانعة نفسها منه^(٤).

(١) سورة النساء : آية ١٢٨ .

(٢) ينظر : الأمتل في تفسير كتاب الله المنزل : مكارم الشيرازي (٣ / ٤٧٥) .

(٣) ينظر: رد المحتار على الدر المختار : ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين دمشقي الحنفي (ت: ١٢٥٢هـ) ، الناشر: دار الفكر- بيروت ، ط ٢، ١٤١٢هـ، (٣ / ٥٧٦) ، وهو فقيه حنفي من دمشق في القرن الثالث عشر الهجري ولد عام (١١٩٨هـ) وهو من كبار فقهاء الحنفية في عصره .

(٤) ينظر: تبين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشلبي : عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي (ت : ٧٤٣ هـ) ، الحاشية: شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يونس بن إسماعيل بن يونس الشلبي (ت : ١٠٢١ هـ) ، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية - بولاق، القاهرة ط ١، ١٣١٣ هـ ، (٦ / ٢٢١) ، ولد بالقرن السابع الهجري (تقديريا) ، المذهب حنفي، عاش في مصر، حيث درس ودرس الفقه الحنفي .

من خلال ذلك نلاحظ أن النشوز عند الحنفية هو خروج المرأة من منزل زوجها بغير إذنه أو عدم تمكينه من دخول بيتها أو منعها نفسها منه بغير حق .

٢- عند فقهاء المالكية :

النشوز : هو الخروج عن الطاعة الزوجية الواجبة، كأن منعه الاستمتاع بها أو خرجت بلا إذن لمحل تعلم أنه لا يأذن فيه، أو تركت حقوق الله سبحانه وتعالى، كالطهارة والصلاة أو أغلقت الباب دونه أو خانته في نفسها أو ماله (١) .

وخلاصة تعريف النشوز في قول المالكية : بأنه الخروج عن طاعة الزوج بمنعه الوطء أو الخروج بغير إذنه أو الامتناع من الدخول لغير عذر ونحو ذلك، ويتبين من خلال ذكر التعريفات التي ذكرت عند فقهاء الحنفية والمالكية، أنها كلها متقاربة تدور حول شيء وهو معصية الزوجة لزوجها فيما يجب عليها من طاعة كأن تمتنع عنه إذا دعاها إلى فراشه أو تجيبه كارهة أو تخرج من بيته بغير إذنه أو تمتنع عن الانتقال معه إلى سكن مثلها أو من السفر معه ويمكن لنا أن نستنتج: تعريفاً من التعاريف المذكورة، النشوز: هو عصيان المرأة زوجها وامتناعها عن أداء واجباتها بغير حق شرعي .

أحكام النشوز في الشريعة الإسلامية عند الإمامية :

ان الأصل في النشوز على وفق الصناعة الفقهية هو الحرمة وذلك يعود للأسباب متعددة منها :

أولاً : يخالف نصوص الكتاب والسنة التي جاءت بوجوب طاعة الزوجة زوجها ووجوب إحسان الزوج لزوجته ، فعده الشرع عصياناً لطاعة الزوج المأمور بها وترك الواجب حرام .
ثانياً : ان الله سبحانه وتعالى قد رتب عقوبة على نشوزها ولا تكون عقوبة إلا على فعل محرم أو ترك واجب وبعبارة أخرى العقوبة إنما تكون على فعل المحظور الشرعي وهو حرام، قال تعالى : ﴿ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ﴾ (٢)، إلا أن درجات التحريم تختلف من صورة إلى أخرى فمن تأبى أن تمكن زوجها من الاستمتاع بها ووطنها ليس كمن تظهر التناقل والتضجر ومن السخط والملل ليس كمن يمنع زوجته النفقة ويتقرر على هذا التفاوت في الدرجات، التفاوت في التبعات والأحكام المترتبة على وصف النشوز.

(١) ينظر : الشرح الكبير : محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي (ت : ١٢٣٠ هـ) ، الناشر : دار الفكر ، د . ط ، د . ت ، بهامش حاشية الدسوقي (٢ / ٣٤٣) .

(٢) سورة النساء : آية ٣٤ .

أنواع النشوز :

تبين من محتوى النصوص القرآنية أن النشوز يكون على نوعين وهما نشوز الزوجة ونشوز الزوج، وفي لحاظ نشوز الزوجة وكذلك الزوج هناك عدة أقوال :

القول الأول : السيد السيستاني (دام ظله) بالقول^(١):

أولاً : نشوز الزوجة :

- ١- خروجها عن طاعة الزوج الواجبة عليها .
- ٢- عدم تمكينه مما يستحقّه من الاستمتاع بها .
- ٣- عدم إزالة المنقّرات المضادّة للمتّنع والالتذاذ منها .
- ٤- ترك التنظيف والتزيين مع اقتضاء الزوج لها .
- ٥- خروجها من بيتها من دون إذنه .
- ٦- لا يتحقّق النشوز بترك طاعته فيما ليس واجباً عليها، كخدمة البيت ونحوها .

ثانياً : نشوز الزوج :

- ١- منع الزوجة من حقوقها الواجبة عليه .
- ٢- ترك الإنفاق عليها .
- ٣- ترك المبيت عندها في ليلتها .
- ٤- هجرها بالمرّة .
- ٥- إيذاؤها ومشاكستها من دون مبرّر شرعي .

القول الثاني : السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم (قدس سره الشريف) بالقول^(٢)

أولاً : نشوز الزوجة :

- ١- إذا نشزت الزوجة (امتنعت عن طاعة الزوج) ولم تؤدّ حقه، يعظها الزوج ويذكّرها بحقوقه إذا لم تستجب، يهجرها في المضجع، إذا لم ينفع، له أن يضربها ضرباً غير مبرح (لا يكسر عظماً ولا يسبب جرحاً) .

(١) منهاج الصالحين: السيد السيستاني (دام ظله)، الفصل ١١، في أحكام النشوز والشقاق في مسألة (٣٥٠) ، د . ط ، ديت ، (١٠٦ / ٣) .

(٢) ينظر : الاحكام الفقهية العبادات والمعاملات : السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم (ت : ١٤٤٣ هـ) النشر: مؤسسة المرشد ، لبنان ، بيروت ، ط ٨ ، ١٤٢٤ هـ (٣٧١) .

ثانياً : نشوز الزوج :

- ١- إذا نشز الزوج لم يكن للزوجة النشوز معه والامتناع عن أداء حقه ، نعم لها أحد الامرين:
أ - أن ترفع أمرها للحاكم الشرعي، فيلزمه بأداء الحق، ومع امتناعه له تعزيره، كما أن له إلزامه بالطلاق إذا طلبته الزوجة، فإن أمتنع طلق عنه .
ب - أن تتنازل عن بعض حقوقها كالمبيت ونحوه تأليفاً له وتجنباً لتفاقم الأمر حذراً من الطلاق .

ثالثاً : التوجيهات الشرعية للزوجين في حالة النشوز :

- ١- الزوج مسؤول عن القوامة، وعليه، التحلي بالحكمة وسعة الصدر في التعامل مع الأزومات الزوجية، وتجنب العنف أو التعسف في استخدام القوامة.
- ٢- الزوجة مسؤولة عن استقرار بيتها، وعليها، السعي لإرضاء الزوج وتجنب التصرفات التي تؤدي للنشوز، التذكّر أن طاعة الزوج حق عظيم عليها، والحذر من نزغات الشيطان التي تؤدي للخلافات الزوجية.

القول الثالث : العلامة المحقق الحلي (رحمه الله)^(١) :

النشوز : وهو الخروج عن الطاعة، وأصله الارتفاع، وقد يكون من الزوج كما يكون من الزوجة.

أولاً : يكون نشوز الزوجة بظهور أثره :

- ١- أن تقطب في وجهه .
 - ٢- تتبرم بحوائجه .
 - ٣- تغير عاداتها في أدبها.
- جاز له هجرها في المضجع بعد وعظها.

صورة الهجران :

- ١- يحول لها ظهره في الفراش.
 - ٢- أن يعتزل فراشها الأول مَرَضِي .
 - ٣- لا يجوز له ضربها والحال هذه.
- أما لو وقع النشوز :** وهو الامتناع عن طاعته فيما يجب له، جاز ضربها، ولو بأول مرة، ويفتصر على ما يؤمل معه رجوعها، ما لم يكن مدمياً ولا مبرحاً.

^(١) ينظر: شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام : نجم الدين جعفر بن الحسن الحلي ، المحقق الحلي، (ت : ٦٧٦ هـ) النشر استقلال ، أمير ، قم ، ط ٥ ، ١٤٢١ هـ ، (١ / ٥٦٠) .

ثانياً : نشوز الزوج :

إذا ظهر من الزوج النشوز بمنع حقوقها ، فلها المطالبة ، وللحاكم إزامه ولها ترك بعض حقوقها، من قسمه ونفقة، استمالة له ، ويحل للزوج قبول هذا .

الخلاصة :

النشوز من الطرفين يؤدي إلى اضطراب الحياة الزوجية، وان الإسلام قد وضع حلولاً تدريجية للنشوز، تبدأ بالموعظة ثم الهجر وأخيراً التدخل القضائي، وإن الصبر والتسامح والتفاهم هو أساس لاستقرار الأسرة.

إثبات نشوز الزوجة ورجوعها عن النشوز :

إن نشوز الزوجة أمر خطير يتطلب إجراءات طويلة لإثبات نشوز هذه الزوجة لأنه ليس من السهل اتهام الزوجة بالنشوز ذلك أنه يفقدها الكثير من حقوقها كالنفقة والسكنى ولذلك فإن معظم الدول العربية تضمنت في قوانينها إجراءات إثبات نشوز الزوجة وهذه الدعوى في نظر القانون فيها المصلحة لكلا الطرفين، لأنها دعوة تدعو الزوجة للرجوع إلى بيت الزوجية وتسمى في القانون دعوى متابعة الحياة الزوجية ولها تسميات مختلفة حسب كل دولة، لكن لها نفس المعنى والهدف وإذا تمكن الزوج من إثبات نشوز زوجته وذلك برفضها الرجوع لبيت الزوجية، فإن الزوج يطلقها دون أن يدفع تعويض عن الطلاق، كما أن الزوجة تفقد معظم حقوقها، ولكن إذا رجعت بعد هذه الدعوى فإن كل حقوقها تعود لها ويعد إثبات نشوز الزوجة من الأمور المستعصية بالنسبة للزوج أمام القضاء، خاصة في بعض الأمور التي لا يمكن ملا حظتها أو لأنها تتم سراً بين الزوجين في الغرفة الواحدة، بحيث لا يملك دليلاً قاطعاً ولا جهوداً على ذلك لكن القانون منح له طرق عملية لإثبات نشوز زوجته أمام المحكمة، وكل تشريع له نظرة خاصة وصيغة خاصة لدعوى إثبات النشوز وهذه الدعوى فرصة للزوجة للتراجع عن نشوزها والرجوع لزوجها .

يثبت نشوز الزوجة من عدم رغبتها في مساكنة زوجها دون أي مبرر معقول وعدم مساكنة الزوجة زوجها من شأنه أن يلحق ضرراً به ويعد إخلالاً بواجب حسن المعاشرة وموجباً للطلاق للضرر بناء على ثبوت النشوز .

إثبات النشوز في الشريعة الإسلامية :

علامات النشوز أمور مرئية ومسموعة، مع ذلك فإنها تحصل داخل البيوت، لذلك يصعب إثباتها، ولما للبيوت وأسرارها من أهمية لاستمرار الحياة الزوجية وسعادتها واستقرارها، وذلك روي في حديث أبا سعيد الخدري : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن من أشر

الناس عند الله منزلة يوم القيامة، الرجل يفضي إلى امرأته، وتفضي إليه، ثم ينشر سرها، وتنشر سره (١)، ومع ذلك فإنه يمكن إثبات حالة نشوز الزوجة بإحدى طرق الإثبات الشرعية مثل : (شهادة الشهود كالجيران والأقارب أو بالإقرار) وهو سيد الأدلة في حق المقر، وقد يلجأ القاضي إلى اليمين كما هو معروف من طرق الإثبات المعتمدة في المحاكم الشرعية، ولا يقوم أحد الزوجين بالعمل على إثبات نشوز الآخر، قبل أن يعمل على علاج ذلك بالطرق الشرعية ومحاولة إصلاح الأمر داخل البيت قبل كل شيء وإذا اشتكى أحد الزوجين أو كلاهما عن نشوز صاحبه وتكرار الأمر، ولم يتمكن من إثبات ذلك أمام القضاء، أسكنهما القاضي بجوار عدل ليسمع ويرى من يسيء إلى صاحبه ويعلم القاضي بذلك ليرفع الظلم عن المظلوم ويعاقب الظالم كما بين الشرع (٢).

رجوع الزوجة عن النشوز :

إذا رجعت الزوجة عن نشوزها وعادت لطاعة زوجها كما كانت ، فليس للزوج أن يستخدم أية وسيلة من وسائل التأديب ولا غيرها، وتعود إليها نفقتها، وذلك لزوال السبب المسقط لها، وهو النشوز ووجود التمكين المقتضي لها (٣)، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴾ (٤)، وقيل في الآية (نهى عن أي صورة من صور الإيذاء للزوجة بعد ما عادت إلى الطاعة، واعتبار ذلك بغياً وعدواناً وظلماً حرمه الله تعالى يأثم بفعله الزوج وجاء في الظلال فعند تحقق الغاية تقف الوسيلة مما يدل على أن الغاية غاية الطاعة هي المقصودة، وهي طاعة الاستجابة لا طاعة الإرغام وهذه ليست طاعة تصلح لقيام مؤسسة الأسرة) (٥).

(١) صحيح مسلم : أخرجه مسلم بن الحجاج أبو الحسن ، (ت : ٢٦١ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت باب التحريم إفشاء سر المرأة ، د . ط ، د . ت (٢ / ١٩٦٠) ، رقم الحديث ١٤٣٧ .

(٢) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج : شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي (ت : ١٠٠٤ هـ) ، الناشر : دار الفكر ، بيروت ، ط أخيرة ، ١٤٠٤ هـ ، (٦ / ٣٩٢) .

(٣) ينظر : المغني : أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي ، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت : ٦٢٠ هـ) الناشر : مكتبة القاهرة ، د . ط ، ١٣٨٨ هـ ، (٨ / ٢٣٧) .

(٤) سورة النساء : آية ٣٤ .

(٥) في ظلال القرآن : سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي (ت : ١٣٨٥ هـ) ، الناشر : دار الشروق - بيروت - القاهرة ، ط ١٧ ، ١٤١٢ هـ ، (٢ / ٦٥٥) .

الحاصل :

إن مادة نشز هي مشتركة لفظاً بين الامتناع والتمرد والارتفاع عن الشيء بالذهاب عنه وعدم الملاءمة، وتحدد هذه المعاني من خلال القرينة المُعَيَّنة، وأن النشوز قرآنياً يدل على انفراج سلبي مصاحب للتمتر والتشكي وعدم طيب النفس، بل في بعض الأحيان يصدر عن المخاصمة فتترتب عليه أحكام فقهية لغرض رفع النزاع والتعدي من بعض على بعض، ويتضح أن المذاهب الإسلامية تتفق في مفهوم النشوز ويختلفون في المصاديق سعةً وضيقاً، ويتضح من خلال التعريف مفهوم النشوز عند المذاهب الإسلامية انها تتفق في المفهوم وتختلف في المصداق لأن المصاديق مختلفة فبعض المذاهب الإسلامية ضيقوا في المصاديق، كالمالكية، وبعض المذاهب الإسلامية وسعوا في مصاديق النشوز، كالإمامية، وأن مصاديق النشوز هي متغيرة بتغير الأعراف بحسب الزمان والمكان .

الخاتمة

الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات :

في نهاية المطاف وختام هذه الدراسة أحمده الله تعالى الذي جاد علي بنعمه وفضله ويسر علي بتوفيقه البحث في مفهوم الانفراج في القرآن الكريم وقد توصل إلى ما استخلص من نتائج وتوصيات خلال هذا البحث الى طائفة من النتائج وهي على نحو الاتي .

١- الدراسة التي يمكن الاعتماد عليها في إثبات مفهوم الانفراج، هي دراسة موضوعية، لأن المناهج القرآنية أساسها قائم على الأدلة سواء كانت هذه الأدلة ، فطرية قلبية أو عقلية، أو تبنى على أساس التجربة كالتفصص القرآني .

٢- السياق القرآني أصل معتبر في التفسير، يوجّه الدلالة، ويمنع سوء الفهم، ويضمن انسجام التفسير مع مقاصد الشريعة، مما يجعله أداة ضرورية للباحثين في الدراسات القرآنية والتفسيرية.

٣- ثنائية الحق والباطل، تظهر في التناقض بين الحقائق الثابتة والأوهام الزائفة، ويتحقق الانفراج عندما يُظهر الحق قوته في قلب الظنون والخدع، مما يؤدي إلى انتصار الحق على الباطل، ويتجلى هذا الانفراج عندما يتبدد الباطل أمام الحق، ويثبت أن ما كان يُظن قوة وسلطاناً ليس سوى زيف، ليظهر الحق في النهاية قوياً وثابتاً.

٤- تقوم ثنائية الخالق والمخلوق على علاقةٍ وجوديةٍ راسخة، يتجلى فيها اعتماد المخلوق الكلي على خالقه ويظهر الانفراج في هذه الثنائية في عدّة مستويات: في البعد الوجودي بخلق المخلوق من العدم، وفي البعد الروحي من خلال عودة الإنسان إلى ربه بالتوبة والعبادة، مما يمنحه الطمأنينة والسكينة، وفي البعد الأخروي حيث تتحقق العدالة الإلهية وبهذا، فإن ثنائية الخالق والمخلوق ليست علاقةً تضاداً، بل علاقةً تعبر عن التوازن المحكم في الكون.

٥- بعض الآيات القرآنية يكون فيها الفرج والانفراج عنصر متحرك ومشارك في العديد من الآيات، سواء كان صريحاً أو مستنبطاً، وهذا يدل على أن أسباب الفرج لا تقتصر فقط على الدلالة المطابقية الصريحة، بل تشمل أيضاً معانٍ أوسع يمكن استنباطها من النصوص القرآنية، مما يبرز تنوع وتعدد أشكال الانفراج في القرآن الكريم.

٦- بعض النصوص القرآنية يكون فيها الاستغفار والتوبة من أعظم أسباب الفرج، فهما يدفعان المكروه ويجلبان المنافع، خاصة إذا كانت الشدة ناتجة عن الذنوب، فإن كانت المصيبة عقوبة لذنوب، أو كان الإنسان مستمراً في معصيته، فإن التوبة الصادقة والاستغفار يكونان سبباً لكشف الكربة وإزالة الغمة، مما يؤكد ارتباط الفرج بالرجوع إلى الله سبحانه وتعالى .

٧- بعض النصوص القرآنية يكون فيها الخوف والرجاء سبباً للفرج بعد الشدة، فالرهب يمنع الإنسان من المعصية، والرغب يدفعه للطاعة، وعند الشدة، يدفعه خوفه إلى محاسبة نفسه، فيقبل على الله بالتوبة والاستغفار، وهما من أهم أسباب الفرج. كما أن أثرهما يمتد ليحفز الإنسان على

طلب رحمة الله ومغفرته.

٨- بعض النصوص القرآنية يكون فيها الصبر والصلاة وسيلتان للفرج، فالصبر يمنح القوة والصلاة تجلب الطمأنينة، وخشوع القلب يجعلها ملاذًا للراحة، كما أن معية الله للصابرين تمنح اليقين بأن الفرغ قريب، مهما بلغت الشدة.

٩- بعض النصوص يكون الخير والشر كلاهما داخل في مشيئة الله سبحانه وتعالى وخلقه، لكن الخير يُنسب إليه مباشرة، بينما يُنسب الشر إلى مفعولاته تأديبًا، والشرور قد تكون ابتلاءً أو عقوبة وفقًا لحكمة الله تعالى البالغة، مما يبرز ارتباطها بالفرج، حيث يأتي الانفراج بعد الصبر والثبات، تحقيقًا للحكمة الإلهية في تقدير الأمور.

١٠- نظرية الأمر بين أمرين تحقق توازنًا بين مسؤولية الإنسان ومشية الله تعالى، حيث ترفض الجبر المطلق الذي ينفي اختياره، كما ترفض التفويض التام الذي يجعله مستقلاً عن إرادة الله تعالى، فهي تجعل الإنسان مسؤولاً عن أفعاله دون أن يخرج عن المشيئة الإلهية، مما يجعلها تصورًا معتدلاً ينسجم مع العدل الإلهي، ويوازن بين الجبرية والتفويض المطلق.

١١- يتضح أنّ الهداية تُمثل انفراجًا للطريق، حيث تُميز الحق من الباطل دون أن تستلزم الجبر أو التفويض، فهي تقوم على مبدأ (الأمر بين أمرين) على نحو الاقتضاء، لا العلية التامة، والله سبحانه بحكمته لم يُجبرني على الطاعة أو المعصية، كما لم أخرج عن سلطانه في أفعالي، بل مكّنتني من الاختيار لِيُمَيِّزَ المطيع من العاصي، فيثيب المطيع باختياره، ويعاقب العاصي على جرأته بمعصيته.

١٢- أخلص إلى أنّ التواضع في القرآن الكريم يُعتبر صفةً محمودةً تدل على السكينة وبعده عن الغرور، بينما التفاخر يُحذر منه إذا كان منصبًا على زينة الدنيا، ومع ذلك، قد يكون التفاخر محمودًا إذا كان مرتبطًا بشكر الله تعالى والتنافس في الخير، لذا، التواضع هو سبيل الرفعة الحقيقية، والتفاخر يمكن أن يكون إيجابيًا إذا ارتبط بالامتنان لله تعالى واعتراضًا بفضله.

١٣- أخلص إلى أنّ القسوة تنشأ من الابتعاد عن الله تعالى وغياب الرحمة، وهي نتيجة لتراكم الذنوب والإعراض عن التوبة، يمكن التخلص منها بالعودة إلى الله تعالى بتوبة صادقة والإكثار من ذكره، والتدبر في القرآن، والتعامل مع الآخرين بلين ورفق، بهذه الطريقة، تتحول القسوة إلى فرصة للانفراج الروحي والهدوء الداخلي.

١٤- أتوصّل إلى أنّ الرحمة هي مفهوم واسع يشمل كل خير ويحقق انفراجًا في الحياة، حيث إنّ الشخص الرحيم يجد السعادة والطمأنينة في الدنيا والآخرة، ويعيش بسلام مع من حوله، الرحمة تخلق بيئة من التفاهم والهدوء على المستويين الفردي والمجتمعي.

١٥- أتوصّل إلى أنّ النفوس في المجالس هو ثقافة قرآنية تعكس الانفراج والرضا، حيث يُعتبر

التوسع وإفساح المجال لإخواننا المؤمنين في المجالس من وسائل التقرب إلى الله تعالى. من خلال التمسك بأداب المجالس والتخلق بأخلاق النبي صلى الله عليه وآله، نساهم في إصلاح المجتمع وتعميق المعرفة الدينية، مما يؤدي إلى تحقيق الانفراج الحقيقي والتعاون بين المؤمنين..

١٦- أتوصل إلى أنّ النشوز في القرآن يدل على انفراج سلبي مرتبط بالتنمر والتشكي والمخاصمة، ويترتب عليه أحكام فقهية لرفع النزاع، والمذاهب الإسلامية تتفق في مفهوم النشوز وتختلف في مصاديقه من حيث السعة والضيق، حيث ضيق بعضها مثل المالكية، بينما وسعته مذاهب أخرى مثل الإمامية، كما أنّ مصاديق النشوز تتغير بتغير الأعراف حسب الزمان والمكان.

١٧- تم تناول آيات القرآن الكريم عبر دراسة موضوعية لما له أهمية خاصة في ربط الباحث بكلام ربه، وتفسيره وشرح معانيه، لما له من أثر ملموس في تلك الدراسات .

١٨- اتضح ان للفرج أسباباً متعددة ومتنوعة وكثيرة، يمكن أن يكون معلقاً بسبب، ليدل على أهمية هذه الأسباب ليتفهمها المسلم لتكون له ذخراً، اذا ماحدثت له شدة أو مصيبة أو بلاء أو وقع في كربة .

١٩- اتضح لنا أن الله سبحانه وتعالى قد جعل الفرج سنة من سننه، تقع على من يشاء من عباده كما جعل الشدة سنة من سننه ، فالمؤمن الحقيقي في هاتين الحالتين يكون على هدى ونور من ربه، يشكر الله تعالى على كل هذه النعم والخير، وأن يستغفر الله تعالى على كل ضرر قد يصيبه ويصبر عليه .

٢٠- في هذا البحث يظهر لنا لطف من الله سبحانه وتعالى لكل من صبر وجاهد وعمل واتفق وفي آخر مطافه ينال رضا الله سبحانه وتعالى ولطفه وعنايته والفرج له.

التوصيات :

١- التكتيف من الدراسات القرآنية الموضوعية، والخاصة في القضايا التي لها تأثير في هذه الأمة لما لها من أثر فعال في نهوض الأمة من سباتها، وجعل طريق مستقيم للخروج من هذه البلايا والفتن .

٢- أوصي المراكز والأقسام العلمية المختصة بالدراسات القرآنية بوضع خطط شاملة للموضوعات المهمة، وتهيئة السبل أمام الباحثين لدراساتها في ضوء آيات القرآن الكريم، مع الدعوة إلى مشروع علمي يُعنى بجمع الدراسات السابقة، وتصنيفها وفق معايير علمية دقيقة ونشرها في أعداد متتالية تسهم في إثراء المعرفة وخدمة المجتمع .

المصادر والمراجع

القران الكريم :

- ١- الإبانة الكبرى ، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَرِي المعروف بابن بَطَّة العكبري (ت : ٣٨٧ هـ) ، تح : رضا معطي ، و عثمان الأثيوبي ، ويوسف الوابل ، والوليد بن سيف النصر ، و حمد التويجري ، دار الراهة للنشر والتوزيع ، الرياض عن شريعة الفرقة الناجية ، لابن بطة العكبري ، د. ط ، د. ت .
- ٢- الاحكام الفقهية العبادات والمعاملات ، السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم (ت : ١٤٤٣ هـ) مؤسسة المرشد ، لبنان ، بيروت ، ط ٨ ، ١٤٢٤ هـ .
- ٣- أدب الدنيا والدين ، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي ، الشهير بالماوردي (ت : ٤٥٠ هـ) ، الناشر : دار مكتبة الحياة ، د. ط ، ١٩٨٦ م .
- ٤- إرشاد الأذهان الى تفسير القرآن ، محمد بن حبيب الله ، السبزواري النجفي (ت : ١٤٠٩ هـ) ، دار التعارف للمبوعات ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ .
- ٥- إرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت : ٩٨٢ هـ) الناشر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د. ط ، د. ت .
- ٦- الأصفى في تفسير القرآن ، الفيض الكاشاني ، المولى محسن ، تح : محمد حسين درايتي ومحمد رضا نعمتي ، منشورات مكتب الإعلام الإسلامي ، قم ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ .
- ٧- أضواء البيان ، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت : ١٢٩٣ هـ) دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، د. ط ، ١٤١٥ هـ .
- ٨- الأمالي ، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن موسى بن بابويه القمي ، الشيخ الصدوق (ت : ٣٨١ هـ) تح : قسم الدراسات الإسلامية ، مؤسسة البعثة ، د. ط ، د. ت .
- ٩- الأمالي ، محمد بن الحسن ، الطوسي (ت : ٤٦٠ هـ) تح : مصحح مؤسسة البعثة ، النشر : دار الثقافة ، قم ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ .
- ١٠- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ناصر ، مكارم الشيرازي ، منشورات مدرسة الإمام علي (ع) ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ .
- ١١- أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، عبدالله بن عمر ، البيضاوي (ت : ٦٨٥ هـ) تح : محمد عبد الرحمان المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ .
- ١٢- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، أبو بكر جابر ، الجزائر ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ط ١ ، ١٤١٦ هـ .

- ١٣- الإيمان والكفر ، السبحاني الشيخ جعفر (ت : ١٤٤٤ هـ) ، مؤسسة الامام الصادق عليه السلام ، د . ط ، د . ت .
- ١٤- بحار الأنوار ، محمد باقر بن محمد تقي ، المجلسي ، (ت : ١١١١ هـ) ، مؤسسة الوفاء ، ط ٢ ، ١٤٠٣ هـ .
- ١٥- بحر العلوم ، نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم ، السمرقندي (ت : ٣٧٣ هـ) ، تح: أبو سعيد عمر بن غلام محسن عمروي ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، د . ت .
- ١٦- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجبية الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت : ١٢٢٤ هـ) تح : أحمد عبد الله القرشي رسلان ، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجبية الحسني الأنجري الفاسي الصوفي ، الناشر : الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة ، ط ٢ ، ١٤٢٣ هـ .
- ١٧- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، أحمد بن محمد ، ابن عجبية (ت : ١٢٢٤ هـ) (تح : أحمد عبد الله القرشي رسلان ، الناشر: د. حسن عباس زكي ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ .
- ١٨- البراهين الواضحة في عقائد الإمامية على ضوء العقل والكتاب والسنة ، الشيخ علي أكبر السيفي المازندراني ، الناشر: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، ايران ، ط ١ ، د . ت .
- ١٩- البرهان في علوم القرآن ، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت : ٧٩٤ هـ) ، د . ط ، د . ت .
- ٢٠- بهجة قلوب الأبرار وقرّة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار ، أبو عبد الله ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (ت : ١٣٧٦ هـ) ، تح: عبد الكريم بن رسمي ال دريني آل سعدي ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ .
- ٢١- تاج العروس من جواهر القاموس ، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ، أبو الفيض ، الملقّب بمرتضى ، الزّبيدي (ت : ١٢٠٥ هـ) تح : مجموعة من المحققين ، الناشر: دار الهداية ، د . ط ، د . ت .
- ٢٢- تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة ، السيد علي الحسيني الإسترآبادي النجفي ، (ت : ٩٤٠ هـ) تح : استاد ولي ، حسين ، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي ، ايران ، قم ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ .

- ٢٣- التبيان في تفسير القرآن ، أبي جعفر محمد بن الحسن، الطوسي (ت : ٤٦٠ هـ)
 تح : أحمد قصير العاملي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ، د . ت .
- ٢٤- تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشلبي ، عثمان بن علي بن محجن
 البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي (ت : ٧٤٣ هـ) ، الحاشية : شهاب الدين أحمد
 بن محمد بن أحمد بن يونس بن إسماعيل بن يونس الشلبي (ت : ١٠٢١ هـ) ،
 الناشر : المطبعة الكبرى الأميرية - بولاق ، القاهرة ط ١ ، ١٣١٣ هـ .
- ٢٥- التحرير والتنوير ، محمد بن طاهر ، ابن عاشور (ت : ١٣٩٣ هـ) الناشر: مؤسسة
 التاريخ ، بيروت ، ط ١ ، د . ت .
- ٢٦- التحقيق في كلمات القرآن الكريم ، حسن المصطفوي (ت : ١٤٢٦ هـ) ، دار الكتب
 العلمية ، لبنان ، ط ٣ ، ١٤٣٠ هـ .
- ٢٧- التعريفات ، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت : ٨١٦ هـ) تح:
 ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر ، دار الكتب العلمية بيروت ،
 لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ .
- ٢٨- التفسير الأثري الجامع ، الشيخ محمد هادي معرفة (ت : ١٤٢٧ هـ) ، المؤسسة
 الثقافية لنشر التمهيد ، قم ، ايران ، ط ١ ، ١٤٢٩ هـ .
- ٢٩- تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ، علاء الدين علي بن محمد
 بن إبراهيم البغدادي (ت : ٧٤١ هـ) تح : محمد علي شاهين ، دار للكتب العلمية ،
 بيروت ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ .
- ٣٠- التفسيرالصافي ، الفيض الكاشاني (ت : ١٠٩١ هـ) الناشر: مكتبة الصدر، طهران،
 المطبعة مؤسسة الهادي ، قم ، ط ٢ ، ١٤١٦ هـ .
- ٣١- تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم
 الدمشقي (ت : ٧٧٤ هـ) ، تح : محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية،
 منشورات محمد علي بيضون ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ .
- ٣٢- التفسير القرآني للقرآن ، عبد الكريم يونس ، الخطيب (ت : ١٤٠٦ هـ) ، دار الفكر
 العربي ، بيروت ، ط ١ ، د . ت .
- ٣٣- تفسير الكاشف ، محمد جواد مغنية (ت : ١٤٠٠ هـ) ، دار الكتب الإسلامية ، طهران
 ، ط ١ ، ١٤٢٤ هـ .

- ٣٤- التفسير الكبير ، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري الرازي ، فخر الدين الرازي (ت : ٦٠٦هـ) ، د . ط ، د . ت .
- ٣٥- التفسير المبين، محمد جواد مغنية (ت : ١٤٠٠هـ)، مؤسسة البعثة ، قم ، ط ٣ ، د . ت .
- ٣٦- تفسير المراغي ، أحمد بن مصطفى ، المراغي (ت : ١٣٧١هـ) دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ، د . ت .
- ٣٧- التفسير المظهري ، محمد ثناء الله ، المظهري (ت : ١٢٢٥هـ) ، تح : غلام نبي التونسي ، مكتبة الرشدية ، باكستان ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ .
- ٣٨- التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ، أحمد السيد الكومي ، ومحمد أحمد يوسف القاسم ، حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلفين ، ط ١ ، ١٤٠٢ هـ .
- ٣٩- التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه ، أحمد بن عبد الله العماري الزهراني (ت : ١٤٤٠هـ)، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، صدر في ط ١ خلال الأعداد (٨٥ - ١٠٠) وذلك في الفترة من المحرم ١٤١٠هـ ، الى ذو الحجة ١٤١٣ هـ .
- ٤٠- التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، السيد محمد ، الطنطاوي (ت : ١٤٣١هـ)، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة ، ط ١ ، د . ت .
- ٤١- تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة ، محمد بن محمد رضا بن محمد هادي الكنابادي (ت : ١٢٧٧هـ) مؤسسة الأعلمي للطبوعات ، بيروت، ط ٢ ، ١٤٠٨ هـ .
- ٤٢- تفسير روح البيان ، إسماعيل حقي البروسوي ، (ت : ١١٣٦هـ) الناشر: دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، د . ت .
- ٤٣- تفسير كتاب الله العزيز ، هود بن محكم ، الهواري (ت : ٢٨٠هـ) ، دار البصائر، الجزائر ، ط ١ ، ١٤٢٦ هـ .
- ٤٤- تفسير كنز الدقائق و بحر الغرائب ، محمد بن محمد رضا، القمي ، المشهدي (ت : ١١٢٥هـ) ، تح : حسين دركاهي ، مؤسسة الطباعة والنشر في وزارة الإرشاد الإسلامي ، طهران ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ .
- ٤٥- التفسير لكتاب الله المنير، محمد بن محمد طه الكرعي الخفاجي الحويزي (ت : ١٤٢٣هـ) ، المطبعة العلمية ، ط ١ ، ١٤٠٢ هـ .

- ٤٦- تفسير مجمع البيان ، أبو علي الفضل بن الحسن ، الطبرسي (ت : ٥٤٨ هـ) ، تح: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ .
- ٤٧- تفسير من وحي القرآن ، السيد محمد حسين ، فضل الله (ت : ١٤٣١ هـ) ، دار الملاك للطباعة والنشر ، ط ٢ ، ١٤١٩ هـ .
- ٤٨- تفسير الراغب الاصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت : ٥٠٢ هـ) تح : د. محمد عبد العزيز بسيوني ، الناشر : كلية الآداب - جامعة طنطا ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ .
- ٤٩- تقريب القرآن الى الأذهان ، السيد محمد ، الحسيني الشيرازي (ت : ١٤٢٢ هـ) ، النشر: دار العلوم ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٤ هـ .
- ٥٠- تهذيب اللغة ، أبو منصور محمد بن أحمد ، الأزهري (ت : ٣٧٠ هـ) تح : محمد عوض مرعب ، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠١ م .
- ٥١- التوقيف على مهمات التعاريف ، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت : ١٠٣١ هـ) ، نشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ .
- ٥٢- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (ت : ١٢٣٣ هـ) تح : زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق ، ط ١ ، ١٤٢٣ هـ .
- ٥٣- تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمان بن ناصر السعدي (ت : ١٣٧٦ هـ) ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٨ هـ .
- ٥٤- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القران ، أبو عبد الله ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (ت : ١٣٧٦ هـ) ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ .
- ٥٥- ثراء المعنى في القرآن الكريم ، محمد خليل جيجك ، دار السلام ، ط ١ ، د . ت .
- ٥٦- جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي ، أبو جعفر الطبري (ت : ٣١٠ هـ) تح : أحمد محمد شاكر ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ .

- ٥٧- جامع البيان في تفسير القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير ، الطبري (ت : ٣١٠ هـ)
دار المعرفة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ .
- ٥٨- الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري
الخرزجي شمس الدين القرطبي (ت : ٦٧١ هـ) تح : أحمد البردوني وإبراهيم
أطفيش ، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة ، ط ٢ ، ١٣٨٤ هـ .
- ٥٩- الجامع لأحكام القرآن ، محمد بن أحمد ، القرطبي (ت : ٦٧١ هـ) ، منشورات
ناصر خسرو ، طهران ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ .
- ٦٠- الجبر والاختيار في الفكر الإسلامي (مشكلة وحل) ، أشرف حافظ يوسف عبد
الرزاق ، الناشر: دار النخلة طرابلس ، د . ط ، د . ت .
- ٦١- الجديد في تفسير القرآن المجيد ، محمد بن حبيب الله ، السبزواري النجفي (ت :
١٤٠٩ هـ) ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ .
- ٦٢- الجواهر الثمين في تفسير الكتاب المبين ، السيد عبدالله بن حسن شبر (ت : ١٣٥٣ هـ)
، تح : السيد محمد بحر العلوم ، النشر: مكتبة الألفين ، الكويت ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ .
- ٦٣- الحاشية على تهذيب المنطق للتفتازاني ، الفاضل الكامل والعالم الفقيه المنطقي
الإمامي المولى عبدالله بن شهاب الدين الحسين اليزدي (ت : ٩٨١ هـ) ، تح :
مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، د . ت .
- ٦٤- الخصال ، أبي جعفر مُحَمَّد بن علي بن الحسين بن بابوية القمي ، الشَّيْخ الصَّدُوق
(ت : ٣٨١ هـ) تح : علي أكبر غفَّاري ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة
العلمية ، قم ، ط ١ ، ١٣٦٢ هـ .
- ٦٥- دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم ، عبد الوهاب رشيد صالح أبو صفية
، دار عمار للنشر والتوزيع ، د . ط ، د . ت .
- ٦٦- رد المحتار على الدر المختار ، ابن عابدين ، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز
عابدين الدمشقي الحنفي (ت : ١٢٥٢ هـ) ، دار الفكر- بيروت ، ط ٢ ، ١٤١٢ هـ .
- ٦٧- رسائل فقهية ، الشيخ مرتضى بن محمد أمين بن مرتضى الانصاري
(ت : ١٢٨١ هـ) ، د . ط ، د . ت .
- ٦٨- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين محمود بن عبد
الله الحسيني الألوسي (ت : ١٢٧٠ هـ) تح : علي عبد الباري عطية ، دار الكتب
العلمية - بيروت ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ .

- ٦٩- الروضة البهية في شرح اللمعة دمشقية ، العاملية ، زين الدين بن علي الجب (ت : ٩٦٥ هـ) ، تح : السيد محمد كلانتر ، ط ١ ، ١٣٨٦ هـ .
- ٧٠- زاد المعاد في هدي خير العباد ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، (ت : ٧٥١ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية ، الكويت ، ط ٢٧ ، ١٤١٥ هـ .
- ٧١- زبدة التفاسير ، المولى فتح الله ، الكاشاني (ت : ٩٨٨ هـ) تح : مؤسسة المعارف الإسلامية ، النشر: مؤسسة المعارف الإسلامية ، قم ، ط ١ ، ١٤٢٣ هـ .
- ٧٢- شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام ، نجم الدين جعفر بن الحسن الحلبي ، المحقق الحلبي ، (ت : ٦٧٦ هـ) النشر استقلال ، أمير ، قم ، ط ٥ ، ١٤٢١ هـ .
- ٧٣- شرح أصول الكافي ، أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني مع شرح الكافي الجامع للمولى محمد صالح المازندراني ، (ت : ١٠٨١ هـ) تعليق الميرزا ، أبو الحسن الشعراني ، د . ط ، د . ت .
- ٧٤- الشرح الكبير ، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي (ت : ١٢٣٠ هـ) ، الناشر: دار الفكر ، د . ط ، د . ت .
- ٧٥- شرح رياض الصالحين ، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت : ١٤٢١ هـ) ، الناشر: دار الوطن للنشر ، الرياض ، د . ط ، ١٤٢٦ هـ .
- ٧٦- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، (ت : ٧٥١ هـ) ، الناشر: دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، د . ط ، ١٣٩٨ هـ .
- ٧٧- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت : ٣٩٣ هـ) تح : أحمد عبد الغفور عطار ، الناشر: دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ٤ ، ١٤٠٧ هـ .
- ٧٨- صحيح مسلم ، أخرجه مسلم بن الحجاج أبو الحسن ، (ت : ٢٦١ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت باب التحريم إفتاء سر المرأة ، د . ط ، د . ت .
- ٧٩- عقائد الإسلام من القرآن الكريم ، السيد مرتضى العسكري ، (ت : ١٤٢١ هـ) دراسة حول الجبر والتفويض والقضاء والقدر ، د . ط ، د . ت .
- ٨٠- عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية ، ابن أبي جمهور الإحسائي ، محمد بن علي ، تح : مجتبي العراقي ، مطبعة سيد الشهداء ، قم ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ .

- ٨١- العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت : ١٧٠ هـ) ، تح : د. مهدي المخزومي ، د إبراهيم السامرائي ، الناشر: دار ومكتبة الهلال ، د . ط ، د . ت .
- ٨٢- عيون الحكم والمواعظ ، علي بن محمد الليثي الواسطي ، (توفي في القرن السادس الهجري) ، تح : حسين الحسيني البيرجندي ، دار الحديث ، د . ط ، د . ت .
- ٨٣- فتح البيان في مقاصد القرآن ، السيد محمد صديق ، القنوجي ، (ت : ١٣٠٧ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ .
- ٨٤- فتح القدير ، محمد بن علي بن محمد بن عبدالله ، الشوكاني (ت : ١٢٥٠ هـ) الناشر: دار ابن كثير ، دار الكلم الطيب ، دمشق ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ .
- ٨٥- الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن ، محمد الصادقي الطهراني (ت : ١٤٣٢ هـ) ، منشورات الثقافة الإسلامية ، قم ، ط ٢ ، ١٤٠٧ هـ .
- ٨٦- الفروق اللغوية ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت : ٣٩٥ هـ) ، تح : علق عليه : محمد إبراهيم سليم ، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة - مصر ، د . ط ، د . ت .
- ٨٧- الفصل في الملل والأهواء والنحل ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت : ٤٥٦ هـ) مكتبة الخانجي - القاهرة ، د . ط ، د . ت .
- ٨٨- فلاح السائل ونجاح المسائل ، رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت : ٦٦٤ هـ) ، التبليغات الإسلامية في الحوزة العلمية ، قم ، ايران ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ .
- ٨٩- في ظلال القرآن ، سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي (ت : ١٣٨٥ هـ) ، دار الشروق ، بيروت ، القاهرة ، ط ١٧ ، ١٤١٢ هـ .
- ٩٠- القاموس المحيط ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت : ٨١٧ هـ) ، تح : محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، ط ٨ ، ١٤٢٦ هـ .
- ٩١- قصص الأنبياء ، قطب الدين سعيد بن هبة الله ، الراوندي ، (ت : ٥٧٣ هـ) ، تح : الميرزا غلامرضا عرفانيان ، مجمع البحوث الإسلامية ، د . ط ، د . ت .

- ٩٢- قواعد العقائد ، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت : ٥٠٥ هـ) ، تح : موسى محمد علي ، عالم الكتب ، لبنان ، ط ٣ ، ١٤٠٥ هـ .
- ٩٣- الكافي ، محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت : ٣٢٩ هـ) ، تح : المصحح: غفاري علي أكبر و آخوندي ، محمد ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ، ط ٤ ، ١٤٠٧ هـ .
- ٩٤- الكتاب ، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء ، أبو بشر، الملقب سيبويه ، (ت : ١٨٠ هـ) ، تح : عبد السلام محمد هارون ، الناشر: مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٤٠٨ هـ .
- ٩٥- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت : ٥٣٨ هـ) ، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٧ هـ .
- ٩٦- الكليات معجم في المصطلحات والفرق اللغوية ، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي ، أبو البقاء الحنفي (ت : ١٠٩٤ هـ) ، تح : عدنان درويش ، محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة ، بيروت ، د . ط ، د . ت .
- ٩٧- لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين، علي بن محمد، البغدادي (ت : ٧٣٠ هـ) تح: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ ، ١٤١٥ هـ .
- ٩٨- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت : ٧١١ هـ) ، دار صادر ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤١٤ هـ .
- ٩٩- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل ، د. فاضل صالح السامرائي (ت : ١٤٤١) ، د . ط ، د . ت .
- ١٠٠- المأثور من اللغة ما أختلف لفظه واتفق معناه ، أبي العميث الأعرابي ، تح : محمد عبد القا در أحمد ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ .
- ١٠١- ماهية العقل ومعناه وأختلاف الناس فيه ، الحارث بن أسد المحاسبي ، أبو عبدالله (ت : ٢٤٣ هـ) تح : حسين القوتلي ، الناشر: دار الكندي ، دار الفكر ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٨ هـ .
- ١٠٢- مبادئ الإيمان ، محمد حسين كاشف الغطاء (ت : ١٣٧٣ هـ) مؤسسة كاشف الغطاء ، د . ط ، د . ت .
- ١٠٣- مجاز القرآن ، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (ت : ٢٠٩ هـ) ،

- تح : محمد فواد سزگين ، مكتبة الخانجي - القاهرة ، د . ط ، ١٣٨١ هـ .
- ١٠٤- مجمع البيان في تفسير القرآن ، الفضل بن الحسن ، الطبرسي (ت : ٥٤٨ هـ) ،
تح : محمد جواد البلاغي ، منشورات ناصر خسرو ، طهران ، ط ٣ ، ١٤١٣ هـ .
- ١٠٥- محاضرات في الإلهيات ، الشيخ علي الرباني الكلبايكاني (ت : ١٣٧٦ هـ) ،
مؤسسة الإمام الصادق ع لسماحة العلامة المحقق جعفر السبحاني ، د . ط ، د . ت
١٠٦- المحكم والمحيط الأعظم ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ،
تح : عبد الحميد الهنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ط ، ٢٠٠٠ م .
- ١٠٧- المحكم والمحيط الأعظم ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي
(ت : ٤٥٨ هـ) تح : عبد الحميد هنداوي ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ،
ط ١ ، ١٤٢١ هـ .
- ١٠٨- مختار الصحاح ، زين الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر
الحنفي الرازي (ت : ٦٦٦ هـ) ، تح : يوسف الشيخ محمد ، المكتبة العصرية ، الدار
النموذجية ، بيروت - صيدا ، ط ٥ ، ١٤٢٠ هـ .
- ١٠٩- مختصر الصواعق المرسله على الجهمية والمعتلة ، محمد بن أبي بكر بن
أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت : ٧٥١ هـ) تح : سيد إبراهيم ،
الناشر: دار الحديث ، القاهرة - مصر ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ .
- ١١٠- مختصر الميزان في تفسير القرآن ، الطباطبائي ، السيد محمد حسين وإلياس
كلانترى ، منشورات أسوة (التابعة بمنظمة الأوقاف والشؤون الخيرية) ، طهران ،
ط ١ ، ١٤٢١ هـ .
- ١١١- مختصر مجمع البيان ، محمد باقر الناصري (ت : ١٤٤١ هـ) ، مؤسسة
النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم ، ط ٢ ، ١٤١٣ هـ .
- ١١٢- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، محمد بن أبي بكر بن
أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت : ٧٥١ هـ) ، تح : محمد المعتصم
بأنه البغدادي دار الكتاب العربي - بيروت ، ط ٣ ، ١٤١٦ هـ .
- ١١٣- مرقة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، علي بن سلطان محمد ، أبو الحسن نور
الدين الملا الهروي القاري ، (ت : ١٠١٤ هـ) ، النشر: دار الفكر ، بيروت ، لبنان ،
ط ١ ، ١٤٢٢ هـ .
- ١١٤- مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل ، الميرزا حسين بن محمد تقي النوري

- الطبرسي (ت : ١٣٢٠ هـ) ، مؤسسة آل البيت عليهم السلام ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨ هـ .
- ١١٥- مشكاة الأنوار في غرر الأخبار ، أبو الفضل بن الحسن، الطبرسي (ت : ٥٤٨ هـ) ، تح : مهدي هوشمند ، د . ط ، د . ت .
- ١١٦- مصباح المتهدج ، أبو جعفر محمد بن الحسن ، الطوسي (ت : ٤٦٠ هـ) ، مؤسسة فقه الشيعة ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤١١ هـ .
- ١١٧- معالم التنزيل في تفسير القرآن ، أبي محمد حسين بن مسعود البغوي (ت : ٥١٦ هـ) ، تح : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ .
- ١١٨- معاني القرآن الكريم ، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت : ٢٠٧ هـ) ، تح : أحمد يوسف النجاتي ، محمد علي النجار ، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي ، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر ، ط ١ ، د . ت .
- ١١٩- معاني القرآن وأعرابه ، إبراهيم بن السري بن سهل ، أبو إسحاق الزجاج (ت : ٣١١ هـ) ، تح : عبد الجليل عبده شلبي ، عالم الكتب ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨ هـ .
- ١٢٠- معجم ألفاظ القرآن الكريم ، مجمع اللغة العربية الإدارية العامة للمعجمات وأحياء التراث ، د . ط ، د . ت .
- ١٢١- معجم الفروق اللغوية ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت : نحو ٣٩٥ هـ) ، تح : الشيخ بيت الله بيات ، ومؤسسة النشر الإسلامي ، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ط١ ، ١٤١٢ هـ .
- ١٢٢- المعجم الكبير ، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشافعي ، أبو القاسم للطبراني (ت : ٣٦٠ هـ) ، تح : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، دار النشر ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ط ٢ ، د . ت .
- ١٢٣- المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد النجار ، الناشر: دار الدعوة ، د . ط ، د . ت .
- ١٢٤- معجم علم اللغة النظري ، محمد علي الخولي (ت : ١٤٣٠ هـ) ، الناشر: دار الفلاح للنشر والتوزيع ، مكتبة لبنان بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٢ م .

- ١٢٥- معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي ، أبو الحسين (ت : ٣٩٥ هـ) تح : عبد السلام محمد هارون ، الناشر: دار الفكر ، د . ط ١٣٩٩ هـ .
- ١٢٦- المغني ، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي ، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت : ٦٢٠ هـ) ، مكتبة القاهرة ، د . ط ، ١٣٨٨ هـ .
- ١٢٧- المغني في أبواب التوحيد والعدل ، أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني الأسدآبادي ، القاضي عبد الجبار (ت : ٤١٥ هـ) تح : د . سليمان دنيا ، د . ط ، د . ت .
- ١٢٨- مفاتيح الغيب ، أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين ، فخر الدين الرازي (ت : ٦٠٦ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٢٠ هـ .
- ١٢٩- مفردات الراغب الأصفهاني ، مع ملاحظات العاملي ، الشيخ علي الكوراني العاملي ، (ت : ١٤٤٥ هـ) ، دار المعروف ، قم ، ط ١ ، ١٤٣٤ هـ .
- ١٣٠- المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت : ٥٠٢ هـ) ، تح : صفوان عدنان الداودي ، دار القلم ، الدار الشامية - دمشق بيروت ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ .
- ١٣١- مقالات الإسلاميين وأختلاف المصلين ، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت : ٣٢٤ هـ) ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، نشر المكتبة العصرية ، د . ط ، د . ت .
- ١٣٢- مقتنيات الدرر وملقطات الثمر ، السيد مير علي الحائري الطهر (ت : ١٣٥٣ هـ) ، الناشر : دار الكتب الإسلامية ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ .
- ١٣٣- المقرر في شرح منطق المظفر مع متنه المصحح ، السيد رائد الحيدري ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ .
- ١٣٤- من هدى القرآن ، السيد محمد تقي ، المدرسي ، دار محبي الحسين ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ .
- ١٣٥- المنتخب من تفسير التبيان ، أبو عبدالله محمد بن أحمد ، ابن إدريس الحلبي (ت : ٥٩٨ هـ) ، تح : السيد مهدي الرجائي ، مكتبة آية الله النجفي المرعشي ، قم ، ط ١ ، ١٣١٨ - ١٤٠٩ هـ .

- ١٣٦- منهاج الصالحين العبادات ، أبو القاسم الموسوي الخوئي (ت : ١٤١٣ هـ) ، مطبعة الديواني ، بغداد ، ط ٢٩ ، د . ت .
- ١٣٧- منهاج الصالحين المعاملات ، السيد السيستاني (دام ظله) ، الفصل ١١ ، في أحكام النشوز والشقاق في مسألة (٣٥٠) ، د . ط ، د . ت .
- ١٣٨- مواهب الرحمن في تفسير القرآن ، السيد عبد الأعلى ، الموسوي السبزواري (ت : ١٤١٤ هـ) ، مؤسسة أهل البيت (ع) ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٩ هـ .
- ١٣٩- موجز علوم القرآن ، الدكتور داود العطار (ت : ١٤٠٣ هـ) ، منشورات مؤسسة الاعلمي ، ط ٣ ، ١٩٩٥ م .
- ١٤٠- موسوعة الفقه الإسلامي المقارن ، ناصر مكارم الشيرازي ، إعداد وتنظيم مجموعة من الفضلاء ، قم ، د . ط ، د . ت .
- ١٤١- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت : ١١٥٨ هـ) تح : د . علي دحروج ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٦ هـ .
- ١٤٢- ميزان الحكمة ، محمدي الري شهري (ت : ١٤٤٣ هـ) تح : دار الحديث ، ط ١ ، د . ت .
- ١٤٣- الميزان في تفسير القرآن ، السيد محمد حسين ، الطباطبائي (ت : ١٤٠٢ هـ) ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم ، ط ٥ ، ١٤١٧ هـ .
- ١٤٤- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن عبيد الله البغدادي ، المشهور بأبن الجوزي (ت : ٥٩٧ هـ) ، تصحيح وتعليق : مهر النساء ، مطبعة دار المعارف العثمانية ، حيدر أباد ، الهند ، د . ط ، ١٣٩٤ هـ .
- ١٤٥- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت : ٨٨٥ هـ) ، دار الكتب الإسلامي ، القاهرة ، د . ط ، د . ت .
- ١٤٦- نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج ، شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي (ت : ١٠٠٤ هـ) ، الناشر : دار الفكر ، بيروت ، ط ، أخيرة ، ١٤٠٤ هـ .

١٤٧- نهج البلاغة ، أبو الحسن محمد الرضي بن الحسن الموسوي ، السيد الرضي (ت : ٤٠٦ هـ) ، تح : د. صبحي الصالح ، دار الكتب اللبناني ، د . ط ، د . ت .
١٤٨- نهج البيان عن كشف معاني القرآن ، محمد بن الحسن ، الشيباني (ت : ١٨٩ هـ) تح : حسين دركاهي ، مؤسسة دائرة المعارف الإسلامية ، طهران ، ط١ ، ١٤١٣ هـ.

١٤٩- نهج الذكر ، محمد الري شهري ، (ت : ١٤٤٣ هـ) ، د . ط ، د . ت .
١٥٠- الهداية لأسباب السعادة ، عبد الله بن جارا الله بن إبراهيم الجارا الله (ت : ١٤١٤ هـ) ، د . ط ، د . ت .

١٥١- الواضح في علوم القرآن ، د . مصطفى ديب البغا - د . محي الدين ديب مستو (ت : ١٤٤٢ هـ) ، دار الكلم الطيب ، دار العلوم الإسلامية ، دمشق ، ط ٢ ، ١٤١٢ هـ .

١٥٢- الوافي ، الفيض الكاشاني (ت : ١٠٩١ هـ) ، مكتبة الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام ، أصفهان ، د . ط ، ١٤٠٦ هـ .

١٥٣- وسائل الشيعة ، محمد بن الحسن الحر العاملي (ت : ١١٠٤ هـ) ، تح : عبد الرحيم الرباني الشيرازي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ٥ ، ١٤٠٣ هـ .

١٥٤- وسائل الشيعة ، محمد بن الحسن ، الحر العاملي (ت : ١١٠٤ هـ) ، تح : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، قم ، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، قم ، ط ٢ ، ١٤١٤ هـ .

١٥٥- اليواقيت والجواهر في بيان عقيدة الأكابر ، الشيخ عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني (ت : ٩٧٣ هـ) ، د . ط ، د . ت .

الرسائل والاطاريح :

١- خلافة الإنسان بين الوحي والعقل بحث في جدلية النص والعقل والواقع ، د . عبد المجيد النجار ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، فيرجينيا ، ط ٣ ، ١٤٢٠ هـ .

٢- السياق القرآني وأثره في التفسير ، عبد الرحمن عبد الله سرور جرمان المطيري ، دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن ، د . ط ، د . ت .

الانترنت والمواقع :

١- الثنائيات في القرآن الكريم وجوانب التكامل والتدافع ، محمد علا عبد الحفيظ ، نشر في مجلة التفاهم ، العدد ٦٦ ، خريف ٢٠١٩ ، الصادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الدينية في سلطنة عمان .

٢- دروس الشيخ أبو إسحاق الحويني ، أبو إسحاق الحويني الأثري حجازي محمد شريف وهي دروس صوتيه قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية ، الكتاب مرقم أليا ورقم الجزء هو رقم الدرس ١٤٦ درسا، (٠/٣٥)الأميل : www.islamweb.net . http|| http

٣- موسوعة الأخلاق الإسلامية ، مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف ، موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net .

ABSTRACT.....

Researching the breakthrough at the conceptual and semantic level is a step in knowing the relationships and dualities of the conceptual principles and the applied principles of the Qur'anic words and their meanings. For the purpose of revealing the aspect of relief observed by the Almighty God as much as human energy, and what is observed in the multiplication of the message is that relief has multiple uses in terms of resource and application and its goals are determined, including the moral level through refining the human personality through trials to reach relief, or the jurisprudential level reflected in the actions of the accountable person to draw closer to the Almighty God as it should be, or the verbal level for the purpose of determining the soundness of the doctrinal aspect and other things, and relief in its essence is the transition from distress, to abundance, and from hardship to ease, it is a divine law that manifests itself in the lives of individuals and societies, where affliction is a prelude to empowerment, and distress is a way to reveal hidden energies, which makes it an essential factor in building a human being according to the correct divine approach, studying the concept of relief in the Holy Qur'an is an objective study that reveals the laws of God Almighty regarding change and facilitation, and enhances a deep understanding of the relationship between affliction and relief, which contributes to consolidating the meanings of patience, trust, and work in souls, and confirms that guidance and relief are a great Qur'anic goal, it is noted that all of these levels that the research dealt with have a final, supreme goal, which is reaching guidance, which is the focus of the Holy Qur'an. Research and contemplation on the concept of relief, its uses, resources, and applications are only a means and a tool to reach that highest and honorable goal.

Hence, this message was a humble attempt to explore the concept of détente by observing all the relationships and dualities related to it, on the grounds that things are defined by their opposites, and God Almighty is behind the intention, and we ask God Almighty for success and guidance .



The Republic of Iraq
Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kerbala /Faculty of Islamic Sciences
Department of Quranic Studies and Jurisprudence

The concept of relief in the Holy Qur'an, an objective study

**A Thesis Submitted to the Council of the faculty of Islamic Science,
University of Kerbala , in Partial Fulfilment of Requirements for the
Degree of Master of sharia and Islamic Sciences**

by

Hamza Sameer Muhammed

Suprvised by

Ass.Dr. Muslim Jawad Khudair

AH 2025

AD 1446